



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة - باتنة 1 -



نيابة العمادة لما بعد التدرّج  
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

كلية العلوم الإسلامية  
قسم أصول الدين

## المنهج التربوي الإسلامي وآلياته في ترسيخ القيم في ضوء الكتاب والسنة

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم - تخصص: كتاب وسنة

إشراف الأستاذ الدكتور:  
حسين شرفه

إعداد الطالبة:  
سهيلة مقيدش

### لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د/ عيسى بوعكاز	أستاذ	جامعة باتنة-1	رئيسا
د/ حسين شرفة	أستاذ	جامعة باتنة-1	مقرّرا
د/ نور الدين جبالي	أستاذ	جامعة باتنة-1	عضوا مناقشا
د/ يوسف عبد اللاوي	أستاذ	جامعة الوادي	عضوا مناقشا
د/ نصر سلمان	أستاذ	جامعة الأمير (قسنطينة)	عضوا مناقشا
د/ محمد ملين بوروية	أستاذ محاضر(أ)	جامعة الأمير (قسنطينة)	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1439هـ/1440هـ \_ 2018م/2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ  
اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي  
مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ  
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(المائدة)

## إهداء

إلى والدي الكريم، وإلى أختي العزيزة \_ رحمهما الله \_ أسأل الله تعالى أن يتغمّدهما برحمته، وأن يجمعنا وإياهم مع النبيّ صلّى الله عليه وسلم في جنّات الفردوس الأعلى.

إلى والدتي الرّحيمة التي لم تتوان بالدعاء لي في كل حين، أسأل الله أن يحفظها ويطول عمرها، ويبارك لها في أعمالها، وأن يجزيها عنّي خير ما جزى والدّة عن ولدها.

إلى أختي الوحيدة التي كانت عوناً لي في هذه الحياة، جزاها الله عنّي كل خير.

إلى زوجي الفاضل الذي كان سنداً لي في بحثي، والذي ما بذل عليّ من جهد ولا تشجيع، أسأل الله أن يحفظه لنا .

إلى أبنائي الذين صبروا عليّ خلال فترة إنجازي لهذا البحث، أسأل الله تعالى أن يهديهم ويجعلهم من الصالحين المطيعين.

إلى كل أساتذتي الذين أثاروا شعلة العلم في قلبي، جزاهم الله عنّي كل خير.

إلى كل طلاب العلم في كل مكان، ممن يجتهدون ويبتعدون لإنجاز بحثهم، أسأل الله أن يوفّقهم ويسدّد خطاهم في إتمامها على أحسن وجه.

إلى القائمين على خدمة الطلبة، من المسؤولين والمسؤولات على المكتبة، أسأل الله أن يجزيهم عنّا خير الجزاء، ويبارك لهم في صحتهم وجهدهم.

إلى كل هؤلاء.. أهدي ثمرة هذا البحث الذي اجتهدت في إنجازه، والذي أسأل الله تعالى أن يتقبّله منّي، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن ينفع به أفراد الأمة الإسلامية في ترسيخ المبادئ والقيم في نفوسهم.

وأخيراً دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

## شكر وتقدير

أحمد الله تعالى على ما منّ به عليّ من فضل في إتمام هذه الرسالة، على الوجه الذي هي عليه الآن، وأسأل الله تعالى أن يتقبّل منّي هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

أتقدّم بالشكر والتقدير إلى فضيلة الأستاذ المشرف، الدكتور حسين شرفه، الذي قبّل بالإشراف على هذه الرسالة، وصبر عليّ كل هذه المدّة، فكان له الفضل الكبير في توجيهاته وتصويباته العلمية، فجزاه الله عنّي كل خير.

كما أخصّ بالشكر الجزيل، كلّاً من : الدكتور نصر سلمان، والدكتور يوسف عبد الأوي، والدكتور محمد لمين بوروية، الذين قدّموا ملاحظاتهم وتصحيحاتهم لهذه الرسالة بعد قراءتها، بالرغم من قلة وقتهم وكثرة أشغالهم، فجزاهم الله عنّي خير الجزاء، وجعل خطاهم في الجنة.

كما أشكر كلّاً من الدكتور نور الدين جبالي، والدكتور عيسى بوعكاز، اللذان تفضّلا بقراءة هذه الرسالة وقبول مناقشتها، وتصويب أخطائها، وإضافة نقائصها، فبارك الله لهم جميعاً في أوقاتهم وأعمالهم وأعمارهم، ووفّقهم جميعاً لما يحبّ ويرضى.

كما أتقدّم بالشكر أيضاً، إلى كل من مدّ لي يد العون من قريب أو من بعيد، ولو بكلمة طيبة أو دعوة صالحة.

إلى كل هؤلاء وغيرهم ممن لم أذكرهم، أقول لهم: جزاكم الله عنّي كل خير، وسدّد خطاكم، ووفّقكم لما يحبّ ويرضى.

حَقِّقْ حَقِّقْ

## مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فإن الأمة الإسلامية اليوم تشهد تأزما أخلاقيا كبيرا، بسبب ما تعانيه من بُعد أبنائها عن الدين، وتفلتت من المبادئ والقيم الإسلامية، إضافة إلى معاملاتهم الغريبة وتصرفاتهم التي لا تمتّ لدينا بصلة، والتي تفتشت بصورة سريعة وبطريقة ملحوظة، يصعب التحكم فيها أو تغييرها في وقت قصير، ما ساعد على تشكيل فجوة يصعب تخطيها، وشرحا يصعب التمامه، مع الأخذ بعين الاعتبار هذا الانفتاح الذي نحياه، وكذا تحديات العصر التي تكاد تمحي كل المبادئ الإسلامية، والقيم الأخلاقية الفاضلة، التي يسعى المرثون لغرسها في نفوس المترّبين، خاصة وأن لفظ المرثين اليوم لا يقتصر على الوالدين والمعلمين والدعاة فحسب، ولكن ما يُبثّ على الفضائيات، وما يُتداول على الأنترنت، بات له السبق إلى التربية ولكن بشكل سلبي، وهذا ما جعل الأمة الإسلامية تتطلّع لتخطّي هذه الأزمة الأخلاقية، إلى البحث عن أهمّ الحلول لمشاكلها التربوية، بغية تقويم أبنائها، وإكسابهم حصانة تربوية، تمنحهم شخصية سليمة وقويّة، وتمنعهم من سلوك الطرق غير السويّة، ليعمّ الأمن والأمان في أوساطها ما أمكن .

وإذا كانت التربية الإسلامية نبراسا ينير طريق الهداية للناس، لكونها تمثل المنهج الربّاني، الذي يهدف إلى تحقيق التطبيق العملي للتشريع الإسلامي، فإن هذا يفرض علينا بحث موضوع المنهج التربوي الإسلامي، كونه من المواضيع الهامة والضرورية، التي يجب علينا دراستها، وفهمها فهما صحيحا، وتسليط الأضواء عليها، وفق كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لأننا في أمسّ الحاجة إلى منهج ربّاني، يكون لنا ملاذا آمنا مما نحن فيه، لذلك، وبعد القراءة والاطلاع، تمّ اختيار عنوان مناسب لهذه الدراسة، والموسوم بـ: **”المنهج التربوي الإسلامي وآلياته في ترسيخ القيم في ضوء الكتاب والسنة.“**

## إشكالية البحث:

إن معظم إشكاليات هذا البحث، عبارة عن تساؤلات متنوعة، تُوجَّه في مجملها نحو القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ليتولَّى هذان المصدران الأصليون، الإجابة عن كل التساؤلات المطروحة، لتكون جلّ النتائج المتوصَّلة إليها قرآنية سنيّة ما أمكن، ويمكن صياغة هذه الإشكالية في عرض الأسئلة الآتية:

ما هو مفهوم المنهج التربوي الإسلامي؟

ما هي الأسس التي يقوم عليها المنهج التربوي الإسلامي؟

ما هي الأهداف التي يسعى المنهج التربوي الإسلامي إلى تحقيقها؟

ما هي الخصائص التي يتميَّز بها هذا المنهج التربوي الإسلامي؟

ما هي الأساليب التي يعتمدها المنهج التربوي الإسلامي؟

ما هي آليات المنهج التربوي الإسلامي التي تُرسِّخ القيم؟

كل هذه التساؤلات وغيرها، يتمّ طرحها أثناء البحث، لتتمّ الإجابة عنها من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

## أهمية الموضوع:

إن لموضوع التربية الصحيحة بما يوافق المنهج الإسلامي، أهميّة كبرى في حياة كل من يدين بدين الإسلام، موقنا به قلبه وأفعاله وانفعالاته، في مشارق الأرض ومغاربها، لأن الإنسان المسلم إذا عرف حقيقة نفسه، وأدرك ذاته وكيونته في هذا الكون، وفي هذه الحياة، عرف ربّه، وإذا ما عرف ربّه، أدرك غاية وجوده في هذه الحياة، وعرف كيف يستغل ويستخدم ما سُخِّر له في هذا الكون، بطريقة عادلة وفق منهج الله تعالى، فإذا ما فهم كل هذه الحقائق، كان ذلك دافعا قويا له في أن يتخذ من التربية الإسلامية بما يوافق



المنهج الرّباني، مسلّكاً له في حياته، ليسدّد خطاه، ويوجّه سيره في الدنيا، ويعينه على طاعة الله للفوز بجنته، ليبلغ بذلك غاية السموّ والرفعة بأفكاره، وعلمه، ومبادئه وأخلاقه.

## دوافع اختيار الموضوع:

قد ندّعي العلم بالمنهج التربوي الإسلامي، وأننا على دراية تامّة بحقيقته، كوننا مأمورون بفهمه وتطبيقه، لكن حال الأمة وما آلت إليه من الانحلال الأخلاقي، بسبب المفاهيم الخاطئة في التصوّرات، والخلل الحاصل في الأفعال والانفعالات، يدلّ على غير ذلك، هذا الأمر كان من بين أهمّ الدوافع التي أدّت لاختيار هذا الموضوع، والذي انبثقت منه دوافع أخرى، كان من أهمّها:

— محاولة تسليط الأضواء على المفهوم الحقيقي للمنهج التربوي الإسلامي، من خلال القرآن والسنة، لبيان مفهومه، وتقريب معناه، وتوضيح معالمه، بشكل كاف.

— محاولة فهم هذا المنهج الرّباني، لمعرفة مدى تلبيةه للحاجات التربوية، وإصلاح الحياة البشرية، الموصلة لدرجة الكمال المنشود عند الإلتزام بتطبيقه.

— محاولة معرفة مدى تلبية هذا المنهج الرّباني في تربية الضمائر الإنسانية، بإعادة تشكيل عقد الصلة الدائمة بين الإنسان وخالقه.

— محاولة معرفة مدى تلبية هذا المنهج في إصلاح النفوس البشرية، وكيفية التأثير فيها، لجعلها بناءة، بمقتضى طاقاتها وتكوينها.

— محاولة إدراك أهم الطرق المساعدة على تثبيت وترسيخ الأخلاق الفاضلة، والقيم الإسلامية، للعودة بالأمة إلى خيريتها.

## أهداف الموضوع:

من الأهداف التي يرمي إليها هذا الموضوع، والتي كانت من خلالها هذه الدراسة، هي:

— محاولة رسم صورة واضحة المعالم لموضوع المنهج التربوي الإسلامي، وآلياته في ترسيخ القيم، وذلك برده إلى نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

— محاولة الإمام بكل الآيات الخاصة بالموضوع -إما الصريحة منها أو المساعدة- وكذا الإمام بكل الأحاديث النبوية، الواردة في كتب الصحاح والسنن ما أمكن، لإعطاء الموضوع حقه من البحث والدراسة، وإبراز معلمه والإحاطة به من جميع جوانبه.

— محاولة النظر بطريقة صحيحة إلى المنهج التربوي الإسلامي، وبمنظرة متزامنة مع الأوضاع السائدة في الواقع، ليُشكّل الرّبط بين النظرية والتطبيق بما يوافق المنهج الرّبانيّ، توازناً سُننِيّاً يُسهِم في إنجاحه كل عملية تربوية صحيحة، تحاشياً لكل خلل أو خطأ يُشكّل التربية الخاطئة ما أمكن.

— محاولة الوصول إلى أهم الطرق والأساليب التي تحقق إنجاز العملية التربوية، وذلك بتطبيق المنهج التربوي الإسلامي على أرض الواقع ما أمكن.

## المنهج المتّبع في البحث:

لقد تمّ اختيار موضوع ”المنهج التربوي الإسلامي وآلياته في ترسيخ القيم في ضوء الكتاب والسنة“ باعتبار أهميته الكبرى في حياتنا، فكانت دراسته دراسة موضوعية تجميعية، من خلال القرآن والسنة، وفق منهج علمي معتمد، يتميّز بخطوات متّبعة في دراسة أي موضوع من المواضيع الحياتية المتنوعة، لذلك، كانت دراسة هذا الموضوع من بدايته إلى نهايته، جارية وفق المنهج الآتي:

— جمع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، الخاصة بالموضوع، والمتعلقة به من قريب أو من بعيد، ثم استقراؤها ليتّم بذلك تصنيفها وتوزيعها على الفصول، والمباحث، والمطالب، توزيعاً علمياً منظماً، يتوافق مع خطة البحث.

— الاعتماد على كتب التفسير، لتحليل هذه الآيات بغية تبسيط المعنى وتقريبه للأفهام، كما يُستعان على ذلك أحياناً بكتب اللغة.

— الربط بين هذه الآيات بعد تحليلها، وتدبر معانيها، واستنباط الأفكار الأساسية منها، وذلك بصياغتها وفق إطار تركيبى تجميعي، موافق للدلالات القرآنية والسنيّة، بحسب ما يقتضيه البحث من أسلوب علمي سهل ومبسّط، ليساعد بذلك على التوصل للنتائج الخاصة بالموضوع.

— وبنفس الخطوات المتبعة في الاستدلال بالآيات القرآنية، تمّ الاعتماد على الأحاديث النبوية الصحيحة، في كل جزئية من جزئيات البحث.

## المنهج المتّبع في عرض المادّة:

للإلتزام أكثر بالمنهج في هذا البحث، تمّ توزيع المادّة عليه بطريقة تجعل من أقلّ جزئية فيه تخضع لمنهجية واحدة، تسيطر على كامل البحث من أوله لآخره ما أمكن، وقد تمّ ذلك كما يأتي:

1\_ الآيات القرآنية: تمّ الإلتزام برواية حفص عن عاصم، حيث كُتبت الآيات بخط مغاير عن باقي الكلام، وجعلها بين قوسين مميّزين، لتنتهي كل آية بذكر رقمها، وبعدها ذكر اسم السورة.

2\_ الأحاديث النبوية: وقد وُضعت بين حاضنتين لتمييزها عن غيرها، مع الإلتزام بكل ما صحّ منها، إضافة إلى تحريّ الدقّة في تخريجها، وذلك بذكر مصدر الحديث، ثم ذكر الكتاب والباب، ثم رقم الحديث ثم الجزء والصفحة، وفي الأخير ذكر راوي الحديث، كما تمّ تخريج الأحاديث الموثقة في الاقتباسات.

**3\_ الإحالات:** وتكون عند نهاية الأقوال المنقولة والموضوعة بين شولتين، فإذا وُجد بين الكلام نقطتان أو ثلاث متتالية، ففي ذلك إشارة إلى وجود حذف قد تم الاستغناء عنه.

**4\_ التهميش:** للإلتزام بالأمانة العلمية عند الإحالة إلى كلام العلماء، فلا بد من الإشارة إلى كل المعلومات الخاصة بذلك في الهامش، بدءاً بذكر اسم المؤلف، ثم ذكر عنوان كتابه، فإذا ذُكر لأول مرة أُرْفِق إلى ما سبق بالإشارة إلى دار النشر ومكانها، ورقم الطبعة والسنة، ورقم الجزء أو وُجِد، والصفحة، وإذا تكرر ذكره في البحث، تمّ الاكتفاء بذكر اسم المؤلف والكتاب والجزء إن وُجد والصفحة فقط.

**6\_ الفهارس:** وقد جاءت بهذا الترتيب:

**أ/ فهرس الآيات:** وقد رُتّب ترتيباً مصحفياً، تمّ فيه إعزاء الآية لسورتها، مع ذكر بدايتها، ورقمها، وتواجدها في البحث، وإن تكرر ذكرها خلال البحث، تمّ الاكتفاء بذكر صفحة تواجدها.

**ب/ فهرس الأحاديث:** وقد ذُكر فيه جزء من بداية الحديث، كما رُتّب ترتيباً ألف بائياً، مع ذكر الصفحة التي ورد فيها من البحث.

**ج/ فهرس المصادر والمراجع:** وقد تمّ تسلسله ألف بائياً، دون الأخذ بعين الاعتبار (أل) التعريف، وذلك انطلاقاً من اسم المؤلف دون اسم الكتاب.

**د/ فهرس الموضوعات:** تمّ فيه الاكتفاء بذكر الفصول، والمباحث، والمطالب، دون ذكر التفاصيل الأخرى، كونها كافية لإعطاء نظرة شاملة للموضوع، وعدم ذكر التفاصيل لا يُخلّ بذلك.

**7\_ الملخصات:** وقد تمّ فيه وضع ملخص للبحث باللغة العربية، مع إرفاقه بملخص باللغتين: الفرنسية، والأجنبية.

## الدراسات السابقة:

لقد تمّ تناول موضوع المنهج التربوي الإسلامي وآلياته في ترسيخ القيم، من خلال القرآن والسنة، بدراسة موضوعية، شاملة وجامعة لكل جوانبه التربوية، اعتمادا على كتاب الله تعالى، وما بُثّ في كتب السنة النبوية الشريفة، كما تمّ الاعتماد أيضا على كل الدراسات التي اهتمت ببيان هذا الموضوع، منها الكتب، والرسائل الجامعية المقدّمة لنيل شهادة الماجستير، والأطروحات المقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه، وغيرها مما نُشر في هذا المجال، فكان من بين هذه الدراسات:

— من اهتم بالحديث عن المنهج التربوي الإسلامي، منها:

كتاب منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب، والذي صدر في جزئين، اهتم في الجزء الأول بالجانب النظري، ليتحدّث فيه عن خصائص المنهج الإسلامي، وتطرّق في حديثه عن تربية النفس البشرية، وتربية الحواس، ثم فصّل في بيان وسائل التربية، كما اهتمّ في الجزء الثاني بالجانب التطبيقي، حيث بيّن فيه كيفية تربية الجماعة الأولى بالقدوة، ليعطي بعدها تفصيلا دقيقا لبيان التربية من الطفولة إلى مرحلة النضوج، ما جعل من كتابه مرجعا جيّدا للبحث.

وكتاب منهج التربية في تصوّر الإسلامي، للدكتور أحمد مدكور، الذي اعتمد فيه على كتابي محمد قطب السابق، وسيد قطب، في كتاب خصائص تصوّر الإسلامي ومقوماته، فامتاز بالشمول في بيانه وتوضيحه بالأدلة لكل جزئية منه قد تناولها، ما جعل تفصيله الدقيق مرجعا مهمّا يُشار إليه في كل جزئية من البحث.

— ومنهم من اهتمّ بالحديث عن أصول التربية الإسلامية، فكان منها:

كتاب أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، لعبد الرحمن النحلوي، حيث استطاع في كتيّب أن يفصّل في حديثه عن الإسلام والتربية، وعن مصادر التربية الإسلامية، وأسسها، وغايتها،

وأهدافها، ووسائلها، وأساليبها، ما جعله يستحق أن يكون مرجعا مهماً يُعتمد عليه من بداية البحث لنهايته.

وكتاب أصول التربية الإسلامية، لخالد بن حامد الحازمي، حيث بيّن فيه مفهوم التربية، وأهميتها، وأهدافها، كما تناول تفصيل أصول التربية الإسلامية، تفصيلاً جامعاً من غير إخلال.

— ومنهم من خصّ دراسته في جانب تربوي معين دون الجوانب الأخرى، منها:

كتاب خصائص تصوّر الإسلامي ومقوماته، لسيد قطب، وقد تحدّث فيه عن الخصائص التي تميّز بها المنهج التربوي الإسلامي، فأجاد في بيانه وتفصيله، فكان كتابه جديراً بالاعتماد عليه.

وكتاب أهداف التربية الإسلامية، دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية، والأهداف التربوية المعاصرة، لماجد عرسان الكيلاني، وقد تناول في كتابه الحديث عن دور الأهداف في العملية التربوية، كما تحدّث عن تربية الفرد المسلم، وإخراج الأمة المسلمة، حديثاً مفصّلاً ودقيقاً، جعل منه مرجعاً هاماً للبحث.

— ومن الرسائل الجامعية التي اهتمّت بالدراسات التربوية الإسلامية، كان منها:

رسالة أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، وهي عبارة عن رسالة ماجستير، نال بها الدكتور الحسين جرنو محمود جلو، درجة الماجستير في التربية بدرجة امتياز، حيث اهتمّت هذه الدراسة بالحديث عن التربية وأهميتها، كما تناول في بحثه أهداف القرآن الكريم، وأساليبه التربوية في ضبط السلوك الإنساني وقد خصّ بالتركيز في دراسته هذه، على أسلوب التشويق والتعزيز، الذي عنون به رسالته، فكانت هذه الدراسة من بين المراجع المعتمدة في البحث.

وكذا الرسالة الجامعية التي اهتمّت بالتربية الإسلامية، فكانت تحت عنوان: مقومات التربية الجسمية في الإسلام، دراسة تحليلية - ميدانية، وقد أعدّها الطالب صالح بن علي أبو عزّاد الشهري، والتي تُعدّ بحثاً مكتملاً لنيل درجة الدكتوراه، في الأصول الإسلامية للتربية، حيث تناول فيها الباحث مفهوم التربية الجسمية

في الإسلام، وأهميتها، وأهدافها، ومقوماتها، وأثر العبادات الإسلامية فيها، والعوامل المؤثرة عليها سلباً، كما أورد نتائج الدراسة الميدانية في آخر بحثه، مما جعله مرجعاً مهماً لبعض جزئيات البحث.

كل هذه الدراسات الخاصة بالمجال التربوي الإسلامي، والكثير منها، مما لا يسعنا ذكرها في هذا المقام، كان لها الفضل في تبلور الفكرة الختامية لموضوعنا، كما أعطت لنا نتاجاً مستخلصاً منها، فيه من الإضافة ما يضيف على الموضوع رصيذاً جديداً من المعلومات التي لم تُذكر من قبل.

فكان بحث آليات المنهج التربوي الإسلامي في ترسيخ القيم، هو العنصر المستجد في الموضوع، وهذا ما ميّز هذه الدراسة الخاصة بمجال التربية، عن غيرها من الدراسات التربوية الأخرى.

فالعادة التي اعتبرها علماء التربية على أنها أسلوباً تربوياً، أثبتت في هذا البحث بأنها آلية من آليات المنهج التربوي الإسلامي في ترسيخ القيم، بحيث لو طبّقها المرّبي، لضمن إنجاح عمليته التربوية، ولاستطاع أن يُرسِّخ المبادئ والقيم الإسلامية في نفوس المتربّين، ولاستطاع أن يوجّه سلوكياتهم، وأفعالهم، وانفعالاتهم، بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، بحيث تصدر بطريقة آلية وتلقائية، ومن غير استجابة لأي مؤثر خارجي.

كما أثبتت في هذه الدراسة أيضاً، بأن الالتزام هو الآخر آلية من آليات المنهج التربوي الإسلامي في ترسيخ القيم، والتي يصلح اعتماد المرّبين عليها في توجيه المتربّين وإصلاحهم، لضمان إنجاح عمليتهم التربوية.

كما أثبتت في هذا البحث، بأن الحوار كأسلوب تربوي، إذا دار بين اثنين، بهدف تربية أحدهما للآخر، فإنه لا يخرج عن أحد أمرين: إما حوار عن طريق الدّعوة والتذكير، وإما حوار عن طريق الاستفسار والاستدلال.

ففي هذه الحالة نستطيع القول بأن مصطلح الحوار، إذا خرج عن أحد هذين الأمرين، فإنه لا يصح إطلاقه، لأن كل مصطلح وله دلالة الخاصة به، فلانستطيع إطلاق لفظ الحوار على مناقشة عادية، أو قول، أو أي أمر من هذا القبيل، وأدلة ذلك ماثورة في هذه الدراسة من البحث.

إن هذه المستجدات المثبتة بالأدلة من القرآن والسنة، لا تُبدي أي اختلاف مع الدراسات السابقة، وإلا لما تمّ من خلال هذه الدراسات، ظهور الموضوع في شكله النهائي، المتمثل في بحث: ”المنهج التربوي الإسلامي وآلياته في ترسيخ القيم، في ضوء الكتاب والسنة“.

### أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

نظرا لتعدد المواضيع في هذا البحث، كان تنوع المصادر والمراجع كذلك، وذلك بحسب ما تقتضيه الحاجة في الاستلال بها، والاعتماد عليها، بحيث إذا ذكر مصدر أو مرجع في مبحث أو مطلب، فقد يتكرر اعتماده في مبحث آخر للاستفادة منه، وقد لا يتكرر أصلا للاستغناء عنه في بقية البحث، لذلك، فإن أهم المصادر والمراجع المعتمدة من بداية البحث لنهايتها بعد كتاب الله تعالى، كانت عبارة عن تفاسير قديمة وحديثة، إضافة إلى مصنّفات الحديث النبوي الشريف، والدراسات والبحوث ذات الصلة بموضوع التربية عموما، والإسلامية منها بالأخص.

### صعوبات البحث:

لا يخلو أي بحث من الصعوبات التي يتلقاها الباحث أثناء دراسته لموضوع ما، خاصة وأن هذه الدراسة تندرج ضمن مجال التفسير الموضوعي، الذي يهدف في أساسه إلى الاعتماد على الدراسات القرآنية والسنية، التي تتطلب تحري الدقة والحذر أثناء استنباط الاستنتاجات من تفسير الآيات القرآنية على وجه التحديد، وكذا من الاستدلال بالأحاديث النبوية، بالرغم من الاعتماد على التفاسير في ذلك، إلا أن الفهم قد يأخذ منحى مغايرا أحيانا لمعاني الآيات أو الأحاديث، إما لعدم الفهم الجيد لها، أو رغبة منا في



إيجاد ما يخدم البحث، بحيث ينبني على ذلك تصوّرات واعتقادات، تفضي في نهايتها إلى نتائج مخالفة للمعنى الأصلي لها، فيكون ذلك من أنواع الخوض في كلام الله تعالى بغير علم، بالنسبة للآيات القرآنية، أو يكون نوعاً من الكذب على النبيّ صلى الله عليه وسلّم بغير علم، بالنسبة للأحاديث النبوية.

### خطة البحث:

لقد تمّ تقسيم هذا البحث إلى مقدّمة، ومدخل، وأربعة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة فقد تناولت بيان كلّ من إشكالية البحث، وأهمية الموضوع، ودوافع اختياره، وأهدافه، والمنهج المتّبع في البحث، والمنهج في عرض المادة، والدراسات السابقة، ثم بيان أهم المصادر والمراجع، وبعدها ذكر صعوبات البحث، وخطّته.

المدخل: وقد تمّ فيه بيان المفهوم اللغوي، والاصطلاحي لكل من المنهج، والتربية، والآلية، والرسوخ، والقيم.

أما الفصل الأول فقد كان بعنوان: حقيقة المنهج التربوي الإسلامي، بحيث تفرّغ عنه مبحثين، تمّ في المبحث الأول بيان أسس المنهج التربوي الإسلامي، وأما المبحث الثاني فتّم فيه ذكر أهداف المنهج التربوي الإسلامي.

وأما الفصل الثاني فقد عُنون بخصائص المنهج التربوي الإسلامي، كما اندرج ضمنه مبحثين، جاء الحديث في المبحث الأول عن الربّانية، كما تناول المبحث الثاني الحديث عن الإحاطة.

أما في الفصل الثالث الذي كان بعنوان أساليب المنهج التربوي الإسلامي، فقد تمّ فيه عرض مبحثين، جاء في المبحث الأول بيان التربية بالتشويق، وأما المبحث الثاني فكان الحديث فيه عن التربية بالحرص على التوجيه الرشيد.

وأما الفصل الرابع فقد تناول بحث آليات المنهج التربوي الإسلامي في ترسيخ القيم، والذي تضمّن مبحثين، تمّ في المبحث الأول بيان آلية العادة في ترسيخ القيم، وأما المبحث الثاني، فتناول آلية الالتزام في ترسيخ القيم.

أما الخاتمة، فقد تمّ فيها عرض النتائج المتوصّلة إليها، إضافة إلى طرح بعض التوصيات المهمة.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ولحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات

مَدِينَةُ

مَدِينَةُ

## توطئة:

إن موضوع المنهج التربوي الإسلامي، من المواضيع الهامة والضرورية، التي يجب علينا دراستها، وفهمها فهما صحيحا، وتسليط الأضواء عليها، وفق كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لأننا في أمس الحاجة إلى منهج رباني، يكون لنا ملاذا آمنا مما نحن فيه، وذلك لما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم أكثر من أي يوم مضى، من الانحلال الأخلاقي، والبعد عن الدين، والتفكك من القيم الإسلامية، والمعاملات الغربية التي تمس بديننا الحنيف، والتصرفات والسلوكات، والظواهر التي ظهرت فجأة في فترة قصيرة، والتي في حقيقتها عبارة عن تراكمات لأمراض خبيثة لم نكن نلاحظها من قبل، حتى تفشيت بصورة سريعة وبطريقة ملحوظة، يصعب التحكم فيها أو تغييرها في وقت أقصر، وهذا من الصعب تحقيقه، لذلك جاءت هذه الدراسة لترتكز تركيزا دقيقا على أهم الحلول التي قد تُخرج الأمة من هذه المحنة الأخلاقية التي مستها فأضرت بها، عسى أن ينفع الله بها المسلمين، ولو بعد حين.

ومنه، فإن السعي من خلال هذه الدراسة، يكمن في البحث عن طريقة آليات دقيقة، تمكن المرّين من ترسيخ المبادئ الإسلامية الصحيحة، والقيم الأخلاقية الفاضلة، والسلوكات الدينية المرجوة، التي ارتضاها الله تعالى من خلال منهجه الإسلامي القويم، في نفوس المسلمين المترّين، والعودة بالمتفكّين عن دين الله، والمفترّين في الواجبات، نحو سبل السلام، وهذا كله يستوجب وجود قاعدة أو نظرية مستقاة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، تكون منهجا تربويا لنا، تؤتي ثمارها آليا عند استخدامها ولو بعد حين، المهم أن نؤمن بتأثيرها على النفوس إذا ما طبقت، وألا نستعجل النتيجة .

لمعرفة ذلك كلّ، لا بدّ أولا من إعطاء الموضوع حقه من البحث في المجال اللغوي من خلال كلام العرب ولسانهم، وفهمه الفهم الصحيح، ثم البحث في المجال الذي اصطلح عليه العلماء، للخروج في الأخير بالمعنى المستخلص منهما.

## المنهج لغة:

ذكر علماء اللغة لفظ المنهج في معاجمهم، وبيّنوا المعنى اللغوي لمادة (نَهَج)، فكان اتّفاقهم جميعاً على أن المنهج هو الطريق، فقد ذكر ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة أن "النون والهاء والجيم أصلان متباينان، الأول: النهج: الطريق، ونَهَجَ لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج الطريق أيضاً، والجمع: المناهج"<sup>1</sup>، كما أضاف في كتابه مجمل اللغة معنى للمنهج، فقال: "النهج: الطريق، وقد نَهَج فلان الطريق: بيّنه، وهو منهاج مستقيم."<sup>2</sup>

أما ابن منظور فيعرّف المنهج قائلاً: "نَهَج: طريق نَهَج: بيّن واضح وهو المنهج، ... والجمع نَهَجَاتٌ ونُهَجٌ ونُهُوجٌ، ... وطُرُقٌ نَهَجَةٌ، وسبيلٌ مَنُهَجٌ: كَنَهَجٍ، ومنهج الطريق: وضْحُهُ، والمنهاج: كالمنهج، وفي التنزيل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ (المائدة) .. والمنهاج الطريق الواضح، واستنهج الطريق صار نَهَجًا، وفي حديث العباس: لم يمّت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترككم على طريق ناهجة، أي واضحة بيّنة، .. والنهج: الطريق المستقيم."<sup>3</sup>

ويقول الجوهري في صحاحه: "النهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق، أي استبان وصار نَهَجًا واضحاً بيّناً، ونَهَجَتِ الطريق، إذا أبنته وأوضحته، وفلان ينتهج سبيل فلان، أي يسلك مسلكه."<sup>4</sup>

أما في المعجم الإسلامي لظه أبو الذهب، فلم يكتف بذكر الطريق للمنهج، بل زاد عليه لفظ الوضوح فقال: "نَهَج: طريق واضح، نَهَجَ الأمرُ: وضِح واستبان، ونَهَجَ سبيل فلان: سلك مسلكه، والنهج القويم: الطريق المستقيم الواضح."<sup>5</sup> كما جاء في مجمع اللغة العربية معنى آخر، جاء فيه: "نَهَجَ الطريق نَهَجًا

<sup>1</sup> \_ أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1399هـ -1979م، 361/5 .

<sup>2</sup> \_ أحمد بن فارس بن زكريا، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ -1986م، 845/3 .

<sup>3</sup> \_ ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، 4554/6، 4555 .

<sup>4</sup> \_ الجوهري، الصحاح \_ تاج اللغة وصحاح العربية \_ دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ -1988م، 346/1 .

<sup>5</sup> \_ ظه أبو الذهب، المعجم الإسلامي \_ الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ -2002م، ص626 .

ونُهجاً: وضح واستبان، ..بيّنه وسلّكه، .. استنهج الطريق: صار نُهجاً، وسبيل فلان: سلك مسلكه، المنهـاج: الطريق الواضح، .. ومنه: منهـاج الدراسة، ومنهـاج التعليم ونحوهما، جمع مناهج، المنهـجُ: المنهـاج، جمع مناهج، .. يقال: طريق ناهج: واضح بيّن، النهـجُ: البيّن الواضح، .. يقال: هذا نُهجي لا أحميد عنه<sup>1</sup>.

عند جمعنا لتعاريف علماء اللغة، نُخلص إلى أن المعنى الإجمالي للمنهج لغة، هو: الطريق الواضح البيّن.

### المنهج اصطلاحاً:

أما المعنى الاصطلاحي للمنهج، فقد ذكر الخياط في معجم المصطلحات بأن: "النهج: خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر، ويتبعها للوصول إلى نتيجة، ... الطريق التي يستخدم معها الباحث بيانات كمية (كالعدد أو الحجم أو القياس أو الوزن) للوصول إلى نتيجة، والمنهج على العموم هو الطريق الواضح في التعبير عن الشيء، أو عمل شيء أو في تعليم شيء طبقاً لمبادئ معيّنة ونظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة، يقول ديكرت: (أنا أقصد بالمنهج قواعد مؤكدة بسيطة، إذا راعاها الإنسان مراعاة دقيقة كان في مأمن من أن يحسب صواباً ما هو خطأ)."<sup>2</sup>

من خلال هذه الاصطلاحات نستنتج بأن المنهج هو:

- 1\_ خطوات منظمة يتبعها الباحث في مسألة ما ليصل إلى نتيجة .
- 2\_ طريقة يستعمل معها الباحث بيانات كمية للوصول إلى نتيجة .
- 3\_ طريق واضح لمسألة ما وفق مبادئ معيّنة، ونظام معيّن، وصولاً إلى غاية معيّنة.
- 4\_ قواعد مؤكدة بسيطة، ومراعاتها بدقّة يضمن عدم الوقوع في الخطأ .

أما كتاب قواعد أساسية في البحث العلمي فقال فيه صاحبه: "لقد سبق القول بأن لكلمة (المنهج) استعمالين: أحدهما عام والآخر خاص، وأن مدلولهما في الحالتين متقاربان، فالمنهج يأتي بمعنى السمة الغالبة على مجموعة من الظواهر الفكرية أو السلوكية ..، ويأتي بمعنى الطريق أو الطريقة المحددة التي توصل الإنسان

---

<sup>1</sup> \_ المعجم الوسيط، مجّع اللغة العربية، الإدارة العامّة للمعجمات وإحياء التراث، مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ \_ 2004م، ص957.

<sup>2</sup> \_ يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، عربي، فرنسي، أنكليزي، لاتيني، دار لسان العرب، بيروت، د.ط، د.ت، ص690.

من نقطة إلى نقطة أخرى، لهذا لو قلنا لكل بحث منهج لما أخطأنا القول، فالمنهج في البحث يعتبر وحدة متكاملة ذات كيان مستقل، تتألف من أساليب ووسائل معنوية ومادية. ولهذا من الضروري التمييز بين المعنى العام لكلمة (منهج) وبين معناها في سياق محدد، وهو لا يختلف عن قولنا: (إنسان)، ونقصد به اسم جنس، ونقول (إنسان) في سياق محدد، ونقصد به شخصا بعينه<sup>1</sup>، كما نخلص أيضا إلى أن المنهج اصطلاحا هو:

1\_ طريقة محدّدة توصلنا من نقطة إلى أخرى .

2\_ وحدة متكاملة مؤلفة من أساليب ووسائل ماديّة ومعنويّة .

بإمعان النظر في هذه الاصطلاحات التي لا نرى في ظاهرها اختلافا، يمكننا الجمع بينها والخروج بتعريف جامع لمعانيها السابقة، ليكون كالاتي:

المنهج طريقة بيّنة ووحدة متكاملة، بمراعاة قواعدها البسيطة في استعمال بيانات كمية لمسألة ما، وفق مبادئ معيّنة ونظام معيّن، تضمن لنا الوصول إلى نتيجة معيّنة دون الوقوع في الخطأ .

### التربية لغّة:

يقول الفيروزبادي في قاموسه المحيط: "الربّانيّ المتألّه العارف بالله عز وجلّ، وربّ: جمع وزاد ولزّم وأقام كأربّ، والأمر أصلحه والدهن طيّبه كرتّبه والشّيء ملكه.. والصبيّ ربّاه."<sup>2</sup>

و جاء في الصحاح: "ربّ كل شيء: مالكة، والربّ: اسم من أسماء الله عز وجلّ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، ربتُ القوم: سئستهم، أي كنت فوقهم، وربّ الضيعة، أي أصلحها وأتمّها، وربّ فلان ولده يرثه ربّا، وربّته، وترتّبته، بمعنى أي ربّاه"<sup>3</sup>، ويقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: "ربّ: الراء والباء يدلّ على أصول، فالأول إصلاح الشّيء والقيام عليه، فالربّ: المالك، والخالق، والصاحب، والرّبّ: المصلح للشّيء، يقال: ربّ فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها، والرّبّ: المصلح للشّيء، والله جلّ ثناؤه الرّبّ، لأنّه مصلح أحوال خلقه."<sup>4</sup>

1 \_ سعيد إسماعيل، قواعد أساسية في البحث العلمي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1415هـ 1994م، ص75.

2 \_ محمد بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1302هـ، 70/1.

3 \_ الجوهرى، الصحاح، 130/1.

4 \_ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 382/2. وكذا كتابه: مجمل اللغة: ص 370.

و " ربّ الولد ربّاً: وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه، .. والقوم: رأسهم وساسهم، .. والشيء: ملكه، .. والشيء: أصلحه ومثنه."<sup>1</sup>

كما جاء في لسان العرب أن: "الربّي: العالم الراسخ في العلم والدين، أو العالم العامل المعلم، أو العالي الدرجة في العلم، .. وربّ لبقوم: ساسهم، .. وربّ الشيء: ملكه، قال ابن الأنباري: الرّب ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرّب: المالك، ويكون الرّب: السيد المطاع، ويكون الرّب: المصلح، .. وربّ ولده (الصبي) يرّبّه ربّاً: ربّاه، أي أحسن القيام عليه ووليه (حتى أدرك) أي فارق الطفوليّة، كان ابنه أو لم يكن، وترّبّه، وارثه، وربّاه تربية: .. أحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولة، كان ابنه أو لم يكن."<sup>2</sup>

إن ارتباط مفهوم التربية في اللغة بمادّة "ربّ"، يبرز لنا عدّة معان، كالنماء، والإصلاح، والترعرع، والتعليم، وتوليّ الأمور، فإذا جمعنا بينها خرجنا بأقرب معنى للفظ التربية كما يأتي:

التربية هي تعهّد الشيء بحسن القيام على إصلاحه.

### التربية اصطلاحاً:

ذكر أبو البقاء التربية في الكليات، فقال: "هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً"<sup>3</sup>.

أما الراغب الأصفهاني فقال في كتابه: "الربّ في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام"<sup>4</sup>.

من خلال هذين التعريفين الاصطلاحيين، ندرك بأن العملية التربوية تتسم بالتدرّج، من بدايتها إلى تمامها، وعليه، نخلص بالقول إلى أن:

التربية هي تعهّد الشيء بحسن القيام على إصلاحه شيئاً فشيئاً، حتى يتمّ بلوغه حدّ التمام والكمال .

<sup>1</sup> \_ المعجم الوسيط، مجّع اللغة العربية، ص320.

<sup>2</sup> \_ ابن منظور، لسان العرب، 1547/3.

<sup>3</sup> \_ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1419هـ - 1998م، ص314 .

<sup>4</sup> \_ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز للنشر، د.ط، د.ت، ص148.



## الآلية لغة:

أما معنى الآلية في معجم المعاني الجامع<sup>1</sup> ، فهي كالاتي:

الآلية: اسم مؤنث منسوب إلى آلة.

ولأن الآلة كما بيّنها أبو البقاء في الكلّيات<sup>2</sup>: "كل اسم اشتقّ من فعل، إسماء، لأن يُستعان به في ذلك الفعل، فهو الآلة."

## الآلية اصطلاحا:

أما المعنى الاصطلاحي للفظ "الآلي أو الذاتي: وهو مما يصدر تلقائيا عن الجسم، بدون توجيه شعوري أو استجابة لمؤثر خارجي، .. ويتحرّك بشكل آلي، أي: بشكل ذاتي، من داخله، .. وحركة آلية، أي: تلقائية، غير موجّهة ولا مقصودة."<sup>3</sup>

للمجمع بين هذه المعاني، نستطيع القول بأن الآلية: هي كل فعل تلقائي يصدر من ذات الإنسان، دون أن يكون موجّهًا أو مقصودًا، أو أن يكون استجابة لأي مؤثر خارجي .

## الرسوخ لغة:

ذكر ابن منظور معنى الرسوخ في كتابه فقال: " رسخ الشيء يرسُخ رسوخا: ثبت في موضعه، وأرسخه هو، والراسخ في العلم: الذي دخل فيه، وكل ثابت: راسخ، ومنه الراسخون في العلم، ... وأرسخته إرساخا كالحبر رسخ في الصحيفة، والعلم يرسُخ في قلب الإنسان، والراسخون في العلم في كتاب الله: المدارسون."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> \_ معجم المعاني الجامع، معجم عربي عربي، موقع المعاني (لكل رسم معنى)، غياب المعلومات الخاصة بالمعجم، تكمن في عدم

التمكن من تحميلة، وحيازته، إضافة إلى غياب هذا اللفظ في معاجم اللغة العربية المعتمدة .

<sup>2</sup> \_ أبو البقاء، الكلّيات، ص 164 .

<sup>3</sup> \_ معجم المعاني الجامع، عربي عربي، موقع المعاني (لكل رسم معنى) .

<sup>4</sup> \_ ابن منظور، لسان العرب، 18/3، وكذا محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد السلام محمد

هارون، مطبعة حكومة، الكويت، ط2، 1415 هـ\_1994م، 257/7، 258 .

## الرسوخ اصطلاحاً:

جاء في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، "المراد بالراسخين في العلم: الذين تمكّنوا في علم الكتاب، ومعرفة محامله، وقام عندهم من الأدلة ما أرشدهم إلى مراد الله تعالى، بحيث لا تروج عليهم الشبه، .. واستُعيّر الرسوخ، لكمال العقل والعلم، بحيث لا تضلّله الشبه، ولا تتطرّقه الأخطاء غالباً، .. فالراسخون في العلم: الثابتون فيه، العارفون بدقائقه، فهم يُحسنون مواقع التأويل ويعلمونه."<sup>1</sup>

للمجمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، نستطيع القول بأن الرسوخ هو التمكين من الشيء والثبات عليه.

## القيم لغّة:

جاء في لسان العرب: "القيمة: واحدة القِيم، وأصله الواو، لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة: ثمن الشيء بالتقوم، تقول: تقاوموه فيما بينهم، .. والاستقامة: التقويم، لقول أهل مكة، استقمت المتاع، أي قوّمته، .. والقائم بالدين: المستمسك به الثابت عليه، .. وكل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه، .. وكذلك فلان قائم بكذا إذا كان حافظاً له متمسكاً به، .. وقِيم الأمر: مقيمه، وأمر قِيم: مستقيم، وفي الحديث: أتاني ملك فقال: أنت قُتْمٌ وخُلُقُكَ قِيمٌ، أي مستقيم حسن، وفي الحديث: ذلك الدين القِيم، أي المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق، وقوله تعالى: ﴿ فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ۝٣ ﴾ (البينة): أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان، عن الزجاج، وقوله تعالى: ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۝٥ ﴾ (البينة)، أي دين الأمة القِيمة بالحق، ويجوز أن يكون دين الملة المستقيمة، قال الجوهري: إنّما أنّته لأنه أراد الملة الحنيفية، .. والمِلَّة القِيمة: المعتدلة، والأمة القِيمة كذلك، .. ويقال: رمح قويم، وقوام قويم، أي مستقيم، وأنشد ابن بريّ لكعب بن زهير:

فهم ضربوكم حين جرتم عن الهدى \*\*\* بأسيافهم حتى استقمتم على القِيم<sup>2</sup>

كما جاء في القاموس المحيط بأن: "القيمة بالكسر واحدة القِيم، .. واستقام اعتدل، وقوّمته عدلته، فهو قويم ومستقيم"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> \_ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984م، 164/3 .

<sup>2</sup> \_ ابن منظور، لسان العرب، 3783/5 ، 3784 ، 3785 .

<sup>3</sup> \_ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 165/4، 166 .

وذكر الجوهري بأن "القيمة: واحدة القِيم، والاستقامة: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر، وقومت الشيء فهو قويم، أي مستقيم، والقوام: العدل"<sup>1</sup>، أما ابن فارس فيقول: "قَوِّمْتُ الشيء تقويمًا، وأصل القيمة الواو، وأصله أنك تُقيم هذا مكان ذلك، هذا قوام الدين والحق، أي به يقوم"<sup>2</sup>.

كما ذُكر في المعجم الوسيط أن "القيمة: قيمة الشيء: قدره، وقيمة المتاع: ثمنه، .. جمع قِيم، ويقال: ما لفلان قيمة: ما له ثبات ودوام على الأمر، .. وأمر قِيم: مستقيم، القِيمة: الأمة القِيمة: المستقيمة المعتدلة"<sup>3</sup>.  
مما سبق، فإن لفظ (القيمة) مرتبط بمادة (قَوِّم)، والتي أفادت عدّة معانٍ، منها:

1\_ قيمة الشيء وثنمه وفائدته.

2\_ الاستقامة والاعتدال .

3\_ نظام الأمر وعماده .

4\_ الثبات والدوام والاستمرار .

وللجمع بين هذه المعاني، نستطيع القول بأن ثمن الشيء وقدره، يطلق على الشيء المادي، كما يُطلق على الشيء المعنوي، وما دام حديثنا في هذا البحث عن الأخلاق والسلوك، فإن القيم هنا تُعدّ شيئًا معنويًا، خاصة إذا أُطلقت على الأخلاق والمبادئ الصحيحة، والمتميّزة بالاستقامة والثبات، لذلك فالقيم تشير إلى الخصال الحميدة والفاضلة، التي تدعو الإنسان للاتّصاف بها.

### القيم اصطلاحًا:

" القيم هي مجموعة من القوانين والمقاييس، تنبثق من جماعة ما، وتتخذها معايير للحكم على الأفعال والتصرّفات، وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة، بحيث يصبح لها صفة الإلزام والعمومية، وأي خروج عليها أو انحراف عن اتجاهها يُعدّ خروجًا عن مبادئ الجماعة ومثُلها العليا، .. وبعبارة أخرى: يُقصد بالقيم بأنها المعايير التي تحكم على سلوك الفرد واستجابته للمواقف المختلفة."<sup>4</sup>

1 \_ الجوهري، الصحاح، 2017/5 .

2 \_ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 43/5 .

3 \_ مجمّع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 768 .

4 \_ د. صبحي حمدان أبو جلاله، ود . محمد حميدان العبادي، أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع،

ط1، 1422هـ\_2001م، ص 17، .. 31 .

وبهذا المعنى يعرف الدكتور صالح الدقلة<sup>1</sup> القيم على أنها معيار يحكم السلوك ويرينا الصحيح من الخطأ، أو هي غاية معنوية تجدد النفس طاقة وراحة في السعي لفعلها وتحقيقها، كالحرية والاجتماع والنصر، وغيرها. كما يقول عالم آخر: "والقيم بهذا إدراك معرفي وإرادة نفسية يتدخل فيهما العقل والشعور، ليتبلور في ممارسات يجليها الواقع، عبر السعي إلى تحقيق غايات معينة، وفي معايير ثابتة ومقاييس موضوعية تحكمها تعاليم ملزمة، وتوضحها تطبيقات منضبطة، وترسخها تقاليد متداولة؛ لكن دون التجرد من فعل الذات، بكل ما يعمل فيها من مؤثرات تتدخل في التمييز، ثم في توجيه الرغبات؛ مما يعكس مدى الالتزام بما تفرضه تلك المعايير والمقاييس وما لها من سلطة، كما يعكس رد فعل الآخرين تجاه هذا السلوك؛ وما يثير في النهاية معادلة ثنائية بين ما هو فردي وما هو جماعي، ثم بين ما هو ظاهر وما هو باطن، وكذا بين ما هو صواب وما هو خطأ."<sup>2</sup>

لكن الدكتور صالح الدقلة يبين بأن القيم معاني، لذلك، ومن خلال كل المعاني السابقة، نستطيع الجمع بينها، لنقول في الأخير بأن: القيم معيار ثابت، تحكمه تعاليم ملزمة، تمنحه صلاحية التحكم في السلوك، من حيث القبول أو الرد.

للجمع بين جميع المفاهيم اللغوية والاصطلاحية، بما يوافق عنوان البحث، الموسوم: بالمنهج التربوي الإسلامي وآلياته في ترسيخ القيم، نستطيع القول: هو تعهد الإنسان بحسن القيام على إصلاحه، حتى بلوغه حد الكمال، وفق طريقة إسلامية بيّنة، يضمن أتباعها، الوصول إلى النتائج المرجوة دون الوقوع في الخطأ، بغية التمكّن من المعايير الثابتة، لإصلاح الأفعال وجعلها تصدر ذاتياً وتلقائياً، دون قصد ولا توجيه خارجي.

<sup>1</sup> د. صالح الدقلة، دورة تدريبية بعنوان: أساسيات بناء القيم، المركز الريادي للتدريب والتطوير، أمها بالمملكة العربية السعودية، سنة 1435 هـ.

<sup>2</sup> عباس الجراري، قضايا للتأمل برؤية إسلامية، مطبعة الأمنية، الرباط، ط1، 1429 هـ/2008م، 157/2.

## الفصل الأول: أسس المنهج التربوي الإسلامي وأهدافه

### المبحث الأول: أسس المنهج التربوي الإسلامي

المطلب الأول: تميّز المنهج التربوي الإسلامي عن المناهج

التربوية الوضعية

المطلب الثاني: حقيقة الإنسان

المطلب الثالث: حقيقة الألوهية

المطلب الرابع: حقيقة الكون

المطلب الخامس: حقيقة الحياة

### المبحث الثاني: أهداف المنهج التربوي الإسلامي

المطلب الأول: إعداد الفرد المسلم

المطلب الثاني: تحقيق الخيرية للأمة المسلمة

المطلب الثالث: بناء الحضارة الإسلامية

## تمهيد:

إن الفساد الذي تعاني منه الأمة العربية والإسلامية اليوم، بسبب الانحلال في الأخلاق، والتفلّت عن القيم الفاضلة، والخروج عن المبادئ الإسلامية الصحيحة، كلها تنبثق عن الثقافات الغربية المستوردة، والمستوحاة من المناهج الفكرية والتربوية الخاطئة، التي تدعو للتقدّم واللحاق بالركب الحضاري، والتي هي في حقيقتها على عكس ذلك، إذ عجزها في القضاء على مشاكلها المتزايدة يوماً بعد يوم، وعجزها في تكوين الأفراد الصالحين، يوحي بأن نظرتها للأشياء قاصرة، وأن مدة صلاحيتها محدودة، على عكس منهجنا التربوي الإسلامي، الذي يسعى لتربية الأفراد تربية صالحة، يدعو من خلالها إلى مراعاة جميع الجوانب الحياتية، والمجالات الاجتماعية.

إن منهجنا إسلامياً ربّانياً كهذا، لا يتخلّى عنه ويتطلّع لغيره، إلا غافل أو جاهل لا يفرّق بين المفاهيم والثقافات، ولا يدرك حقيقته الإنسانية، ولا غاية وجوده على هذه الأرض، ونظراً لوجود هذه النظرة القاصرة للمنهج التربوي الإسلامي، لا يسعنا إلا بيان حقيقة هذا المنهج، من خلال بيان أسسه وأهدافه.

## المبحث الأول: أسس المنهج التربوي الإسلامي

يسعى المرثون لترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة في المترئين، لكن اعتمادهم على منهج معين دون المنهج الإسلامي، أو خلطهم بين المناهج، لا يحقق إنجاز العملية التربوية، لأنه قد "تتفق مختلف الثقافات والأمم على على أسماء القيم الإنسانية، ولكنها تختلف في تفسيرها، فالحرية والعدل والأخلاق والمعرفة والسلام والحرب، كل هذه المفاهيم تجد لها في كل فكر وأمة ومذهب، مفهوما متميزا، أما الإسلام فإنه يقرر في ذلك أصفى وجهة نظر، وأصدق رأي، مستمداً ذلك من الفطرة الإنسانية الصافية، وتكامل النظرة الجامعة، وبذلك بنى الإسلام منهجا مستقلاً له طابعه الرباني المستمد من الوحي والنبوة، والقائم على أساس الإخاء الإنساني، والمسئولية الفردية، والجزاء الأخروي، بعيداً عن الإكراه في الدين، أو العنصرية، أو الوثنية، أو المادية، أو الإباحية، فأنشأ بذلك الأمة المختارة بالإيمان والتوحيد."<sup>1</sup>

وعلى هذا الأساس يمكننا بيان التميز الذي يتفرد به المنهج التربوي الإسلامي عن غيره من المناهج التربوية الوضعية، ويكون بيان ذلك كما يأتي:

### المطلب الأول: تميز المنهج التربوي الإسلامي عن المناهج التربوية الوضعية

إن سبب المشاكل التربوية التي تعاني منها الأمة العربية والإسلامية اليوم، هو التطلع للمناهج التربوية الغربية، التي لا تتفق مع مبادئنا الإسلامية، ومزجها بالمنهج التربوي الإسلامي، مع عدم الاكتفاء بهذا الأخير الذي يتفق مع ديننا، وعاداتنا، والذي يلبي جميع متطلبات الفرد المسلم، من جميع الجوانب والمجالات، لذلك، فإن الناظر المدقق في معظم مناهج التربية في العالم العربي، يرى أنها في حيرة وتردد بين الأصالة والاقْتباس، فهي تأخذ القليل من منهج التربية الإسلامية، وتأخذ الكثير من مناهج الغرب وطرائقهم وأساليبهم، دون وعي بالقيم والمبادئ الصريحة وغير الصريحة التي تتضمنها فلسفات المناهج الغربية، التي لا

<sup>1</sup> \_ أنور الجندي، دراسات في الإسلام، أحاديث إلى الشباب (عن العقيدة والنفس والحياة) في ضوء الإسلام، يصدرها: المجلس

الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، العدد 165، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، 1394هـ\_1974م،

ص 26، 27 .

تتنفق في معظمها مع مقومات وخصائص المنهج الإسلامي العام، ولا تتفق - بالتالي - مع المقومات العقائدية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية للشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي.<sup>1</sup>

إن الفرق بين واضح بين المناهج التربوية الوضعية، القاصرة عن إدراك مكنون النفس وخفاياها، والعاجزة عن إدراك متطلباتها، وبين المنهج التربوي الفريد، الذي هو من عند الله العليم بخلقها، والخبير باحتياجاتهم، يقول الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك).

إن الذي يجعلنا نعترّ بديننا، "أن للإسلام منهاجا متكاملا للتربية، وهو منهج فريد بين كل مناهج الأرض، فهو وإن التقى مع بعضها في بعض التفاصيل والفروع، إلا أنه يختلف معها في القواعد والأصول، وتكامل منهج التربية الإسلامية، يتمثل في شموله لكل دقائق النفس البشرية وجوانب الحياة الواقعية، كما يتمثل في أثره داخل النفس وفي واقع الحياة معا."<sup>2</sup>

ولمعرفة المنهج التربوي الإسلامي أكثر، لا بدّ لنا من بيان المنهج الإسلامي، ثم التربية الإسلامية، ليتسنى لنا بحث الأسس التي يقوم عليها هذا المنهج التربوي، والأهداف التي يعمل على تحقيقها، وفق ما يأتي:

### 1\_ المنهج الإسلامي:

بعد أن عرفنا المنهج من الناحية اللغوية والاصطلاحية، كان لزاما علينا أن نعود إلى كتاب الله تعالى، لمعرفة هذا المصطلح من خلال ما أورده العلماء في تفاسيرهم، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا<sup>٤</sup> وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ<sup>٥</sup> إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ<sup>٦</sup>﴾ (المائدة).

أما تفسير (شريعة ومنهاجا)، فيقول فيه ابن كثير: "وكذا روي عن مجاهد وعكرمة والحسن البصري وقتادة

1 \_ علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، ص 8 .

2 \_ علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، ص 8، 9 .



والضحاك والسدي وأبي إسحاق السبيعي أنهم قالوا في قوله: (شرعة ومنهاجا)، أي: سبيلا وسنة.<sup>1</sup>

ذكر الدكتور علي أحمد مذكور في كتابه عدّة تعاريف للمنهج، اللغوية منها والاصطلاحية، ثم بيّن بأن تعريف المنهج على أنه الطريق السهل الواضح، تعريف عامّ يصلح لكل جوانب الحياة، وأنه لا بدّ من التوجّه به نحو تخصّص التربية بالذات، فقام بذكر تعريف للمنهج يجمع عليه عند أهل التخصص، فقال: "ويرى معظم المتخصّصين المعاصرين في المناهج وطرق التدريس، أن المنهج التربوي هو مجموع الخبرات والأنشطة التي تقدّمها المدرسة، تحت إشرافها للتلاميذ، بقصد احتكاكهم بها وتفاعلهم معها، ومن نتائج هذا الاحتكاك والتفاعل، يحدث تعلّم وتعديل في سلوكهم، ويؤدّي هذا إلى تحقيق النمو الشامل المتكامل، الذي هو الهدف الأسمى للتربية."<sup>2</sup>

ثم عبّ على هذا التعريف، بأن المفهوم واسع من حيث شموله الخبرات التربوية المختلفة، وكذا شموله البرنامج المقرّر في الدراسة، فقال: "وهذا المفهوم للمنهج رغم اتّساعه وشموله، إلا أنه لا يصلح أن يكون مفهوماً لمنهج التربية الإسلامية، لأنه مفهوم يصل النّاس بالأرض، ويؤهلهم للاستمتاع بها، وعمارتها، والكفاح من أجلها، دون نظر إلى خالق الأرض والسماء، ومبدع الكون كلّ، ودون ربط للإنسان بمصدر وجوده، وسبب وجوده، وغاية وجوده، ولهذا فإن هذا المفهوم يصلح لكل المجتمعات ولكل الثقافات، فكل مجتمع يستطيع أن يُصمّم منهاجاً وفقاً لهذا المفهوم، يناسب حياته على الأرض."<sup>3</sup>

وبعد بيانه بأن هذا المفهوم قد يصلح مفهوماً لكل الثقافات وكل المجتمعات، إلا أنه لا يصلح أن يكون مفهوماً لمنهج التربية الإسلامية، وذلك لغياب أهم عنصر فيه، ألا وهو ربط الإنسان بخالق الأرض، وليس بالأرض فقط، ليبرز بيانه هذا أن "مهمة هذا المنهج الأولى والأخيرة: هي أن تصل الإنسان بالله، ليصلح حاله على الأرض وينظّم حياته فيها، فيعمّرها ويرقيها عن طريق الكدّ والكدح المستمرّين، وعن طريق

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجاوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة للنشر، جيزة، ط1، 1421هـ\_2000م، 248/5 .

<sup>2</sup> \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص80 .

<sup>3</sup> \_ علي أحمد مذكور، المرجع نفسه، ص80 .

التحليل فيها والتركيب، واستغلال كل الطاقات، والإمكانات المدركة التي منحها الله إياها، وبحيث يفعل كل هذا بينما يكون متّجها في نفس الوقت، بعقله وقلبه إلى الله تعالى، وهنا يرتبط ملكوت الأرض بملكوت السماء.<sup>1</sup>

وأخيرا، وبعد ذكره لمفهوم المنهج التربوي السابق، ثم تحليله ومناقشته، يرى بأن الحاجة تفرض إيجاد مفهوم مناسب للمنهج التربوي الإسلامي، فقال "إن منهج التربية في التصور الإسلامي هو: نظام من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة، التي تقدمها مؤسسة تربوية إسلامية إلى المتعلمين فيها، بقصد إيصالهم إلى درجات الكمال التي هيأهم الله لها، وبذلك يستطيعون القيام بحق الخلافة في الأرض، عن طريق الإسهام بإيجابية وفاعلية في عمارتها، وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله تعالى."<sup>2</sup>

ومن هذا المنطلق، يمكننا إدراك أهم ما يهتم به المنهج التربوي الإسلامي، وما يهدف إليه، إذ "المنهج الإسلامي يريّ ضمير الإنسان ووجدانه عن طريق عقد الصلة الدائمة بينهما وبين الله، في كل فكر أو عمل أو شعور، فيدعوا الإنسان إلى فتح بصيرته على آيات الله في الكون، واستشعار يد القدرة الخلافة المبدعة من ورائها، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة).<sup>3</sup> وعلى هذا الأساس، نستطيع القول بأن المنهج التربوي الإسلامي هو "المنهج الربّاني الذي يُصلح الحياة البشرية، لأنه منزل من عند اللطيف الخبير، الذي يعلم من خلق، ويعلم ما يُصلحه وما يصلح له، ومنزل من عند الحكيم العليم، الذي يُحيط علمه بكل شيء فلا تخفى عليه خافية،.. وذلك كله فضلا عن أنه

<sup>1</sup> \_ علي أحمد مدكور، المرجع نفسه، ص 81 .

<sup>2</sup> \_ علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، ص 81 .

<sup>3</sup> \_ علي أحمد مدكور، المرجع نفسه، ص 260 .

هو الله الذي يحق له وحده أن يُقرّر منهج الحياة للإنسان.<sup>1</sup>

إن المنهج الإسلامي، ما دام منهجا ربّانياً يتماشى مع الفطرة الإنسانية، فمن المستحيل "أن هذا المنهج الإلهي يكلف النفس البشرية جهداً، أشقّ من أن تطيقه أو تصبر عليه طويلاً،.. إنّه يعرف طريقه إلى النفس البشرية منذ اللمسة الأولى، يعرف دروبها ومنحنياتها، فيتدسّس إليها بلطف، ويعرف مداخلها ومخارجها، فيسلك إليها على استقامة، ويعرف قواها ومقدرتها فلا يتجاوزها أبداً، ويعرف حاجاتها وأشواقها فيلبّيها تماماً، ويعرف طاقاتها الأصلية البانية، فيطلقها للعمل البناء، وعلى كل رفعتة ونظامه وسموّه وسموّقه.. هو نظام للإنسان، لهذا يعيش على سطح الأرض، نظام يأخذ في اعتباره فطرة هذا الإنسان بكل مقوماتها، وخصائص تكوينه وتركيبه بكل مقتضياتها."<sup>2</sup>

لذلك كان "المنهج الإسلامي منهجا عالمياً، يتّسع باتّساع الزمان وباتّساع المكان، ولم تعرف الدنيا تشريعاً عالمياً غير الإسلام قط، لم تعرفه في الماضي، ولم تعرفه حتى اليوم،.. أما الإسلام، فلأنه اتّخذ من الإنسان هدفه، وغايته، ووسيلته، وأداته، فقد كان عالمياً بطبيعته، فمنذ اللحظة الأولى والقرآن يوجب الخطاب إلى النَّاس أجمعين."<sup>3</sup>

إن "منهج التربية الإسلامية يُرَبِّي التربية الإنسانية عن طريق إشعار المتعلّم بضرورة التقيّد بعهد الله، والالتزام بكل ما فيه من المبادئ والأوامر والنواهي، بغير التقيّد بفعل ما أمر الله به، والانتهاز عمّا نهي عنه لا تنبت الإرادة،.. فالإرادة هي مفرق الطريق بين عالم الإنسان وعالم الحيوان."<sup>4</sup>

ومادام الإنسان هو محور الحديث عن التربية في جميع نواحي الحياة، ومجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، ومادام دور المنهج التربوي الإسلامي يتمثل في إصلاح وتهذيب تفاعلات

1 \_ محمد قطب، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1418هـ-1997م، ص18 .

2 \_ سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1413هـ-1993م، ص14.

3 \_ سعيد إسماعيل علي، المرجع نفسه، ص17 .

4 \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص260 .

هذا الإنسان وانفعالاته، "فقد يكون المنهج واقعيًا، وقد يكون مثاليًا، وفي الحالين يستمد وجوده من المجتمع، فالمنهج الواقعي، وهو ما يدرس بالفعل، يستقي كيانه من المجتمع القائم، بينما المنهج المثالي، وهو ما يُطالب به المفكرون والمصلحون، يُلائم صورة المجتمع المثالية، التي يتخيّلها هؤلاء المفكرون في مدّهم الفاضلة"<sup>1</sup>، وإن تغيّر المجتمع للأفضل، فإن الإنسان يتغيّر معه أيضًا، نظرًا لمرونته وسرعة تأقلمه، لكن، بشرط ألا يخرج هذا التغيير عما يهدف إليه المنهج التربوي الإسلامي، والتقيّد بكل ما فيه من المبادئ والقيم الإسلامية.

## 2\_ التربية الإسلامية

ذكرنا المعنى اللغوي للتربية على أنه: تعهّد الشيء بحسن القيام على إصلاحه، وقد كان هذا المعنى مستخلصًا من المعاني اللغوية الجامعة لها، كالنماء، والإصلاح، والترعرع، والتعليم، وتولّي الأمور، وغيرها.

كما زاد بعضهم في تعريف له للتربية، بعدما ذكر عدّة تعاريف لغوية، فقال بأن التربية هي: "الإشراف على أمر الطفل، وحسن القيام عليه وتعهّده، ورعايته بالغذاء، وتوجيهه حتى يفارق الطفولة، كما تعني تعهّد الناس وتوجيههم، والتدرّج معهم في التعليم، والإشراف على أمورهم وسياساتهم بما فيه مصلحتهم، وكذلك الاهتمام بالعلم وملاحظة شأنه وتنميته، حتى يصل الإنسان فيه إلى شيء من الكمال، الذي يستطيع به تعليم الناس، والتدرّج بهم من صغاره إلى كبارهم، ويُستفاد أيضًا من هذه التعريفات، أن التربية هي مسؤولية المرّي والقيّم، والمدبّر لأمر الناس."<sup>2</sup>

من هذا التعريف نستنتج بأن التربية تُختص بعدّة معاني، نذكر منها:

1\_ الرعاية: وذلك بتعهّد الطفل بالرعاية والتوجيه، حتى يفارق الطفولة.

2\_ التدرّج في التعليم: وذلك بتعهّد الناس بالتدرّج في التعليم، وتوجيههم لما فيه مصلحتهم.

3\_ الاهتمام بالعلم: وذلك بتعهّده بالتنمية، حتى الوصول به إلى الكمال الذي يمكنه من تعليم الناس.

<sup>1</sup> \_ أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف للطبع بمصر، د.ط، 1968م، ص164 .

<sup>2</sup> \_ حسن بن علي بن حسن الحجاجي، الفكر التربوي عند ابن القيّم، دار حافظ للنشر والتوزيع، ط1، 1408هـ\_1988م،

ص156 .

قد يكون صاحب هذا التعريف، قد استقى تعريفه هذا للتربية، من خلال ورود ذكرها وذكر مشتقاتها في القرآن بعدة معاني، وهي:

" أ/ الحكمة والعلم والتعليم: قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (آل عمران)، (قال ابن عباس وغير واحد: أي حكماء، علماء، حلماء، وقال الضحاك: تعلمون أي: تُفهمون).<sup>1</sup>

ب/ الرعاية: قال الله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء)، وقال فرعون لموسى، في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ (الشعراء)، أي: (أما أنت الذي ربيناه فينا، وفي بيتنا وعلى فرشنا، وأنعمنا عليه مدة من السنين)<sup>2</sup>، وهذا يدل على أن من مدلولات التربية: الرعاية والعناية.<sup>3</sup>

وما دام حديثنا هنا عن التربية الإسلامية بالذات وبصفة خاصة، فإن معناها هو: "تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه، ابتغاء سعادة الدارين، وفق المنهج الإسلامي".<sup>4</sup>

وكذلك القول في أن "التربية الإسلامية تعيد الإنسان إلى جادة الطريق، وتعرفه بأن الله تعالى هو مربّي الناس أجمعين، وتربيته تعالى لخلقه نوعان:

أ\_ تربية عامة: وهي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم، لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

ب\_ تربية خاصة: وهي تربية لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفّقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف،

والعوائق الحائلة بينهم وبينه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 385/1 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، نفسه، 344/3 .

<sup>3</sup> \_ خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط1، 1420هـ\_2000م، ص18، 19 .

<sup>4</sup> \_ المرجع نفسه، ص19 .

(الشورى).<sup>1</sup>

لقد خلق الله تعالى عباده ولم يتركهم هملاً، وهياً لهم كل ما به سعادتهم الدنيوية والأخروية، وزودهم بكل ما يحتاجون إليه من نعم فقال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ (لقمان)، وسخر لهم ما في الكون جميعاً، فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ (٣٢) ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٣٣) ﴿وَعَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) (إبراهيم)، كل هذه النعم التي لا تُعد ولا تُحصى، تجعل الإنسان يتساءل عن حقيقته وذاته الإنسانية، والغاية من وجوده في هذا الكون، وحقيقة الحياة التي يحيها، كما يتساءل عن خالقه وخالق كل ما في الكون والحياة، والعلاقة التي تربطه بكل ذلك، ولا شك أن كل واحد منا يحق له أن يتساءل، ويحق له البحث عن الأجوبة الشافية، لذلك، "لا بد للإنسان من أن يفهم حقيقة الألوهية، وحقيقة الكون، وحقيقة الحياة، وحقيقة الإنسان، وما بينها جميعاً من ارتباطات، وبذلك يتعرّف على مركزه في هذا الوجود الكوني، وعلى غاية وجوده الإنساني، وحدود اختصاصاته، وعلاقته بخالقه وخالق الكون جميعاً، وبذلك يتحدّد أيضاً منهج حياته، ونوع النظام الذي يحقق هذا المنهج، والفرق بينه وبين المناهج البشرية أو الأرضية."<sup>2</sup>

وليتّم الله تعالى نعمه على خلقه، أودع فيهم العقل ليتدبّروا ويتفكّروا، وبعث فيهم الأنبياء والرسل ليبينوا لهم حقائق الأشياء بما يوافق الفطرة، وليعلّموهم ما لم يعلموا، فأرشدوهم إلى كيفية الإخلاص في التوحيد والعبودية لله تعالى، ليتّم لهم الاستخلاف في الأرض، وعداً منه، إن هم أطاعوه واتبعوا منهجه الإسلامي الرّباني، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور).

<sup>1</sup> \_ خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص 20، 21 .

<sup>2</sup> \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص 139 .

وعلى هذا الأساس، كان "التصوّر الإسلامي للألوهية، والكون، والإنسان، والحياة، هو أكمل وأشمل تصوّر عرفته البشرية، لأنه صادر عن رسالة الإسلام العالمية الخاتمة، إنه التصوّر الذي لا يأخذ جانبا من الوجود ويدع جانبا آخر.. وإنما يأخذ الوجود كله بعاديته وروحانيته، بشهوده وغيبياته، وكل كائناته، لذلك فإن هذا التصوّر بحقائقه الأربع: الألوهية، والكون، والإنسان، والحياة، هو القاعدة والأساس الذي يُبنى عليه منهج التربية الإسلامية."<sup>1</sup>

إن من رحمة الله تعالى وفضله على خلقه، أنه لم يكلف النفس ما لا طاقة لها به، ولم يُحمّل العقل فوق إدراكه، فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة)، فكان من الإسلام، أنه حين يعرض على الإنسان الحقائق الكبرى لأسس المنهج التربوي الإسلامي، والمصحوبة بالحجج المقنعة، ترد هذه الحقائق إلى العقل بكل سلاسة ووضوح، لتلقاها النفس بالقبول، تبعا لموافقته للفطرة الإنسانية السليمة. و بناء على هذا المنطلق، "فالكينونة البشرية تحتوي على عنصر الوعي، والفكر الإنساني لا بد أن يتلقّى شيئا مفهوما له، له فيه عمل، يملك أن يتدبّره ويطبّقه،.. والعقيدة الشاملة هي التي تلبي هذا الجانب وذاك، وتتوازن بها الفطرة،.. فهناك خصائص الذات الإلهية: من وجود، ووحداية، وقدرة، وإرادة، وخلق، وتدبير، وكلها مما يعمل الفكر البشري في إدراكه، ومما يستطيع أن يدرك ضرورته ومقتضياته في الوجود، والإسلام يعرض هذه الخصائص ببراهينها المقنعة، وهناك الكون وحقيقته، ومصدر وجوده، وعلاقته بخالقه، وعبوديته له، واستعداده لاستقبال الحياة، وعلاقته بالإنسان وعلاقة الإنسان به، وهناك الحياة بشقّي أنواعها، وأجناسها، وأشكالها، ودرجاتها، ومصدرها، وعلاقتها بطبيعة الكون، وعلاقتها بمبدعه ومبدعها، وهناك الإنسان وحقيقته، وخصائصه، ومصدره، وغاية وجوده، ومنهج حياته، وكلها ترد في منطوق مفهوم واضح، مريح للعقل والقلب، مدعم بالبراهين التي تلقاها الفطرة بالقبول والتسليم،.. قال تعالى: ﴿أَمْ أَلْخَذُوا مِنَ الْإِلَهَةِ مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ (١١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ الْإِلَهَةِ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢) لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ (٢٣) أَمْ أَلْخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلَ الْإِلَهَةِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢٤) (الأنبياء)."<sup>2</sup>

1 \_ علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص 139 .

2 \_ سيد قطب، خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته، دار الشروق للطباعة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 120 .

لقد اهتمّ الإسلام بوجود الإنسان، فبيّن له كينونته البشرية، وعرّفه بحقيقة نفسه الذاتية، ثمّ بعدها بيّن له العلاقة التي تربطه بخالقه، فعرّفه بحقيقة الألوهية والعبودية، كما بيّن له علاقته بالكون والحياة، ووضّح له حقيقة كلّ منهما، وأمره بالعلم والعمل وفق هذه العلاقة بقدر طاقته البشرية.

ولذلك، فالإنسان إذا ما عرف حقيقة نفسه، عرف ربّه، وإذا ما عرف ربّه، عرف حقيقة الكون والحياة، وإذا ما أدرك غاية وجوده في هذه الحياة، عرف كيف يستغلّ ويستخدم ما سُخّر له في هذا الكون وفق منهج الله، وإذا ما أدرك علاقته مع خالقه، ومع ما خلق، عرف منهجه وطريقه في هذه الحياة.

وعلى هذا الأساس، سيكون بيان حقيقة الإنسان، سابقاً لبيان حقيقة الألوهية، والحقائق الأخرى، والتي سيتمّ بيان كلّ منها كما يأتي:

## المطلب الثاني: حقيقة الإنسان

ليس من الغريب أن يسأل الإنسان عن حقيقته، والغاية من وجوده في هذه الحياة، والهدف الذي يجب تحقيقه من خلال وجوده هذا، لكن، لو أراد هذا الإنسان أن يحصل على الإجابة الشافية، المصحوبة بالحجج والبراهين المقنعة، يجب أن يعود لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لتكون معرفة حقيقة نفسه، دافعا قويا في تربيته وفق المنهج الإسلامي.

فإذا ما عاد الإنسان لمعرفة نفسه وذاته إلى كتاب الله تعالى، عرف بأنه "جزء من الكون، وهو مخلوق من طين الأرض، وفيه نفخة علوية من روح الله، فالإنسان في التصوّر الإسلامي هو هذان العنصران المختلفان، مترابطين ممتزجين في كيان كليّ واحد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الحجر).<sup>1</sup> لكن لوتتبّعنا الآيات التي ورد ذكر الإنسان فيها، لوجدناها على نوعين:

نوع رُفِعَ فيها ذكره، حتى بلغ غاية السمو والرفعة، فكان أكرم المخلوقات وأشرفهم عند الله تعالى، ونوع آخر وصل ذكره إلى أسفل منزلة، فكان أسوأ المخلوقات حالا عند الله، فما تفسير كل ذلك من القرآن؟

<sup>1</sup> \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص 145 .



النوع الأول: الآيات الدالة على أن الإنسان أشرف المخلوقات عند الله تعالى .

1\_ خلقه في أحسن تقويم: قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴿التين).

2\_ علمه الله: قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا أَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٣٣﴾ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٤﴾ (البقرة).

3\_ أسجد له ملائكته: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ (البقرة)

4\_ كرمه الله: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ (الإسراء).

5\_ سخر له ما في الكون: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿١٠﴾ (لقمان)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ (الحج).

6\_ خليفة الله في الأرض: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٥﴾ (البقرة).

النوع الثاني: بعض الآيات الدالة على أن الإنسان قد يكون أسوأ حالا عندما يضل عن سبيل الله تعالى .

1\_ ظلوم كفار: قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٦﴾ وَسَخَّرَ

لَكُمْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَيْنِ <sup>١٤٤</sup> وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ <sup>١٤٥</sup> وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ <sup>١٤٦</sup> ﴿١٤٦﴾ (إبراهيم).

2\_ ضالّ غافل: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلَنَعَمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَقِلُونَ <sup>١٤٧</sup>﴾ (الأعراف).

3\_ بخيل منوع: قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَلَّكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا <sup>١٤٨</sup>﴾ (الإسراء).

4\_ جحود كفور: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ <sup>١٤٩</sup>﴾ (العاديات)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ <sup>١٥٠</sup>﴾ (الزخرف).

نستنتج من الآيات أن فضل الله تعالى على الإنسان كبير، وأن نعمه عليه لا تُعدّ ولا تُحصى، وأن رحمته به أوسع من ملكه، لكن الذي يجب علينا التيقن منه، "ما يقرّره القرآن من أن الله سبحانه، خلق الإنسان ابتداءً في أحسن تقويم، وأنه لا يزول عن مكانه هذا إلا بغفلته عن الله، وأنه مبتلى بالخير والشر، وأن فيه الاستعداد للترجيح والاختيار مع الاستعانة بالله، الذي يعين من يجاهد لرضاه،.. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ <sup>١</sup> ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ <sup>٢</sup> إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ <sup>٣</sup>﴾ (التين).<sup>1</sup>

إن الله تعالى لما خلق عباده، لم يتركهم هملاً، ولم يأمرهم بما لا طاقة لهم به، بل من رحمته بهم، وحبّه لهم، بعث فيهم الرسل مبشرين ومنذرين، ليعلموهم ويربّوهم تربية إسلامية موافقة لمنهج الله تعالى، فبينوا لهم الحق والباطل، والأمر والنهي، فقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا <sup>٢</sup>﴾ (التين). ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا <sup>٣</sup>﴾ (الإنسان)، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا تِينَكُمْ مِثِّي هُدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى <sup>١٤٣</sup> وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

1 \_ سيد قطب، خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته، ص 133 .

الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ (طه)، وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ حَابَّ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس).

لقد جاء الإسلام ليعلم هذا الإنسان "أن الله فرض عليه تكاليف واضحة، ونهاه عن أمور كذلك واضحة، وهذه وتلك محدّدة لا شبهة فيها ولا غش، أما أمر الغيب والقدر وما هو مخبوء وراء النظر، فأمر لم يكلف الله المسلم بالبحث فيها، ولم يأمره بشيء يتعلق بها، غير الاعتقاد بقدر الله خيره وشره، ومن ثم فطريق المسلم الواضح محدّد مستقيم، طريقه أن ينهض بالتكاليف الواضحة ما استطاع، وأن يجتنب النواهي المحدّدة كما نهي، وأن يشتغل بمعرفة ما أمره الله به، وما نهي الله عنه، ولا يبحث في شيء وراءهما، من أمر الغيب المحجوب عن إدراكه المحدود، وما كان الله سبحانه ليكلفه شيئاً يعلم أنه لا طاقة له به، أو أنه ممنوع بمانع قهري عن النهوض به، وما كان الله سبحانه لينهاه عن شيء، يعلم أن لا طاقة له بالامتناع عنه، أو أنه مدفوع بدافع قهري لا يقاوم لإتيانه، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴿٣٨٦﴾﴾ (البقرة)، وقال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٣٩﴾﴾ (الأعراف).<sup>1</sup>

من خلال الآيات القرآنية، ندرك بأن السبب الذي يجعل ذكر الإنسان في القرآن الكريم متبايناً بين الرفعة والسوء، هو أن الناس عند الله نوعان لا ثالث لهما، نوع عرف الله تعالى، فانضبط بمنهجه، وعمل على رضاه، فكان من الفائزين، ونوع غفل عن الله، وانحرف عن منهجه، وعمل على إغضابه حتى مات، فكان من الخاسرين، ولكون هذا الإنسان مخلوق من طين الأرض، وفيه نفخة علوية من روح الله، وأن الغاية من وجوده في هذه الدنيا هي العبودية لله تعالى، فهو بإيمانه وعمله الصالح وشكره لله تعالى، قد يصل إلى درجة الملائكية، وبكفره وجحوده ونكرانه لنعم الله عليه، قد ينزل إلى دركات الحيوانية، وكل ذلك مرهون بمدى تحقيق الإيمان والعمل الصالح، لذلك كان الفرق بين الصنفين عند الله تعالى واضحاً بيناً، قال تعالى: ﴿أمر

<sup>1</sup> \_ سيد قطب، خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته، ص 134 .

نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٣٨﴾ (ص)، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (الجاثية).

ونستخلص أخيراً أن أمن الإنسان وأمانه، وفوزه ونجاته في الدنيا والآخرة، يكون بالإيمان والعمل الصالح، أي بتحقيق العبودية لله، وأن بلوغ درجة السمو والرفعة عند الله تعالى، لا يتأتى إلا بالتربية الروحية، والفكرية، والنفسية، والجسمية، والإيمانية الصحيحة، وفق المنهج التربوي الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (العصر)، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦٦﴾﴾ (مریم)، وقال: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾﴾ (طه).

وما دام باب رحمة الله مفتوحاً، فإن من عاد إليه مستغفراً، وتائباً، ومنيباً، قبله الله وتاب عليه، وغفر له من فرط رحمته بعباده، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٦﴾﴾ (الفرقان)، ولا تكون العودة إلى الله إلا بالتربية الصحيحة، التي توجهه للصواب، وترشده لأصح المسالك، لأن "شعور الإنسان بألوهية الله، وبوجود الله الواحد، هو شعور فطري، مستقر في أساس تكوينه، فالإنسان في تكوينه نفخة من روح الله، وعلاقته بخالقه، هي علاقة المخلوق بخالقه الرحمن الرحيم، وهي علاقة لا يستطيع أي مخلوق دفعها أو الحياد عنها."<sup>1</sup>

### المطلب الثالث: حقيقة الألوهية

لا بد لنا لمعرفة الألوهية، أن نعود أولاً لكتاب الله تعالى، حتى يتسنى لنا فهم هذه الحقيقة من مصدرها، يقول الله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾ (طه)، ذكر الطبري في تفسيره، قوله: " (إِنِّي أَنَا اللَّهُ ) يقول تعالى ذكره: إني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي (فاعبُدني)، يقول: فأخلص العبادة

<sup>1</sup> \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، ص 147، أخذها عن حسن البنا، أحاديث الثلاثاء، القاهرة،

لي دون كل ما عبد من دوني"<sup>1</sup>، كما جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية قوله: "(إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا)، هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وقوله: (فاعبدني)، أي: وحدني وقم بعبادتي من غير شريك"<sup>2</sup>.

يُعدّ توحيد الألوهية من أعظم الأصول التي يقوم عليها صلاح الإنسانية جميعاً، فإذا أدرك الإنسان بقلبه وعقله حقيقة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأفرد الله تعالى وحده بالعبادة دون أحد سواه، عرف بذلك غاية وجوده في هذه الدنيا ومنهجه في هذه الحياة، واستطاع أن يميّز بين منهج الله والمنهج البشرية الوضعية، لذلك "لا بدّ للمسلم من معرفة مركز الإنسان في هذا الوجود الكوني، وغاية وجوده الإنساني.. فمن هذه المعرفة يتبيّن دور الإنسان في الكون، وحدود اختصاصاته كذلك، وحدود علاقته بخالقه وخالق هذا الكون جميعاً،.. ويتحدّد منهج حياته، ونوع النظام الذي يحقق هذا المنهج"<sup>3</sup>، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ (الأنعام).

من أجل توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له خُلق الإنسان، ومن أجل توحيد الله تعالى وضعت الشرائع، ومن أجل توحيد عبث الرسل، فكان ذلك غاية رسالتهم وأساس دعوتهم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ (النحل)، وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥٠﴾﴾ (الأنبياء).

فما من نبي ولا رسول يبعثه الله تعالى إلى قومه، إلا وأول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الألوهية، وإخلاص العبادة لله، إذعانا له، وتطبيقاً لمنهجه في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٦١﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ (الأعراف)، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٧٢﴾﴾ (الأعراف)، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ

<sup>1</sup> \_ محمد بن جرير الطبري، تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1422هـ\_2001م، 31/16.

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 317/9.

<sup>3</sup> \_ سيد قطب، خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته، ص5.

سُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿١٥٥﴾ (الأعراف)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣﴾﴾ (المؤمنون).

إن أدلة وجوب إفراد الله تعالى بالألوهية كثيرة ومتعددة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴿٣٦﴾﴾ (النساء)، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له، فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ: {أتدري ما حق الله على العباد؟} قال: الله ورسوله أعلم، قال: {أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً}، ثم قال: {أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ ألا يعذبهم} <sup>1</sup>.<sup>2</sup> لقد ذكر القرآن الكريم عدة صور للأمم التي انحرفت عن منهج الله تعالى، وبعث الله فيهم رسوله لدعوتهم إلى توحيده والعودة بهم إلى تطبيق تشريعاته والالتزام بمنهجه، فكانت نفس التصورات والاعتقادات تتكرر في كل مرة، ليُبعث فيها رسول للتذكير بتوحيد الألوهية، واستمر ذلك إلى آخر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، بحيث كانت هذه هي الصورة الشائنة للتصورات في الجزيرة العربية، نظيفها إلى ذلك الركام من بقايا العقائد السماوية المنحرفة، التي كانت سائدة في الشرق والغرب يوم جاء الإسلام، فتنجّص منها صورة مكتملة لذلك الركام الثقيل، الذي كان يجثم على ضمير البشرية في كل مكان، والذي كانت تنبثق منه أنظمتهم، وأوضاعهم، وآدابهم، وأخلاقهم كذلك، ومن ثمّ كانت عناية الإسلام الكبرى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة، وتحديد الصورة الصحيحة التي يستقرّ عليها الضمير البشري في حقيقة الألوهية، وعلاقتها بالخلق وعلاقة الخلق بها.. فتستقرّ عليها نظمهم، وأوضاعهم، وعلاقاتهم الاجتماعية، والاقتصادية،

<sup>1</sup> \_ أخرج البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسننه وأيامه، شرح وتصحيح وتحقيق: محب الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط1، 1400هـ، كتاب: اللباس، باب: 101، ح5967، 84/4، وكتاب: الاستئذان، باب: 30، ح6267، 145/4، وكتاب: الرقاق، باب: 37، ح6500، 191/4، وكتاب: التوحيد، باب: 1، ح7373، 378/4، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: 10، ح48، 49، 50، 35/1، والترمذي في جامعه الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: 18، ح2643، 26/5، 27، وابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: 35، ح4296، 514/4.

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 32/4.

والسياسية، وأدابهم وأخلاقهم كذلك، فما يمكن أن تستقرّ هذه الأمور كلها، إلا أن تستقرّ حقيقة الألوهية، وتبيّن خصائصها واختصاصاتها، وعنى الإسلام عناية خاصة بإيضاح طبيعة الخصائص والصفات الإلهية المتعلقة بالخلق، والإرادة، والهيمنة، والتدبير.. ثم بحقيقة الصلة بين الله والإنسان.<sup>1</sup>

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (النمل).

### المطلب الرابع: حقيقة الكون

إن الكون آية من آيات الله تعالى، الدالة على قدرته المطلقة، وحكمته البالغة، وعلمه المطلق، يقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٢﴾﴾ (فصلت)، ذكر القرطبي في تفسيره لهذه الآية، عدة أقوال للفظ الآفاق عزاها لأصحابها، فكان من بينها، قوله: "(سنريهم آياتنا في الآفاق) أي: علامات وحدانيتنا وقدرتنا،.. وقال عطاء وابن زيد أيضا: (في الآفاق) يعني أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ سيد قطب، خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته، ص 39 .

<sup>2</sup> \_ أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، والمبني لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة

الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1427هـ\_2006م، 437، 436/18.

إن خلق الله تعالى للآيات الكونية المادية، وخلقها لكل ما نعلم وما لا نعلم، دليل على قدرته تعالى، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، يخلق ما يشاء، وكيفما شاء، لذلك "فالكون آية الله الكبرى، ومعرض قدرته المعجزة المبهرة، أراد الله فكان، وقد قدره تقديرا محكما، وجعل كل شيء فيه خاضعا لإرادته وتدييره،.. ولقد تناول الإسلام الكون المادي المتطور، وعرض لكثير من ظواهره، كالشمس، والقمر، والسماء، والأرض، والمطر، والنبات، والبحار، والأنهار، والجبال، والشجر، والدواب،.. إلى آخره، وقد تكلم الإسلام عنها في بدء خلقها، وتكلم عنها في عوارض وجودها، وتكلم عنها في بعض نهاياتها، وقد عرض لهذه النواحي.. لأنها دلائل قدرة الله تبارك وتعالى، وعلائم صنعه الدقيق الحكيم، ولتكون نبراسا يهدي الناس لمعرفة الله تعالى."<sup>1</sup>

قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٢﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن تَخْيِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرَاتٍ فِيهَا مِن الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَيُّ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَيُّ لَّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ ﴿يس﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَةً لِّلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ وَشِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ

1 \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، ص 140 .



بِرَزْقَيْنَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ (الحجر).  
 إن ما في الكون كله، يعدّ آية من آيات الله الدالّة على خلقه وقدرته، وأن كل آية جديدة بأن تهدي النفوس وتوجّهها نحو إخلاص التوحيد والعبادة لله تعالى، والسجود له حمدا وشكرا على النعم الظاهرة والباطنة، إقرارا بألوهيته وربوبيته، "فإذا كانت كل الكائنات والجمادات تخضع لبارئها، وتشهد بعظمته وتنزيهه عن كل نقص، فأجدر بالإنسان العاقل المفكر، أن يعترف لرّبّه بالنعمة والفضل، ويستشعر عظمته، ويسبح بحمده ويقدّس له، وهذا من أهم النتائج التربوية الناجمة عن عرض الإسلام للكون ولخصائصه، بهذا الأسلوب التربوي."<sup>1</sup>

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِمَّنَّا الْتَأْسِ وَكَثِيرٌ مِمَّنَّا الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ (الحج).

لقد خلق الله الإنسان ليوحّده بقلبه وأفعاله، من خلال آثار قدرته ومشيبته البارزة في الكون كله، باعتبار ذلك من سنن الله تعالى التي جرت، منذ خلق الله الكون وما فيه، وهذا من بين الأسس التي أرسى عليها المنهج التربوي الإسلامي قواعده، فكان ما "بين ثبات السنن وطلاقة المشيئة، يقف الضمير البشري على أرض ثابتة مستقرة يعمل فيها، وهو يعلم طبيعة الأرض، وطبيعة الطريق، وغاية السعي، وجزاء الحركة، ويتعرّف إلى نواميس الكون، وسنن الحياة، وطاقت الأرض، ويتنفع بها وبتجاربه الثابتة فيها بمنهج علمي ثابت، وفي الوقت ذاته يعيش موصول الروح بالله، معلق القلب بمشيئته، لا يستكثر عليها شيئا، ولا يستبعد عليها شيئا، ولا يئس أمام ضغط الواقع أبدا ليعيش طليق التصوّر، ..وهكذا لا يتبدّل حسنه، ولا يضمّر رجاءه."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1،

1991م، إعادة الطبعة في: 1420هـ\_1999م، ص 44 .

<sup>2</sup> \_ سيد قطب، خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته، ص 125 .

وعلى هذا الأساس، "لو ألقينا نظرة على أسس التربية الإسلامية، وتصوّر الإسلام للكون، والحياة، ولأهداف الحياة، لوجدنا فيها أن الله خلق الكون لهدف معيّن، وأوجد الإنسان على الأرض، ليكون خليفة يحقق طاعة الله، ويهتدي بهديه، وسخر له ما في السماوات والأرض، فجعل ذلك كله خادماً لحياة الإنسان محققاً لها، وطلب منه أن يتأمل كل ما في الكون ليستدلّ به على عظمة الله، فيدفعه ذلك إلى طاعة الله ومحبته، والخضوع لأوامره ومناجاته، وجعله مستعدّاً للخير والشر، وأرسل رسله إلى البشر ليهدوهم إلى عبادته وتوحيده."<sup>1</sup>

"من هذه النظرة الإسلامية إلى الكون يتّضح أن الهدف الأساسي لوجود الإنسان في الكون، هو عبادة الله والخضوع له، والخلافة في الأرض ليعمرها بتحقيق شريعة الله وطاعته، وقد صرح القرآن بهذا الهدف في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات)، وإذا كانت هذه مهمة الإنسان في الحياة، فإن تربيته يجب أن يكون لها نفس الهدف، لأن التربية الإسلامية كما عرفناها.. هي تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه، وعواطفه، على أساس الدين الإسلامي."<sup>2</sup>

أيما تطلّع الإنسان يشاهد عظمة الله تعالى وقدرته، فكيف لمن يشاهد عظمة السماء وما فيها، وعظمة الأرض وما عليها، ولا يؤمن، إن معرفة حقيقة الكون الشاسع بما فيه، وما خفي منه كان أعظم، يعدّ خير مربي، وخير هادي للنفس البشرية، لأن هذا من المنهج التربوي الإسلامي، وهو موافق للفطرة التي فطرت النفس عليها، وإن كان الكافر منكراً لآيات الله في الآفاق والأنفس جاحداً لها، إلا أن بداخله ما يقرّ بحقيقة ما في هذا الكون من آيات، والإيمان بخالقها، وما جحوده ونكرانه إلا جحود تكبرّ وعلو.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٨٨ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝١٩١ ﴾ (آل عمران).

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 107 .

<sup>2</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، المرجع نفسه، ص 107، 108 .

يقول ابن كثير في تفسيره: "ومعنى الآية أنه يقول تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)، أي: هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار، وجبال، وقفار، وأشجار، ونبات، وزروع، وثمار، وحيوان، ومعادن، ومنافع، مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص، (واختلاف الليل والنهار) أي: تعاقبهما وتعارضهما الطول والقصر،.. ولهذا قال تعالى: (لآيات لأولي الألباب)، أي: العقول الثامة الزكية، التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون،.. (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض)، أي: يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته، وعلمه وحكمته، واختياره ورحمته،.. وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته، فقال: ﴿وَكَيْفَ يُؤْمِنُ بِآيَاتِهِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ هُمْ كَذِبُونَ﴾ (يوسف)، ومدح عباده المؤمنين: (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض) ﴿قائلين﴾ (ربنا ما خلقت هذا باطلا) أي: ما خلقت هذا الخلق عبثا، بل بالحق لتجزى الذين أساءوا بما عملوا، وتجزى الذين أحسنوا بالحسنى، ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا: (سبحانك)، أي: عن أن تخلق شيئا باطلا (فقنا عذاب النار)، أي: يا من خلق الخلق بالحق والعدل، يا من منزه عن النقائص والعيب والعبث، قنا من عذاب النار بحولك وقوتك، وقيضنا لأعمال ترضى بها عنا، ووقفنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم، وتجيرنا به من عذابك الأليم.<sup>1</sup>

إن لحقيقة الكون كما بينها الإسلام، آثارا تربوية عظيمة في توجيه الإنسان وإرشاده، باعتبارها هادية له إلى سواء السبيل، من خلال التفكير فيما خلق الله تعالى، والتدبر في آياته، وباعتبار هذه الحقيقة أساسا من الأسس الكبرى التي يعتمد عليها المنهج التربوي الإسلامي، "فهذا يعلم الإنسان أن يبحث عن غاية كل ظاهرة من ظواهر الكون، وأن يعد تفكيره عن اللهو والعبث والضياح، وأن يكون تأمله لهذا الكون تأملا منطقيًا علميًا."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 295/3، 298..

<sup>2</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 40.

فإذا ما أدرك الإنسان هذه الحقائق كلها عن الكون:

1\_عرف ربّه، وعرف كيف يخلص له في توحيدهِ للألوهية والربوبية، وعرف كيف يقيم شريعته في أرضه، ويدعو إليها.

2\_وعرف كيف يكون لتأمله في هذا الكون، طريقاً للاستدلال على عظمة الله تعالى وقدرته، كما أن ضعفه أمام هذا الكون العظيم الذي خلقه الله تعالى، دليل باعث له على التواضع لله تعالى، وعدم التجبر والتكبر على خلقه.

3\_وعرف كيف يستغلّ النعم والخيرات التي أنعم الله بها على خلقه في هذا الكون استغلالاً عادلاً، وأن يسخرها وفق ما يرضي الله تعالى، ليحقق بذلك العدل، ويقضي على الظلم والجور.

4\_وعرف أنه ما من شيء خلقه الله تعالى في هذا الكون، إلا وله هدف وغاية، وأنه لا يترك شيئاً للصدفة أو اللهو أبداً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَلَّاتَّخِذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ (الأنبياء).

5\_وعرف بأن هناك يوماً سيغادر فيه هذا الكون، وينقطع عن كل ما فيه ليعود إلى الله تعالى، وهذا ما يجعله من المحسنين الذين يسعون بعملهم إرضاء الله، ولا يجروون ارتكاب ما يُغضب الله تعالى، من إتيان الفواحش والمعاصي، خوفاً ممن سيعودون إليه، وذلك ما يسعى المنهج التربوي الإسلامي إلى تحقيقه من خلال بيان حقيقة الكون، ومدى تعامل الإنسان مع هذه الحقيقة.

عندما تدرك النفس حقيقتها، وحقيقة الألوهية، وحقيقة الكون، لا يسعها إلا الإجابة إلى الله تعالى، والعودة للإسلام وتعاليمه، ومبادئه، وقيمه، والسير وفق منهجه، لتحسّ بالسكينة والاطمئنان، والفوز يوم القيامة بالجنان.

## المطلب الخامس: حقيقة الحياة

لقد خلق الله تعالى الحياة، ولم يجعلها دائمة وباقية لحكمة منه تعالى، فكانت دار امتحان وتكليف للعباد الله تعالى على هذه الأرض، لقوله تعالى: ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ ﴾ (الملك).

إذا كان الواجب علينا معرفة حقيقة الحياة، فلأنها من أسس المنهج التربوي الإسلامي، التي تنمي شخصية الإنسان، وتوجهه وتهديه لأصح السبل، للفوز برضوان الله تعالى، وإن حقيقة الحياة بالنسبة للإنسان، كحقيقة الكون، فكلاً منهما أوجده الله تعالى "لهدف معين، وأوجد الإنسان على الأرض ليكون خليفة يحقق طاعة الله، ويهتدي بهديه، وسخر له ما في السماوات والأرض، فجعل ذلك كله خادماً لحياة الإنسان محققاً لها، وطلب منه أن يتأمل كل ما في الكون، ليستدلّ به على عظمة الله، فيدفعه ذلك إلى طاعة الله ومحبتته، والخضوع لأوامره، ومناجاته، وجعله مستعداً للخير والشرّ، وأرسل رسله إلى البشر ليهدوهم إلى عبادته وتوحيده.<sup>1</sup>

لقد ذكر الله تعالى الحياة في القرآن الكريم، وذكر بأن هناك حياة دنيا، وحياة آخرة، كما أمرنا الله تعالى أن نحسن في هذه الحياة الدنيا كما أحسن إلينا، ليمتحننا كيف نعمل، وليجازينا بالجنة في الآخرة إن أحسنّا، ويعاقبنا بجهنم -أعاذنا منها- إن أسأنا، لذلك، كانت "الحياة في التصوّر الإسلامي، دنيا وآخرة، شهود وغيب، وهما مرتبّتان، والحياة الدنيا هي مجموع أنشطة الكائنات، التي خلقها الله خلال أعمارها الزمنية، وعمارة الأرض، وترقية الحياة على ظهرها إنما يكون باستثمار ما أودعه الله في الكائنات من طاقات استثماراً صالحاً، وتوجيه ألوان النشاط البشري لاستخدام تلك الطاقات بالرفق واللطف وفق منهج الله، وبذلك يتحقق التناسق والتكامل بين أنشطة الكائنات، من إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد، في أعمارهم

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 107.

الزمنية، من أجل إعمار الحياة، وكل شأن من شؤون الحياة ينبغي أن يسير وفق منهج الله، .وجميع ألوان التشريعات المدنية والإدارية، يجب أن تسير وفق هذا المنهج، حتى تكون الحياة إسلامية حقا.<sup>1</sup>

ولما كانت الآخرة هي الحياة الثانية للإنسان بعد موته، "جعل الله لهذا الكون، ولهذه الحياة الدنيا أجلا ينتهي في وقت محدود عند الله، ثم يفنى الكون وتفنى الحياة الدنيا، ثم يخلق الله الإنسان خلقا جديدا، ويخلق كونا جديدا، ليحاسب الناس على أعمالهم، وليجازي المسيء الذي كفر بنعمة الله، ورسله، وشريعته، بالجحيم الدائم، والمحسن الذي آمن بالله، وشكره على نعمته، وأتبع رسوله وكتابه، بالنعيم المقيم الأبدي."<sup>2</sup>

ولما كانت الحياة الدنيا دار فناء، والحياة الآخرة دار بقاء، حذرنا الله تعالى في كتابه العزيز بألا نركن إلى الدنيا، وألا نغتر بما فيها، وألا نجعلها غايتنا وهدفنا، وألا نسعى وراءها، وأن نجعلها في أيدينا لا في قلوبنا، وألا تكون أكبر همّنا فنغفل بسببها عن الآخرة، وأن نسأل الله تعالى ليعيننا على ذلك بالدعاء، عملا بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، في تربية أصحابه وتعليمهم الاستعاذة بخصوص هذا الشأن، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "قلّما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس، حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: {اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلّغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصيبات الدنيا، ومتّعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منّا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلّط علينا من لا يرحمنا}.<sup>3</sup>

لذلك لا بد لنا من العودة إلى كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، لنعرف حقيقة الدنيا، كما يأتي:

<sup>1</sup> \_ علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص 188 .

<sup>2</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 107 .

<sup>3</sup> \_ أخرجه محمد بن عيسى الترمذي، في الجامع الكبير، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م، كتاب: الدعوات، باب: 79، ح3502، 481/5 .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ (يونس).

وقال تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١٥﴾ (الكهف)، يفسر ابن كثير هذه الآية، في قوله: "واضرب) يا محمد للناس (مثل الحياة الدنيا) في زوالها وفنائها وانقضائها (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) أي: ما فيها من الحب، فشب وحسن، وعلاه الزهر، والنور، والنضرة، ثم بعد هذا كله (فأصبح هشيمًا) يابساً (تذروه الرياح)، أي: تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال، (وكان الله على كل شيء مقتدرًا)، أي: هو قادر على هذه الحال، وهذه الحال."<sup>1</sup>

يتبين لنا من خلال هذه الآية، حقيقة الدنيا، بأنها فانية وزائلة وإن طالت، وأن الإنسان مهما بلغ به العمر ما بلغ، فسيأتي اليوم الذي يخرج من الدنيا ويتركها، فطوبى لمن خرج منها وعرف كيف يغتمها، ويتزود منها لآخرته، ليكون من الفائزين الذين ساروا على منهج الله تعالى، وتعا من خرج منها ولم يعرف حقيقتها، فكان من الخاسرين الذين انحرفوا عن منهج الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ (الحديد).

كما جاء في الحديث النبوي الذي يرويه "عبد الله قال: اضطلع النبي صلى الله عليه وسلم على حصير، فأثر في جلده، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، لو كنت آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئاً يقيك منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { ما أنا والدنيا ؛ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها }."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 141/9 .

<sup>2</sup> \_ أخرجه محمد بن يزيد ابن ماجه، في سننه، بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي، المعروف بالسندي، وبجاشيته تعليقات:

كما أن الدنيا لا تساوي عند الله شيئاً، وهذا من خلال الحديث الذي بيّنه لنا النبي صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الدنيا، "فمن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء}."<sup>1</sup>

لقد بيّن القرآن الكريم حقيقة الدنيا، في آيات كثيرة، تتمحور كلها حول الحقائق الآتية:

**1\_ الحياة الدنيا لعب وهو:** قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ حَيَرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الأنعام)، وقال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (العنكبوت)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ (محمد).

**2\_ الحياة الدنيا دار غرور:** قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْيَمَؤرَنَسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الأعراف)، وقال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴿٧٠﴾﴾ (الأنعام)، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ (لقمان)، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴿٣٥﴾﴾ (الجاثية).

**3\_ الحياة الدنيا متاع:** قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾﴾ (آل عمران)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنَ يَتَقَوَّمُ أَتَّبِعُونَ أَسْبِيلَ الرَّشَادِ

مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجة، للإمام البوصيري، حقق أصوله وخرّج أحاديثه: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت، كتاب: الزهد، باب: 3، ح 4109، 557/5.

<sup>1</sup> أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: الزهد، باب: 13، ح 2320، 150/4، وابن ماجة في سننه، كتاب: الزهد، باب: 3، ح 4110، 557/5.



﴿٣٨﴾ يَكْفُورُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ (غافر)، وقال تعالى:  
﴿وَفِرْحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ ﴿٣٦﴾ (الرعد).

وبعد معرفة الإنسان لحقيقة الحياة الدنيا الفانية، عليه أن يوطن نفسه للعمل فيها، والتزوّد منها للحياة الآخرة الباقية، وهذا ما يجعله يلتزم بالمنهج التربوي الإسلامي خاصة، لتتجلى آثار المبادئ والقيم الإسلامية الراسخة في تصوراتهِ واعتقاداتهِ، إلى أفعال وسلوكات سوية، تمنحه الصلاح، والاستقامة، والتقوى، ليكون من الفائزين بتحقيق قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾ (الأعلى).

وأخيرا نختم بهذه الآية، في قوله تعالى: ﴿قَلَّ كَمَ لِبَشَرٍ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَعَلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قَلَّ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١٤﴾ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٥﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾

(المؤمنون)، الدالة على حقيقة الإنسان في هذه الحياة الدنيا، ولذكر خطبة عمر بن عبد العزيز، المؤثرة في النفوس الصافية، والعقول الواعية، والموجهة للقلوب الغافلة، أوردها ابن كثير في تفسيره للآية السابقة، بقوله: "قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، عن رجل من آل سعيد بن العاص قال: كان آخر خطبة خطب عمر بن عبد العزيز، أن حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم لم تخلقوا عبثا، ولن تتركوا سدى، وإن لكم معادا ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحرّم جنة عرضها السماوات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدا إلا من حذر هذا اليوم وخافه، وباع نافدا بياق، وقليلًا بكثير، وخوفا بأمان، ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين، وسيكون من بعدكم الباقين، حتى تردون إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عز وجل، قد قضى نجه، وانقضى أجله، حتى تغيوه في صدع من الأرض، في بطن صدع غير ممهد ولا موسد، قد فارق الأحباب وباشر التراب، وواجه الحساب، مرتهن بعمله، غني عما ترك، فقير إلى ما قدم، فاتقوا الله عباد الله قبل انقضاء موثيقه، ونزول الموت بكم ثم جعل طرف رداءه على وجهه، فبكى وأبكى من حوله."<sup>1</sup>

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 156/10 .

وأخيرا نخلص إلى أن الأسس التي يعتمدها المنهج التربوي الإسلامي، تقوم على توجيه الإنسان نحو معرفة حقيقة ذاته البشرية، وحقيقة الألوهية، وحقيقة الكون، وحقيقة الحياة، فإذا ما عرف الإنسان نفسه، عرف من خلالها علاقته برّبه، وعرف غاية وجوده في هذا الكون، وعرف منهجه وطريقه في هذه الحياة.

## المبحث الثاني: أهداف المنهج التربوي الإسلامي

إن تعاقب الأنبياء والرسل عبر الأماكن والأزمان، خلف تراكما كبيرا من الأخلاق الفاضلة، فبالرغم من وجود الجاهلية إلا أن العرب كان عندهم العديد من مكارم الأخلاق، ثم جاء الإسلام ليتّمها ويكّمّلها ويهدّبها، مصداقا لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: {إنما بُعثت لأتمّم حسن الأخلاق} <sup>1</sup>، وقوله: {إن من خيركم أحسنكم خُلُقًا} <sup>2</sup>.

ولما كانت المبادئ الإسلامية، والقيم النبيلة، والأخلاق الفاضلة، المستمدّة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، تُعدّ مرجعا أساسيا للتربية الإسلامية، من خلال إعداد الأفرأ والجماعات والأجيال، وترسيخ المبادئ والقيم في نفوسهم وسلوكهم، وتأهيلهم في الحفاظ على رسالة الإسلام وتبليغها، وإتمام أهدافهم في هذه الحياة، كانت التربية ممتدّة مع امتداد خلق الإنسانية، لأن ممارسة النشاط التربوي في الوسط البيئي، يُعتبر عنصرا هاما في تكوين الشخصيات الإنسانية السوية، لتوظيف كل الطاقات، والقدرات، والمهارات، والإبداعات، وتسخيرها في تطوير مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية، لما في ذلك من الأثر البالغ في تحقيق النهوض بمستقبل الأمة الإسلامية، والمساهمة في بنائها الحضاري، كل هذه الغايات المنجزة، تعدّ من بين الأهداف التربوية الكبرى، التي يسعى المهتمون بها على تحقيقها.

لذلك "تعدّ الأهداف التربوية من القضايا الهامة، التي شغلت اهتمامات المرّيين، واسترعت انتباه العلماء والمفكرين منذ العصور التاريخية القديمة،.. وفي هذا العصر زاد الاهتمام بقيمة التربية، وارتفع شأنها وصارت مطمحا من مطامح المجتمعات المتقدّمة والنامية، وأملا من آمالها في الحياة العصرية المتطورة، ولقد أدركت الأمم الحديثة أن الانبعاث الحضاري، والتطوّر الاجتماعي، والنمو الاقتصادي، مرتبط بما تحقّقه التربية من

<sup>1</sup> \_ أخرج الإمام مالك في كتابه أوجز المسالك إلى موطأ مالك، تأليف الإمام المحدث: محمد زكريا الكاندهلوي المدني، اعتنى به، وعلّق عليه: أ.د تقي الدّين التّدوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1424هـ\_2003م، كتاب: حسن الخلق، باب:1، ح8 (1616)، 83/16، يقول ابن عبد البر: هذا الحديث يتصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم .

<sup>2</sup> \_ أخرج البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: 38، ح6029، 96/4، وباب: 39، ح6035، بلفظ: {إنّ خيركم أحسنكم أخلاقًا}، 97/4، وأبو داود في سننه، راوي الحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

أهداف، وبما تزوّد به الأجيال من القدرات العالية، والخبرات المتفوقة القادرة على الإبداع والابتكار، لمواجهة التغيرات الحضارية الكبرى، ولضمان المشاركة والمساهمة في البناء الحضاري المطلوب، وتحقيق آفاق المستقبل المرغوب.<sup>1</sup>

ولتقريب مفهوم الأهداف التربوية للأذهان، فإننا نستطيع القول بأن المقصود منها، هو تلك "الأغراض أو الغايات، التي تسعى العملية التربوية إلى تحقيقها والوصول إليها، قريبة كانت أو بعيدة، وتحديد الأهداف لأي عمل من الأعمال التربوية أمرٌ أساسي قبل الشروع في هذا العمل وتنفيذه، لأن هذا التحديد يؤثر تأثيراً كبيراً في تكييف وتحديد مجال الدراسة، وطرقها، ووسائلها، وأساليبها، التي تحقق هذه الأهداف، كما أن الأهداف غالباً ما تكون محرّكاً للسلوك وموجهاً إليه،.. فالإنسان عندما يضع لنفسه هدفاً محدداً ينشط كلما اقترب منه خطوة، وكلما حقق جزءاً منه ازداد فرحاً.. وتصميمًا على مواصلة العمل في سبيل تحقيق باقي الهدف،.. فتحديد أهداف معينة للتربية الإسلامية، يعد أمرًا لازمًا وضروريًا لممارسة العملية التربوية في الإسلام، وضمان نجاحها واستمرارها وتطورها، لتؤتي ثمارها بأقل جهد، وأقصر وقت، وأفضل عطاء."<sup>2</sup>

و لإنجاح العملية التربوية الإسلامية، كان لزاما على المهتمين في هذا المجال، أن يحدّدوا أهداف التربية الموافقة للمنهج الإسلامي، لذلك نستطيع القول بأن "عملية التربية قبل ذلك وبعده، هي (أهداف) يسعى المرثون إلى تحقيقها وإنجازها، بكيفية منظمة وموجهة، ومحددة، تترجم كلها في شكل قيم ومعارف وخبرات ومهارات، تسمح للفرد عن كشف طاقاته وإبراز قدراته، حتى يتمكن من التكيّف مع البيئة تكيّفًا إيجابيًا، والتعامل معها تعاملًا وظيفيًا تغييريًا، يحقق به تقدما اجتماعيًا، وتطورا اقتصاديًا، ورقيا حضاريا، ويمكن القول أن عملية التربية تفقد قيمتها إذا فقدت أهدافها، أو عجزت عن تحقيقها،.. والتربية لا تُعدّ تربية بمعناها الحقيقي، إلا بالقدر الذي تحقّقه من (أهداف)، وما تصل إليه من من غايات ومرامي تنعكس على تصورات الأفراد، وتظهر في سلوكياتهم وتصرفاتهم."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> \_ احمد تيغزي، بوفلحة غيات، محمد نقادي، وغيرهم من الدكاترة والأساتذة الشاركن، قراءات في الأهداف التربوية، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي، باتنة، ط1، 1994م، ص17.

<sup>2</sup> \_ علي بن نايف الشحود، الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، بهانج، دار المعمور، ماليزيا، ط1، 1430هـ\_2009م، ص 14، 15 .

<sup>3</sup> \_ احمد تيغزي، وغيره، قراءات في الأهداف التربوية، ص 18 .

ومادام المنهج التربوي الإسلامي، منهجا ربانيا موافقا للفطرة الإنسانية، فإنه يهدف عموما إلى بناء شخصية الأفراد بناءً سوياً متّزنا ومتكاملا، إضافة إلى تحقيق العدل ورفع الظلم بين الناس، كما يهدف أيضا إلى تحقيق الاستخلاف والخيرية في الأرض لبناء الحضارة الإسلامية، عن طريق الحكمة في التعامل مع ما سخره الله للبشرية من أفضال، وعلى هذا الأساس يكون بيان أهداف المنهج التربوي الإسلامي، كما يأتي:

## المطلب الأول: إعداد الفرد المسلم

منذ خروج الإنسان إلى الدنيا وهو يكابد في هذه الحياة، لكن من الناس من يعيش في ضيق، وتوتر، وعدم استقرار، ليس من نقص في الجانب المادي، ولكن بسبب الاضطراب النفسي والفرغ الروحي، في حين نجد من يحيا السعادة التامة، بسبب راحته النفسية واطمئنانه الروحي، وإن لم يملك من الدنيا إلا القليل، فالقناعة والرضا أغنياه عن كل ما فيها، وما سرّ هذه السعادة التي تُعدّ أمانة بين الأجيال، إلا الإيمان بالله والتسليم له في كل شيء، والرضا بما قسمه الله، عملا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، الذي يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه "قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَنْ يَأْخُذْ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلْ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمْ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟ }، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ:، أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ: { اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وَأَرْضَ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنُ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا نُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ }".<sup>1</sup>

إن الهدف الذي يسعى إليه المنهج التربوي الإسلامي، هو توجيه هذا الإنسان نحو تحقيق سعادة الدنيا والآخرة، فلا توفيق لهذه السعادة إلا وفق شريعة الله تعالى، و"لا تحقيق لشريعة الله تعالى إلا بتربية النفس والجيل والمجتمع، على الإيمان بالله والخضوع له وحده، ومن هنا كانت التربية فريضة في أعناق جميع الآباء والمعلمين، وأمانة يحملها الجيل للجيل الذي بعده، ويؤدّيها المرثون للناشئين، وكان الويل لمن يخون هذه الأمانة أو ينحرف بها عن هدفها، أو يسيء تفسيرها، أو يغيّر محتواها".<sup>2</sup>

ما دامت الأهداف الكبرى للمنهج التربوي الإسلامي، من تحقيق الخيرية للأمة، وبناء حضارتها، يعتمد

<sup>1</sup> \_ أخرج الترمذي في جامعه، كتاب: الزهد، باب: 2، من اتقى المحارم فهو عبد الناس، ح2305، 551/4 .

<sup>2</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص18 .

أساساً على أفراد هذه الأمة في ذلك، كان لزاماً على المهتمين بالتربية أن يبذلوا ما أمكن من جهود، لإعدادهم الجيل الذين يُعَوَّل عليه في تحقيق هذا الهدف، لذلك، لا بدّ من تربية الأفراد تربية إسلامية تهتم بتنظيم كل علاقاتهم بأنفسهم، وبرهّم، وبمجتمعهم، ليكونوا صالحين في أنفسهم، مصلحين في أمّتهم.

يهدف المنهج التربوي الإسلامي إلى إكساب الفرد المسلم شخصية سليمة وسوية، من خلال تنمية كل جوانبه الجسمية، والعقلية، والفكرية، والنفسية، والأخلاقية، والروحية، والتي سيتم جمعها تحت عناصر ثلاثة، هي:

**1\_ التنمية الجسمية:** وهذا من أهم ما يقوم به المربيّ تجاه المتربّي، بهدف الحفاظ على صحة جسمية جيّدة، يستطيع من خلالها القيام بدوره الذي خُلِق من أجله، لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: {المؤمن القوي، خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير} <sup>1</sup>، ولأنّ "التربية الجسمية أمر مطلوب لأهداف عديدة في ضوء التربية الإسلامية، وسواء كانت بالتنمية الغذائية والحركية، أو بالعلاج والوقاية، فهي تختلف في أهدافها عن التربيّات المخالفة للمنهج الإسلامي، حيث تهدف التربية الإسلامية إلى أداء الواجبات، وهي من أبرز أهداف البناء الجسمي، ليكون قادراً على أداء الواجبات والمستحبات الشرعية، مثل: أداء الصلوات والصيام والحج والجهاد في سبيل الله، والدفاع عن النفس، والدّين، والمال، والعرض." <sup>2</sup>

كما يعدّ الفرد جسمياً، لمزاولة الأعمال الصالحة والمفيدة، لمواجهة متطلبات الحياة ولبناء أمته، وذلك بإعداده لمهنة أو لحرفة، أو بإعداده لوظيفة يكتسب منها.. وينفع غيره ومجتمعه،.. فالمجتمع الإسلامي إنّما يعبئ قواه الإنتاجية، تعبئة تحافظ على سلامة كيانه، وتحفظ كرامة أفراد،.. كما يحرص الإسلام في الوقت نفسه على إتقان العمل والإخلاص فيه،.. قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة)،.. والعمل المقصود هنا، هو كل عمل يقرب الإنسان إلى الله، وأطيب الأعمال،

<sup>1</sup> \_ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: 8 في الأمر بالقوة وترك العجز، ح34، 1229/2، وابن ماجه في سننه، مقدمة، باب: 79 القدر، 61/1، 62، وكتاب: الزهد، باب: 14 التوكل واليقين، ح4168، 453/4، 454، راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه .

<sup>2</sup> \_ خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص195، 196 .

طلب الكسب الحلال، كما قال بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أطيب الكسب عمل الرجل بيده} 1. 2

**2\_ التنمية الروحية:** إن هدف المنهج التربوي الإسلامي من تنمية الإنسان روحياً، يكمن في "إخلاص العبادة لله تعالى وحده، فتُوجّه النية إليه في الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، وغير ذلك من صنوف العبادة، مع الاتصال الدائم بالله في كل الأوقات والأعمال"<sup>3</sup>، كما تدعو الإنسان إلى اليقين بوجود الله تعالى وقدرته، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ (الأنفال)، فإذا كان الإيمان هو أساس العقيدة، وأن السلوك أثر ودليل على زيادته أو نقصانه، فإن السلوك إذا ما اختل، فذلك دليل على فتور هذا الإيمان، الذي لا تقوى جذوته إلا بالعودة إلى الله تعالى، بصدق في النية، وإخلاص في القول والعمل، ولا يتحقق السمو بالروح إلا بالتربية الإسلامية الصحيحة.

**3\_ التنمية العلمية:** إن الهدف الذي ترمي إليه التربية الإسلامية، من خلال تنمية الإنسان العلمية، هو حثه على طلب العلم، وتحفيزه للإقبال على العلم والتعلم، لما في ذلك من فضل وسعادة في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١٧﴾﴾ (فاطر)، ويقول: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (المجادلة)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر} 4، لذلك "فإن

1 \_ أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: التجارات، باب: 1، الحث على المكاسب، ح2138، 6/3، بلفظ: {ما كسب الرجل

كسباً أطيب من عمل يده، ..}، راوي الحديث المقدم بن معدي كَرَبَ الزبيدي رضي الله عنه .

2 \_ سعيد إسماعيل القاضي، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط1، 2004م، ص34، 35 .

3 \_ سعيد إسماعيل القاضي، المرجع نفسه، ص33 .

4 \_ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: العلم، باب: 1، الحث على طلب العلم، ح3641، 39/4، 40، والترمذي في سننه،

العلم الشرعي مفتاح الخير كله، حيث يعرف به المرء ما أوجبه الله تعالى عليه، وما نهاه عنه، وبه يعرف الفضيلة وفضلها فيتبّعها، وبالعلم يعرف الرذيلة وقبحها فيتجنّبها،..والعلم حلية للمسلم وعنوان سعادته، لأنه محتاج إليه في عبادته، وفي متجره، ومنزله، ومدرسته، وفي الحيّ، وفي جميع شؤون حياته الشخصية والاجتماعية.<sup>1</sup>

إن العلم بمقتضى التطور التكنولوجي الذي هو في استمرار دائم يوما بعد يوم، والتقدّم العلمي الذي يتجدّد بإعجازه واكتشافاته ساعة بعد ساعة، يفرض علينا أن نكون على قدر كاف من الاطلاع على آخر الإبداعات والاختراعات، لبعث روح الإرادة في النفوس من جديد، تنمية للقدرات والمهارات، وتحقيقا للنهضة العلمية الشاملة لجميع المجالات، كما يفرض علينا الاستمرار الدائم في البحث العلمي، بهدف مواكبة التطورات العلمية الجارية، خاصة وأن التطبيق العملي لكل العلوم النظرية، هو ما يهدف إليه المنهج التربوي الإسلامي ويدعو إليه، "لما له من دور كبير في بناء الفرد والمجتمع ومن ثم الحضارة، إذ بالعلم والتعليم وبزيادة الوعي الثقافي، يعي الفرد حقوقه، وواجباته، ويجيا حياة سليمة، وبالعلم والتعليم لأفراد المجتمع، يتقدّم ذلك المجتمع من كافة جوانب الحياة فيه،..وبالعلم والتعليم أيضا تنهض الأمم وتقوم الحضارات، فليست هناك حضارة قامت، أو يمكن أن تقوم ويكتب لها البقاء، إلا على أساس العلم وبالتقدّم العلمي"<sup>2</sup>، وعلى هذا، ندرك بأنه إذا كان للعلم فضل، فحاجتنا إلى طلبه اليوم، أشدّ من أي يوم مضى.

## المطلب الثاني: تحقيق الخيرية للأمة الإسلامية

أما معنى الأمة، فهي "الجماعة والطائفة، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (الأعراف) وأصل الأمة في كلام العرب الطائفة من الناس التي تؤمّ قصدا واحدا: من نسب أو موطن أو دين، أو

كتاب: العلم، باب: 19، ح2682، 48/5، 49، وابن ماجة في سننه، المقدمة، باب: 17، ح223، 145/1، 146،

راوي الحديث أبو الدرداء رضي الله عنه .

1 \_ خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص77 .

2 \_ سعيد إسماعيل القاضي، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص240 .



مجموع ذلك، ويتعيّن ما يجمعها بالإضافة أو الوصف، كقولهم: أمة العرب، ..وأمة النصارى.<sup>1</sup>

قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران)، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة، كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بُعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، كما قال في الآية الأخرى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)، أي: خيارا ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة) .. وإنما حازت هذه الأمة قصب (نصيب) السبق إلى الخيرات، بنبيها محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه أشرف خلق الله، وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل، عظيم، لم يعطه نبيا قبله، ولا رسولا من الرسل.<sup>2</sup>

للسائل أن يسأل: كيف تكوّن ذلك التجمّع الفريد، الذي أنشأ خير أمة أُخرجت للناس؟

لقد بدأ ولا شكّ بأولئك الأفراد القلائل الذين تجمّعوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم، .. كلّ قد هجر الجاهلية كلها من حوله وأدار لها ظهره، وقطع صلته بقرابة الدم وصدقات القوم، وتوجه الوجهة الجديدة، التي تدعو إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، التي شهد بها قلبهولسانه وكل جوارحه، وأصبحت له -منذ شهد بها- هي الموثل والملاذ، وهي مفرق الطريق بينه وبين الجاهلية، وحين التقوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد التقوا بكيانهم كلّ، والتحمت قلوبهم بنوع جديد من الرباط لم يألفوه من قبل، ولا وجود له في الحقيقة خارج نطاق العقيدة، إنه اللقاء في الله، واللقاء في رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>3</sup>

وبهذا تصوّر الإسلامي الفريد، "وبهذا التصوّر المستمدّ مباشرة من القرآن، تكيفت الجماعة المسلمة الأولى، تكيفت ذلك التكيف الفريد، وتسلمت قيادة البشرية، وقادتها تلك القيادة الفريدة، التي لم تعرف لها البشرية -من قبل ولا من بعد- نظيرا، وحققت في حياة البشرية -سواء في عالم الضمير والشعور، أو في

<sup>1</sup> \_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 37/4 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 142/3، 143 .

<sup>3</sup> \_ محمد قطب، واقعا المعاصر، ص48، 49 .

عالم الحركة والواقع - ذلك النموذج الغدّ الذي لم يعهده التاريخ، وكان القرآن هو المرجع الأول لتلك الجماعة.<sup>1</sup>

هنا نتساءل: كيف تكوّنت الأمة الإسلامية؟ وكيف كانت خير أمة أخرجت للناس؟ مما هي عناصر هذه الخيرية؟ وكيف نحقق الخيرية لأمتنا الإسلامية اليوم؟

ولتحقيق الخيرية لأمتنا الإسلامية، بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، لا بد لنا من الرجوع لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لمعرفة العناصر المساعدة على ذلك، علنا بتطبيقها نحقق هذه الخيرية التي نطمح إليها، يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران)، يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "وصيغة (ولتكن منكم أمة) صيغة وجوب، لأنها أصرح في الأمر من صيغة افعلوا، لأنها أصلها، فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير معلوم بينهم من قبل، نزول هذه الآية، فالأمر لتشريع الوجوب، وإذا كان ذلك حاصلًا بينهم من قبل كما يدل عليه قوله ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾، فالأمر لتأكيد ما كانوا يفعلونه ووجوبه، وفيه زيادة الأمر بالدعوة إلى الخير، وقد كان الوجوب مقرّرًا من قبل بآيات أخرى، مثل: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر)، أو بأوامر نبوية، فالأمر لتأكيد الوجوب، أيضا للدلالة على الدوام والثبات عليه،... والخطاب بضمير (منكم) إن كان هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر الخطابات،.. فيكون المعنى: ولتكونوا أمة يدعون إلى الخير،.. والمقصود تكوين هذا الوصف، لأن الواجب عليهم هو التحلّق بهذا الخلق، فإذا تخلّقوا به تكوّنت الأمة المطلوبة،... وأقول: على هذا يثبت حكم الوجوب على كل جيل بعدهم بطريق القياس، لئلا يتعطل الهدى،.. وإن كان الخطاب بالضمير لجميع المؤمنين، تبعا لكون المخاطب بيأيها الذين آمنوا إيّاهم أيضا، كانت (من) للتبعض لا محالة، وكان المراد بالأمة الطائفة، إذ لا يكون المؤمنون كلهم مأمورين بالدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بل يكون الواجب على الكفاية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص 6، 7 .

<sup>2</sup> \_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 37/4، 38 .

يستخلص من تفسير هذه الآية، أن خيرية الأمة الإسلامية لا يتحقق تكوّنها، إلا إذا تحقق فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتمّ هذا الوصف إلا إذا تكوّنت منهم جماعة أو طائفة تدعو أبناء جيلهم إلى الخير وفق منهج الله تعالى، وتربّيهم على دين الإسلام الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، فإذا تحقق فيهم هذا الوصف، تحققت خيرية هذه الأمة الإسلامية، "لأن هذا الدّين جاء ليُنشئ أمة ذات طابع خاصّ، متميّز، متفرّد، وهي في الوقت ذاته، أمة جاءت لقيادة البشرية، وتحقيق منهج الله تعالى في الأرض، وإنقاذ البشرية مما كانت تعانيه من القيادات الضالّة، والمناهج الضالّة، والتصوّرات الضالّة، وهو ما تعاني اليوم مثله، مع اختلاف في الصور والأشكال، وإدراك المسلم لطبيعة التصرّو الإسلامي، وخصائصه، ومقاومته، هو الذي يكفل له أن يكون عنصرا صالحا في بناء هذه الأمة، ذات الطابع الخاصّ، المتفرّد، المتميّز، وعنصرا قادرا على القيادة والإنقاذ، فالتصرّو الاعتقادي هو أداة التوجيه الكبرى، إلى جانب النظام الواقعي الذي ينبثق منه، ويقوم على أساسه، ويتناول النشاط الفردي كلّه، والنشاط الجماعي كلّه، في شتى حقول النشاط الإنساني."<sup>1</sup>

ولكن "هذه الخيرية لها مواصفات وعناصر: ((تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله))، فإن تخلف عنصر من هذه العناصر، انحلت عنكم الخيرية،..وساعة تسمع كلمة (معروف) و (منكر) فإنك تجد أن اللفظ موضوع في المعنى الصحيح، ف (المعروف) هو ما يتعارف الناس عليه ويتفاخرون به، ويسر كل إنسان أن يعرفه الآخرون عنه، و(المنكر) هو الذي ينكره الناس ويخجلون منه،..وهكذا تعرف أن (المعروف) و(المنكر) يخضعان لتقدير الفطرة، والفطرة السليمة تأتي للأمر الخيرة، وتجعلها متعارفا عليها بين الناس، وتنكر الفطرة السليمة الأمور المنكرة حتى مّن يفعلها،..ويورد الله مسألة الإيمان بالله من بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لماذا ؟ لأنه من الجائز أن يوجد إنسان له صفات الإنسانية، ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويصنع الخير،..لكنه يفعل ذلك من زاوية نفسه الإنسانية، لا من زاوية منهج الله، فيكون كل ما فعله حابطا ولا يُعترف له بشيء، لأنه لم يفعل ذلك في إطار الإيمان بالله."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ سيد قطب، خصائص التصرّو الإسلامي ومقوماته، ص 6 .

<sup>2</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، د. دار النشر، د. ط، د. ت، 1675/3، 1676 .

والمعنى، أن العقيدة الإسلامية إذا استقرت بالقلب ورسخت فيه، كانت الممارسات العملية الناتجة موافقة لهذه العقيدة، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندها يجري وفق إطار الإيمان بالله، ووفق منهج الله، فإذا تحققت هذه العناصر الثلاثة، تحققت خيرية الأمة الإسلامية، وهذه سنة ثابتة في خلق الله، وإن اختلف الزمان والمكان.

### المطلب الثالث: بناء الحضارة الإسلامية

ذكرنا أن من بين أهداف المنهج التربوي الإسلامي، هو بناء الحضارة الإسلامية، ولكن، ما هو مفهوم الحضارة؟ ما هي مقومات الحضارة؟ وهل نستطيع القول بأننا اليوم نعيش الحضارة بمفهومها الإسلامي الصحيح؟ وإذا لم نكن نسعد بالحضارة الإسلامية كما ينبغي، إذن، كيف السبيل لتحقيق بنائها؟

ذكر محمد قطب رحمه الله، في بيانه لمفهوم الحضارة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، فقال: "لقد غلب على استعمال كلمة الحضارة، أن تُطلق على الجانب المادي والتنظيمي من الحياة، وليس ذلك بعيداً عن المعنى اللغوي على أي حال، فالحضارة هي فعل أهل الحضرة، مقابل البداوة التي هي من شأن أهل البادية، ولكن الإسلام قد أنشأ مفاهيم خاصة، ومصطلحات خاصة، يخص بها المصطلح اللغوي ويحدده،.. والحضارة كذلك.. ففي المصطلح الإسلامي: هي عمارة الأرض بمقتضى المنهج الربّاني، فيدخل في ذلك الجوانب المادية والتنظيمية، وتدخل فيه القيم التي يحملها هذا الدين."<sup>1</sup>

ذكر صاحب هذا التعريف، بأن الحضارة تقوم على أصليين أو جانبيين أساسيين، هما:

الجانب المادي: والذي يركز بدوره على المادة والتنظيم.

الجانب المعنوي: والذي يركز على القيم.

فإذا اختل أحد العنصرين أو غاب بشكل من الأشكال، انتفى اسم الحضارة عموماً، أما بالنسبة إلى الحضارة الإسلامية على وجه الخصوص، فلا شك بأن القيم الإسلامية أو الجانب المعنوي، مقدّم على الجانب المادي، لأن "المفروض في الحالة السويّة أن يظل الارتباط قائماً بين تلك القيم وهذه الأشكال

<sup>1</sup> \_ محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص 93، 94 .

المتغيرة، ليصحّ تسميتها ((حضارة إسلامية))، فإذا تغيرت القيم، وابتعدت عن روح الإسلام، لم تعد تصلح أن تُسمّى بهذا الإسم، إنما هي حضارة جاهلية إذا قبلنا الاصطلاح، بمعنى عمارة مادية تنظيمية غير قائمة على المنهج الربّاني، وفي جميع الأحوال لا تنفصل الأشكال المادية والتنظيمية عن القيم المصاحبة لها، ويكون تقويم الحضارة بالأميرين معاً، لا بالجانب المادي والتنظيمي وحده، بل يكون تقويمها بمقياس القيم هو المقدم وهو المعتبر، لسبب واقعي بسيط، هو أن الإنسان يستطيع أن يعيش، وأن يمارس كيانه الإنساني على المستوى الأعلى، بأقل قدر من الأشكال المادية والتنظيمية، ولكنه لا يستطيع أن يعيش، ولا أن يمارس كيانه الإنساني على أي مستوى كان بغير قيم ومبادئ، مهما يكن عنده من أدوات التقدم المادي والتنظيمي.<sup>1</sup>

كما يعطي الدكتور علي أحمد مذكور، مفهوماً للحضارة في التصوّر الإسلامي، فيقول: "عندما يكون الجانب التطبيقي في الثقافة الإسلامية، ترجمة عملية وواقعية صحيحة للجانب المعياري فيها، مع استخدام كل معطيات الإنسان والزمان والمكان،.. تكون الحضارة، إذن، فالحضارة هي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها: إنسانياً، وخلقياً، وعلمياً، وأدبياً، وفنياً، واجتماعياً، وفق التصوّر الإسلامي للكون، والإنسان والحياة."<sup>2</sup>

يشير هذا التعريف إلى أنه: إذا وافق الجانب العملي التطبيقي للثقافة الإسلامية، الجانب القيمي، ففي هذه الحالة تكون الحضارة، كما تكون أيضاً، بعمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها في كافة المجالات، بما يوافق أسس المنهج التربوي الإسلامي، وبما يوافق شريعة الله تعالى، وماعدا ذلك، فلا يُعدّ حضارة.

كما يضيف صاحب هذا التعريف قائلاً: "وبناءً على هذا المفهوم، فإن المجتمع الإسلامي، وهو المجتمع الذي يُطبّق شريعة الله في كل جوانب الحياة، هو وحده المجتمع المتحضّر، أما المجتمعات الأخرى التي تنكر وجود الله تعالى أصلاً، أو تجعل له ملكوت السماوات، وتعزله عن ملكوت الأرض، أو لا تطبق شريعته في نظام الحياة، ولا تُحكّم منهجه في حياة البشر، فهذه كلها مجتمعات جاهلية أو متخلفة، لأنها لا تدخل في

<sup>1</sup> \_ محمد قطب، المرجع نفسه، ص 94 .

<sup>2</sup> \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص 238 .

دين الله الذي حدّده سبحانه في قوله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف).<sup>1</sup>

فإذا كان الإنسان باعتقاداته وتصوّراته، وبقيمه الأخلاقية ومبادئه الإسلامية، وفي أفعاله وانفعالاته، موافقا لمنهج الله تعالى، "ففي بناء وتنمية التربية الإسلامية للإنسان الصالح الخير، وبناء وتنمية الأمة الخيرة، توفير لتلك اللبّات الصالحة، والتربة المناسبة لبناء خير حضارة إنسانية، وكما يتم بناء الإنسان الصالح، وبناء الأمة الخيرة على أساس العبودية لله تعالى، فإن بناء الحضارة الإسلامية الخيرة، يتم على أساس العبودية لله وحده، ليتحقق لها النمو والازدهار، والضبط والتوجيه نحو الخير والصلاح."<sup>2</sup>

وبعد هذا البيان لمفهوم الحضارة، نذكر الأصول التي تُعدّ من مقومات الحضارة الثابتة التي تقوم عليها، والتي يوضّحها الدكتور علي أحمد مدكور، بالشرح والبيان، قائلا:

"الحضارة الإسلامية - كما يقول الأستاذ سيد قطب -: يمكن أن تتخذ أشكالا متنوّعة في تركيبها المادي والتشكيلي، لكن الأصول والقيم التي تقوم عليها ثابتة، لأنها هي مقومات هذه الحضارة، .. الأصل الأول: هو أن تكون الحاكمة في المجتمع لله، وبذلك يتحرّر الإنسان فيه من العبودية لغير الله تعالى، والأصل الثاني: هو أن تمثّل العقيدة رابطة التجمّع الأساسية في المجتمع، وبذلك أيضا يكون المجتمع الإسلامي، هو المجتمع الوحيد المتحضّر، لأن العقيدة - وحدها - تمثل رابطة التجمّع الأساسية فيه، والأصل الثالث: هو أن تكون إنسانية الإنسان هي القيمة العليا في المجتمع، .. وأن تكون الخصائص الإنسانية فيه هي موضع التكرّم والاعتبار، فعندئذ يكون المجتمع متحضّرا، والأصل الرابع: هو أن تكون الأسرة هي قاعدة البناء الاجتماعي، .. وأن تكون رعاية الجيل الناشئ هي أهم وظائف الأسرة، فالمجتمع الذي هذا شأنه، هو المجتمع المتحضّر، .. عندئذ يتبوأ المجتمع المتحضّر الإسلامي، مكانته اللائقة به في تربية الإنسانية وقيادتها إلى الحق، والعدل، الأزليين الكامنين في بنية الكون وفي فطرة الإنسان."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> \_ علي أحمد مدكور، المرجع نفسه، ص 238 .

<sup>2</sup> \_ سعيد إسماعيل القاضي، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص 38 .

<sup>3</sup> \_ علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، ص 239، 242، 244، 247، 250 .

وأخيرا، وعلى هذا الأساس، نستطيع القول بأن الأمة التي لم تسعد بالحضارة الإسلامية بمفهومها الصحيح، بسبب انحراف أبنائها عن منهج الله تعالى، وتفلتت عن قيمه الإسلامية في أفكارهم، وأفعالهم، وانفعالاتهم، بحجة أتباعهم وتقليدهم للثقافة الغربية، بدافع اللحاق بالركب الحضاري، عليهم بالعمل لإنجاز أهم أصول الحضارة الإسلامية كما بينها العلماء، علّهم ينجحوا في تحقيق بنائها في أمتهم الإسلامية، بشرط تحقيقهم العبودية لله تعالى، بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، وبما يوافق القيم الإسلامية الثابتة، والتمسك بعاداتهم وتقاليدهم المحافظة، وبحفاظهم على هويتهم وشخصياتهم الأصيلة، بعيدا عن المفاهيم والتصوّرات الخاطئة، إضافة إلى العمل الجادّ بغية التقدّم والرقي المادي والتنظيمي، وتطوير المجالات الخاصة في جميع ميادين الحياة.

## خلاصة الفصل

وأخيرا، نخلص إلى أن تربية الإنسان وفق أسس المنهج التربوي الإسلامي، لا تنحصر في إعداده وتنمية شخصيته، عن طريق تربيته الروحية فحسب، بل إن تربيته على هذا الأساس، تدعوه للنظر، والتفكير، والتدبّر في حقيقة الكون وعظمته، إضافة إلى الممارسات العملية لسائر العلوم الحياتية، مع تعزيز الروابط الاجتماعية، كما أن منهج التربية الإسلامية يسعى من خلال أهدافه إلى الاهتمام بكل جوانب الفرد ومقوماته الجسمانية، والروحية، والعلمية، والتوازن بينها، للسموّ بروحه نحو آفاق الإخلاص في العبادة، والترفع بأخلاقه نحو معالي المبادئ والقيم الإسلامية، وتجنّب مساوئ الأمور وسفاسفها، لتجعل من الفرد إنسانا اجتماعيا، قويّ الإرادة، ومسؤولا عن تصرفاته، أثناء تأثره وتأثيره فيمن يتفاعل معهم، على أساس قوة الرابطة التي تعمل التربية الإسلامية على تعزيزها، ليكون عنصرا فاعلا وإيجابيا أثناء مساهمته في تحقيق الخيرية لأمته، وبناء حضارتها بمبادئه، وقيمه، وأخلاقه الإسلامية.

## الفصل الثاني: خصائص المنهج التربوي الإسلامي

### المبحث الأول: الربّانية

المطلب الأول: الإيمان بربانية المنهج التربوي الإسلامي

المطلب الثاني: الربّانية في القرآن الكريم

المطلب الثالث: الربّانية في السنّة النبوية الشريفة

### المبحث الثاني: الإحاطة

المطلب الأول: مفهوم خاصية الإحاطة

المطلب الثاني: التربية النفسية

المطلب الثالث: التربية الإيمانية

المطلب الرابع: التربية الإجتماعية



## تمهيد :

إذا كان مجتمعنا الذي يُعَدّ فيه الإسلام الدين القيّم بكل الأوامر والنواهي، والتوجيهات الربّانية لتعديل وتصحيح كل السلوكات، أمر مسلّم به لا يُنكره منّا أحد، فإن تأمّلنا حال الأُمّة العربية والإسلامية اليوم، يجعلنا ندرك تمام الإدراك ذلك التباين الواضح بين ما تبنّته من أفكار ومناهج محدثة ومتّبعة، وبين المنهج التربوي الإسلامي، وإن اعتقدوا هذه الأفكار والمناهج صلاحها وصلاحيتها لأبعد مدى متوقع، فإن الجهل بنتائج التصرفات ومصير الأعمال \_لقصر النظر واحتمال الخطأ\_ يجعل من حال الأُمّة والوضع الذي آلت إليه، دليل واضح على اختلافها مع المنهج الربّاني الكامل \_الذي لا يشوبه عجز ولا قصور\_ وإن اتفقت معه ظاهرياً في بعض الأمور الفرعية.

بعد معرفتنا لمفهوم المنهج التربوي الإسلامي، كما مرّ معنا، لابد لنا من العودة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لاستخلاص ما تميّز به هذا المنهج دون غيره من المناهج، وما تفرّد به من خصائص، وفق ما يأتي:

## المبحث الأول: الربّانية

إذا كانت الربانية من سمات وخصائص المنهج التربوي الإسلامي، فإن "القصد بالربانية: أن أحكام الإسلام وتوجيهاته مصدرها الأصلي من الرب عزّ وجلّ، وليست نابعة من أهواء البشر، وهذا ما يميّزها عن النظريات الوضعية التي مصدرها الهوى والأفكار القابلة للردّ والتعديل، فتتغيّر وتتبدّل حسب الأهواء والشهوات".<sup>1</sup>

معنى ذلك أن الله تعالى هو مصدر التربية القرآنية التي فرضها علينا، إذ اليقين والتسليم بربانية المنهج التربوي، يوجب علينا الإيمان والعمل بكل الأوامر والنواهي، سواء أعلمنا الحكمة والعلة في فرضها أم لم نعلم، فإذا آمنّا بحب الله لنا، وأنه لا يرضى لنا إلا الخير والصلاح في كل أمورنا، ولّد هذا الحبّ في أنفسنا ميلا ورغبة في الاستمساك بدينه القويم، وبعدها ونفورا عن كل منهج وضعيّ أساسه اتّباع الهوى والميل عن منهج الله العظيم .

### المطلب الأول: الإيمان بربانية المنهج التربوي الإسلامي

إن الهدف من ربانية المنهج التربوي، هو الإيمان بالله مصدر هذا النظام الربانيّ الكامل، الذي لا حلال فيه ولا نقصان، هذا النظام الذي فرضه على جميع خلقه لإسعادهم، وجعل الغاية من خلقهم هو عبادته تعالى فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات)، إن مفهوم العبادة هنا في هذه الآية لا يقتصر على المعنى الضيق الذي يتبادر إلى أذهاننا وهو الصلاة فحسب، ولكن المعنى أوسع من ذلك وأشمل بكثير، إذ هي "التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، فإن هذين النوعين لم يخل شرع منهما، وأما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة، والقلة والكثرة، والزمان والمكان، والشرائط والأركان، ولما كان التعظيم اللائق بذي الجلال والإكرام لا يُعلم عقلا، لزم اتّباع الشرائع فيها والأخذ بقول الرسل عليهم السلام، فقد أنعم الله على عباده بإرسال الرسل، وإيضاح السبل في نوعي العبادة".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص45.

<sup>2</sup> \_ فخر الدّين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1401هـ\_1981م، 233/28، 234.

إن تعظيم الله نتاج التوجه إليه بالتوحيد والعبادة بنية خالصة له دون غيره، إلتزاماً بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ (الأنعام)، فإذا ما آمن العبد بالله واستمد أقواله وأفعاله من منهج الله، عظم أمره، وامتلاً قلبه بالرحمة والرفقة، ولانت جوارحه وفق ما يرضي الله، عندها يجب الخير لجميع خلقه ويشفق عليهم، ليكون ممن يدخلون ضمن قول النبي صلى الله عليه وسلم: { لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه }<sup>1</sup>، ومن هنا تكتمل تربيته النفسية والسلوكية على حدّ سواء، ومعنى آخر: لو فهم كل إنسان حقيقة وجوده في هذه الحياة الدنيا، وهو العبادة على شكلها الصحيح، وفهم كيف يوظف علمه، ويستخدم قدراته، ويستغل إمكاناته، لإعمار الأرض وفق منهج الله، لكان ممن يُحقِّق له التمكين في الأرض كما أراد الله، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَظِيمُ الْأُمُورِ ﴿١١١﴾﴾ (الحج)، هذه الآية في ظاهرها عامّة في جميع من قام بتحقيق أسباب التمكين في الأرض إلى يوم القيامة، وإن ذهب آخرون إلى تخصيصها، فقالت فرقة: "هذه الآية في الخلفاء الأربعة، ومعنى هذا التخصيص، أن هؤلاء خاصّة مُكِّنوا في الأرض من جملة الذين يُقاتلون، المذكورين في صدر الآية، والعموم في هذا كلفه أبين، وبه يتّجه الأمر في جميع الناس، وإمّا الآية آخذة عهداً على كل من مكّنه الله، كلّ على قدر ما مُكِّن، فأما (الصلاة) و (الزكاة) فكلّ مأخوذ بإقامتها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكلّ بحسب قوّته."<sup>2</sup>

إذن، لا سبيل لتحقيق الخيرية للأمة العربية والإسلامية إلا بتمكين المسلمين في الأرض، ولا تمكين لهم إلا بفهم المنهج التربوي الرباني فهما صحيحاً، اقتراناً بالتطبيق الجماعي له، لأن كل واحد ميسر لما خُلق له، والكل مأمور باستخدام ما آتاه الله من قوّة في سبيله ولخدمة خلقه ما أمكن، ولأن صلاح الأمة مرهون بقطع أواصر المفساد والفتن وهي في مهدها، فإن ذلك لا يكون إلا بتحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن

<sup>1</sup> - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: 7، من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ح13، 21/1، راوي

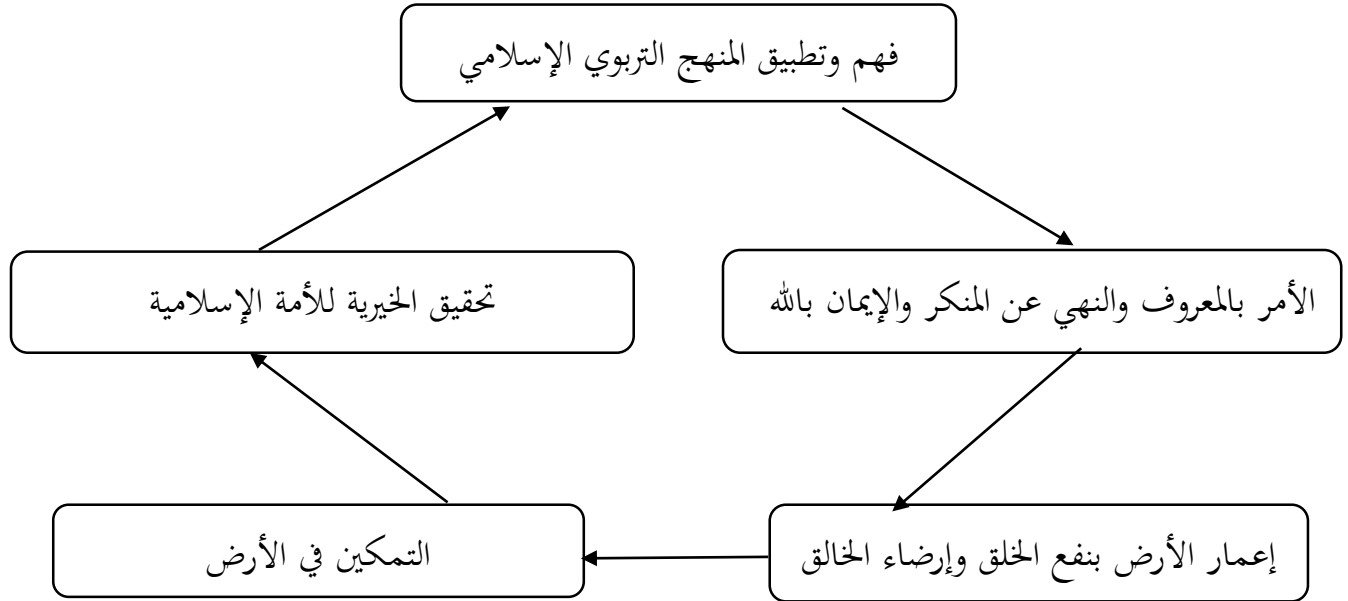
الحديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

<sup>2</sup> - ابن عطية، القاضي عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار

الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م، 126/4 .

المنكر، حفظا لهذه الأمة وحماية لها، يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران)، عندها يتحقق قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران)، أي: "يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم، فقال تعالى: (كنتم خير أمة أُخْرِجَتْ للناس)، .. والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس".<sup>1</sup>

فخيرية الأمة الإسلامية مرهونة بمدى تمسك أبنائها بمنهج الله تعالى، سواء الفهم أو التطبيق، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، هو السبيل الأنجع لإعداد الإنسان السويّ الصالح إعدادا صحيحا، وفق منهج تربويّ إسلامي، يمكنه من إعمار الأرض ثم التمكين فيها، لتبقى هذه العجلة السننية في دوران مستمر وثابت، لا تتوقف إلا إذا أصاب أحد عناصرها خلل بفعل التهاون والتقصير في الحقوق والواجبات، وذلك بحسب هذا المخطط التوضيحي لبيان ذلك:



### مخطط توضيحي لبيان حقيقة فهم وتطبيق المنهج التربوي الإسلامي

<sup>1</sup> - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 141/3 .

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام)، ذكر الطبري في تفسيره لهذه الآية، بأن الله تعالى أوصى عباده بالاستمسك بدينه الذي ارتضاه لهم، وأن هذا هو صراطه صراطا مستقيما، أي: "قويما لا اعوجاج به عن الحق، (فاتَّبِعوه) يقول: فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه، فاتَّبِعوه (ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) يقول: ولا تسلكوا طريقا سواه، ولا تركبوا منهاجا غيره، ولا تبغوا دينا خلافا من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان، وغير ذلك من الملل، فإنَّهَا بَدَعٌ وضلالات، (فتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول: فَيَشْتَتَ بِكُمْ - إن اتَّبَعْتُم السُّبُلَ المحدثه التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان - اتَّبَاعِكُمْ إِيَّاهَا، (عن سبيله) يعني: عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه، وهو الإسلام الذي وصَّى به الأنبياء، وأمر به الأمم قبلكم، (ذلكم وصَّاكم به) يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصَّاكم به ربكم من قوله لكم: (أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) وصَّاكم به (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) يقول: لتتقوا الله في أنفسكم فلا تُهْلِكُوها، وتُحْذِرُوا ربكم فيها، فلا تُسْخِطُوهُ عَلَيْهَا، فيحِلَّ بِكُمْ نَقْمَتَهُ وَعَذَابَهُ، ..عن مجاهد في قول الله (ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) قال: البدع والشبهات.<sup>1</sup>

من خلال هذا التفسير لهذه الآية نلاحظ ما يأتي:

1\_ إن الله تعالى أمرنا وأوصانا بالاستمسك بالدين الإسلامي الذي ارتضاه لنا .

2\_ إن اتَّخَذَ أَيُّ دِينٍ بَعْدَ دِينِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ رَدٌّ.

3\_ إن اتَّخَذَ أَيُّ مَنَهِجٍ مَخَالَفَ مَنَهِجِ اللَّهِ تَعَالَى، يُعَدُّ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْبَدَعِ وَالشَّهَوَاتِ .

4\_ إن المنهج التربوي الإسلامي رباني المصدر، لأنه مستمد من دين الله تعالى وهو الإسلام، دون غيره من القوانين البشرية الوضعية، ومن هنا " يستطيع الإنسان أن يقول \_ وهو مطمئن \_ : إن التصوّر الإسلامي هو التصوّر الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله (الربانيّ) وحقيقته (الربانية) ، فالتصورات الاعتقادية السماوية التي جاءت بها الديانات قبله، قد دخلها التحريف في صورة من الصور، ..وقد

<sup>1</sup> \_ محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 9/ 669، 670، 671 .

أضيفت إلى أصول الكتب المنزلة، شروح وتصوّرات وتأويلات وزيادات ومعلومات بشرية أُدمجت في صلبها، فبدلت طبيعتها (الربانية)، وبقي الإسلام وحده محفوظ الأصول، لم يشب نبعه الأصيل كدر، ولم يلبس فيه الحق بالباطل، وصدق وعد الله في شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر).<sup>1</sup> إن الحق واضح ملحوظ، والدين بين محفوظ، وما البدع والشبهات، والفتن والشهوات، إلا من صنّع الإنسان الضّالّ بفعل الهوى عن الحق، الملبيّ لدعوة عدو الحق، لذلك فالمنهج التربوي الإسلامي "صادر من الله للإنسان، وليس من صنع الإنسان، تتلقاه الكينونة الإنسانية بجملتها من بارئها، وليس الكينونة الإنسانية هي التي تنشئه كما تنشئ التصوّر الوثني، أو التصوّر الفلسفي على اختلاف ما بينهما، وعمل الإنسان فيه هو تلقّيه، وإدراكه، والتكّيف به، وتطبيق مقتضياته في الحياة البشرية."<sup>2</sup>

من خلال هذه التوضيحات ندرك أمرين هامّين ألا وهما:

### أولاً: الله عزّ وجلّ هو المشرّع

إن المنهج التربوي الإسلامي توجيه وتشريع من عند الله تعالى، إذ "التوجيه الربّاني يوجّه الإنسان لأفضل الأخلاق وأنبليها، حتى يبني مجتمعا يسوده العدل والأمانة والإخلاص والعفة وسائر مكارم الأخلاق، ويطهره من الرذائل التي تهدّم الفضائل وتفكك المجتمعات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف)."<sup>3</sup>

أي: لا يُصدر منهاجا تربويا قيّما، ولا يوجّه لأفضل الأخلاق وأصحّ القيم إلا الله، "فالله وحده هو الذي يعلم، والله وحده هو الذي يرتّب النتائج على الأسباب، يرتّبها بحكمته سبحانه، وبقدرته سبحانه، ولا يملك البشر أن يرتّبوا شيئا على شيء، ولا أن يجزموا بنتيجة شيء عن شيء، أو يعرفوا على وجه اليقين أين يكمن الشرّ، وأين يكمن الخير، إنّما هو الله المدبّر، وهو القادر، وهو الفعّال لما يريد"<sup>4</sup>، يقول تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك).

<sup>1</sup> \_ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص 45 .

<sup>2</sup> \_ سيد قطب، المرجع نفسه، ص 46 .

<sup>3</sup> \_ خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص 46 .

<sup>4</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط14، 1414هـ\_1993م، 61/1 .

ويقول أيضا: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة).

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية)، ذكر الطبري في تفسيره لهذه الآية قوله: "يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم: ثم جعلناك يا محمد، .. (على شريعة من الأمر) يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا، (فاتبعها) يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك، (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله الذين لا يعرفون الحق من الباطل، فتعمل به فتهلك إن عملت به."<sup>1</sup>

كما جاء في بدائع التفسير لابن القيم، قوله: " فالشريعة التي جعله ربّه عليها تتضمن ما أمره به، ورضيه له، وكل عمل وحبّ وذوق ووُجد وحال لا تشهد له هذه الشريعة التي جعله عليها فباطل وضلال، وهو من أهواء الذين لا يعلمون، فليس لأحد أن يتبع ما يجبه فيأمر به، ويتخذة ديناً، وينهى عما يبغضه ويذمه إلا بهدى من الله، وهو شريعته التي جعل عليها رسوله وأمره والمؤمنين باتباعها، ولهذا كان السلف يسمّون كل من خرج عن الشريعة في شيء في الدين: من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء، فيذمّونهم بذلك ويحدّرون عنهم ولو ظهر عنهم ما ظهر من العلم والعبادة، والزهد والفقر والأحوال والخوارق."<sup>2</sup>

فالله تعالى لما أنزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، بيّن له وأمره بأنك "على طريقة ومنهاج من أمر الدين، فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والبيّنات، ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهّال، وأديانهم المبنية على الأهواء والجهل."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> \_ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 85/21 .

<sup>2</sup> \_ ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير، جمعه وخرّج أحاديثه: يسري السيد محمد، وراجعته: صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ، 446/2 .

<sup>3</sup> \_ الرازي، مفاتيح الغيب، 266/27 .

ما دام التماشي في ظلّ التطورات العلمية والتكنولوجية والاقتصادية وغيرها ، ممّا يترك للعقل مجالاً للتبحّر والتفكر في ميدان الاجتهاد والإبداع، بغية مدّ الخُطى نحو التغيير والتقدم، لا يُعدّ ممنوعاً مادام ذلك في ظلّ التمسك بالأصول الدينية وفق المنهج الربّاني، لأن القرآن والسنة لا يقفان في وجه التقدّم والتطوّر المشروع، ولا يدعوان للتقليد أو الجمود الفكري أو التبلّد الحسّي، بل فيهما الأمر بالنظر والتبصّر، والعلم والتعلّم، والعمل والاجتهاد، لذلك، فـ "لقد خلق الله الإنسان لعبادته في إطار إعمار الأرض واستثمار خيراتها، وحسن استخداماتها، والعدل في توزيع خيراتها وعطاءاتها، ولكنه لم يتركه يتخبّط في عشواء، محاولاً أن يعبد ربّه وفق ما يخترعه من طرق، أو ما يستحسنه ويروق له من أساليب، فأرسل له الرسل مبشّرين ومنذرين، وختّمهم بالرسول العظيم صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين، الذي أوتي القرآن ومثله معه، .. القرآن العظيم، والسنة المطهّرة، وهما البرنامج العام للعقل الإنساني، فهو على الصراط المستقيم ما دام منفذاً ما أمراً به، مبتعداً عمّا نهى عنه، لأن الله تعالى هو الذي خلق بعلمه وقدرته، وأرشد وهدى بلطفه ورحمته، فأرسل إلى الإنسان ما يحقق إنسانيته، ويرشده إلى قيمة القيم في السلوك الإنساني، والحياة البشرية بامتدادها الأفقي، وعمقها الشاقولي، .. ومن المسلمّ به أن صانع الحاجة أعلم بما يصونها ويحفظها من التلف، وهو الأدرى بتصحيحها إن أصابها شيء من عطب، فالله هو الخالق، والله هو الهادي، والله تعالى على كل شيء قدير." <sup>1</sup>

إن هذا للدليل على علم الله المطلق بالنفس البشرية، فهو وحده من خلقها، ووحده من يعلم أسرارها وخفائها من جميع جوانبها، إنه المنهج القرآني السّيّ في تربية هذه النفس، هذا المنهج الذي يميّز بأصوله الثابتة، كما يميّز بالمرونة مع كل المستجدّات والمتغيّرات الطارئة بفعل تغيّر الزمان والمكان، فإذا ما بلغت منّا الحاجة مبلغها في اللجوء إلى منهج الله التربوي ، لإيجاد المخارج والحلول للطوارئ والمستجدّات، - لعجز المناهج الوضعية عن ذلك-، لوجدنا في منهج الله الحكمة والعلم والمنهج، كل ذلك نجدّه مبثوثاً بين دفتي كتاب الله تعالى، وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، من توجيهات ودروس تربوية، وأوامر ونواهي، كلُّ نستقي منها الحكم والعظات، وتتروّد منها الوقاية والعلاج .

<sup>1</sup> \_ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، مسند الدارمي، المعروف بسنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الدارمي، دار المغني

للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1421هـ - 2000م، مقدمة التحقيق، 6/1 .



## ثانيا: قصور الإنسان عن التشريع

لعلم الله تعالى بضعف خلقه في أنفسهم، وبجهلهم بآجلهم وعاجلهم، وبقدراتهم المحدودة التي يجدها الزمان والمكان، وبإمكاناتهم المحصورة بين القلة والفقدان، وبشهواتهم الخاضعة لسلطان الهوى، كانت هذه الأسباب كافية لعجزهم عن وضع دستور حياة، أو تحديد نظام يكون صالحا لكل زمان ومكان، ولكل إنسان أينما وكيفما كان، قال تعالى: ﴿بُرِيدُ اللَّهِ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء)، وقال أيضا: ﴿وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء)، "فالإنسان لا يستطيع أن يُشرع لنفسه، وليست لديه الإمكانيات والقدرات التي تجعله يضع منهاجا شاملا لحياته، لأنه يجهل نفسه، ويجهل نتائج تصرفاته، وكثيرا ما يخضع لسلطان شهواته، ومن هنا كان من الخطر على وجوده أن يُسند إليه أمر وضع منهج حياته".<sup>1</sup>

لذلك، كان من فضل الله علينا، ومن رحمته بنا، أن رزقنا منهاجا تربويا إسلاميا رباني المصدر، بين لنا حقيقته وأمرنا باتباعه، فمن أخذ به سعد في الدنيا والآخرة، ومن حاد عنه إلى غيره لشهوة أو لظلم فقد ظلم نفسه، "ولكي تتساند حركات الإنسان في الكون، فلا بدّ من مُشرّع واحد \_ وهو المشرّع الأعلى \_ يعطي قوانين الحركة البشرية لكل النَّاس، وإن ابتعد النَّاس عن تشريعات الله تعالى، وأخذوا يُقننون لأنفسهم، تجد قوانين البشر تتبع أهواءهم، وكل واحد يحاول أن يحصل على ميزات لنفسه، ويأخذ حقوق الآخرين، فتنفسد الحياة، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (المؤمنون)."<sup>2</sup>

إننا نحيا في زمن صعب وعصيب، الحق فيه \_ كما يُقال \_ منكوس، وأصحاب الباطل فيه رافعي الرؤوس، وقت تكالب الناس فيه على المغريات والملذّات، فأصبح يعجّ بالفتن والشهوات، حتى إذا تفاقمت فيه المحن والأزمات، تساءل كل واحد فينا: كيف توصلنا إلى ما نحن فيه؟ أين الدين الذي هو مصدر الهناء؟ أين الأخلاق أين الحياء؟

<sup>1</sup> \_ علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص 83 .

<sup>2</sup> \_ محمد متولي الشعراوي ، تفسير الشعراوي، 5072/8 .

إن حب الدنيا بالارتقاء في أحضانها والتشبث بها، والبعد عن دين الله بترك الواجبات، والتغافل عن التعاليم الإسلامية السمحة، وترك التربية الإسلامية الصحيحة، جعلنا ننسى قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (يونس).

جاء في تفسير الطبري، قوله "تعالى ذكره لعباده: أيها الناس، لا تطلبوا الدنيا وزينتها، فإن مصيرها إلى فناء وزوال، .. ولكن اطلبوا الآخرة الباقية ولها فاعملوا، وما عند الله فالتمسوا بطاعته، فإن الله يدعوكم إلى داره، وهي جناته التي أعدّها لأولياؤه، تسلموا من الهموم والأحزان فيها، وتأمّنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدّها لمن دخلها، وهو يهدي من يشاء من خلقه، فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام، الذي جعله جلّ ثناؤه سببا للوصول إلى رضاه، وطريقا لمن ركبه وسلك فيه إلى جنانه وكرامته."<sup>1</sup>

إذا كان لكل تربية مصدرا تعتمده في ترسيخ أصولها، فإن للمنهج التربوي الإسلامي أصولا قائمة، ودعائم ثابتة في ترسيخ القيم السليمة، وبث التوجيهات التربوية الصحيحة لتعديل السلوكات البشرية، يستقيها من المصدر الرباني المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهما منبع الدين الإسلامي، هذا الدين الذي جاء ليضمن لنا الحياة الكريمة التي ارتضاها لنا ربنا، فلو استمسكنا بهذا المنهج الذي سطره لنا حق التمسك وبحكمة بالغة، لزكت أنفسنا، ولصلحت حياتنا، ولنلنا سعادتي الدنيا والآخرة .

لذلك، فلنحمد الله تعالى على نعمة الإسلام، هذا الدين الذي ارتضاه لنا ربنا، وأصلح لنا به آجلنا وعاجلنا، وأولنا وآخرنا، وظاهرنا وباطننا، هذا الدين الذي ميّزته وبيّنته الأدلة والبراهين الربانية على أنه:

## 1 \_ دين الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران)، إن النعمة العظمى التي أنعم الله بها على عباده، وارتضاها لهم جميعا من لدن آدم إلى يوم القيامة، هي نعمة هذا الدين الإسلامي الذي يدعو إلى توحيد الله تعالى، والاستسلام له، والذي "جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وهو دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، ليس لله دين سواه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران)، وقد دلّ قوله: (إن الدين عند الله الإسلام) على أنه دين أنبيائه ورسوله

1 - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 153/12 .

وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم، وأنه لم يكن لله قط، ولا يكون له دين سواه، قال أول الرسل نوح: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنَّا جَرِي إِلا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس)، وقال إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقرة).<sup>1</sup>

و لبيان كلمتي "الدين والإسلام" فقد جاء في تفسير ابن عاشور قوله: "والدين: حقيقته في الأصل الجزاء، ثم صار حقيقة عرفية يُطلق على: مجموع عقائد وأعمال يلقيها رسول من عند الله، ويعد العاملين بها بالنعيم، والمعرضين عنها بالعقاب، .. وتعريف الإسلام تعريف العلم بالعلبة: لأن الإسلام صار علماً بالعلبة على الدين المحمدي"<sup>2</sup>، لأن الآيات القرآنية تدل على أن الإسلام دين يدعو لتوحيد الله تعالى، وهذا ما دعا إليه جميع الأنبياء والرسل، ومعنى الدين المحمدي، أي أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لما كان آخر الأنبياء والمرسلين، كانت رسالته عامة إلى جميع الأمم، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف).

وأما قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة)، فـ "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرّعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام) أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة) أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه.<sup>3</sup>

ومن هذا الدين الإسلامي العظيم سطر لنا منهج حياتنا كله، وهذا أكبر نعمة علينا لو كنّا نعقل ونتدبر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة).

<sup>1</sup> \_ ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير ، 226/1 .

<sup>2</sup> \_ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 3/ 188، 189 .

<sup>3</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 46/5 .

لا بد لنا أن نستمسك بدين الإسلام حق التمسك ما استطعنا، وأن نُخلص الدين لله كما أمرنا، وأن نعمل وفق منهج الله تعالى كما هُدينا، وأن ندعوه ليعيننا على ذلك ويهدينا، خوفا من زلات تنسينا، أو عصيان يطغينا، أو ظلم بجهنم يردينا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٣﴾ ﴾ (الزمر)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُمِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الزمر)، ذكر الرازي في قوله تعالى: (إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) قوله: "وهذا يشتمل على قيدتين: (أحدهما) الأمر بعبادة الله، (الثاني) كون تلك العبادة خالصة عن شوائب الشرك الجلي، وشوائب الشرك الخفي، .. والعبادة لها ركنان: عمل القلب وعمل الجوارح، وعمل القلب أشرف من عمل الجوارح، فقدّم ذكر الجزء الأشرف، وهو قوله (مخلصا له الدين) ثم ذكر عقيقه الأدون، وهو عمل الجوارح وهو الإسلام، فإن النبي صلى الله عليه وسلم فسّر الإسلام في خبر جبريل عليه السلام بالأعمال الظاهرة، وهو المراد بقوله (وأمرت لأن أكون أول المسلمين)."<sup>1</sup>

إن الله تعالى لما ارتضى لنا الإسلام دينا وأمرنا باتباعه، وعد بالفوز من استمسك بمنهج الله وعمل بما فيه خالصا له تعالى، وتوعدّ من أشرك غيره واتبعه بالخسران يوم القيامة، فقال: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (آل عمران)، أي: "ومن يطلب دينا غير الإسلام ليدين به، فلن يقبل الله منه، (وهو في الآخرة من الخاسرين) يقول: من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عز وجل"<sup>2</sup>، كما قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (آل عمران)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (الأنعام)، وما سعينا في هذه الحياة الدنيا، وما اتبعنا لمنهج الله ما استطعنا، وما تربية أنفسنا وفق هذا المنهج، إلا لنيل الحظّ من رحمة الله، وما ذلك إلا بتوفيق وهداية منه، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الأنعام)، أي: "فمن

<sup>1</sup> \_ الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، 254/26، 255 .

<sup>2</sup> \_ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 555/5 .

يرد الله أن يهديه للإيمان به وبرسوله، وما جاء به من عند ربه فيوقفه له، (يشرح صدره للإسلام) يقول: فسح صدره لذلك، وهونه عليه، وسهله له بلطفه ومعونته، حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضيء له، ويتسع له صدره بالقبول<sup>1</sup>، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَقْمِنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَلَيْسَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الزمر).

## 2 - دِين قِيم :

قال الله تعالى: ﴿فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (الروم)، ومعنى الآية: "يقول تعالى: فسدد وجهك واستمّر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملّة إبراهيم، التي هداك الله لها، وكمّلها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنّه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنّه لا إله غيره، .. والله تعالى فطر خلقه على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية والنصرانية والمجوسية، .. وقوله تعالى: (ذلك الدين القيم) أي: التمسك بالشرعية والفطرة السليمة هو الدين القويم المستقيم.<sup>2</sup>

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ (يوسف)، فيقول الشيخ الشعراوي في تفسيره: "لا تطيعوا أمراً أو نهياً إلا ما أنزل الله في منهجه الهادي للحق والخير، .. ولكن أكثر الناس لا يعلمون، بمعنى: أن الرسل قد بلّغتهم بالمنهج، ولكنهم لم يوظّفوا هذا العلم في أعمالهم.<sup>3</sup>

إذا كان الإسلام هو دين الله الحكيم، وشرعه القويم، وصراطه المستقيم، فحريّ بنا التماس رضى الله، والسعي باتّباع هداه، ولتحقيق الاستقامة والاعتدال، دون انحراف منّا ولا جدال، سواء أقصر بنا الزمن أو طال، لا بدّ لنا من تطبيق منهج الله التربويّ، باستمساكنا بكتاب الله والهدي النبويّ، حتى نضمن لأنفسنا الأمان قبل فوات الأوان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ

<sup>1</sup> \_ الطبري، المرجع نفسه، 541/9 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 26/11، 29 .

<sup>3</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 6959/11، 6960 .

حَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴿٣٦﴾ (التوبة)، يقول الشيخ الشعراوي: "وكما أعدّ الله سبحانه وتعالى للإنسان في كونه مقومات حياته اليومية، أنزل له القيم التي تحفظ له معنويات حياته، وأراد بها الحق سبحانه وتعالى أن تتساند حركة الإنسان ولا تتعاند، ومعنى التساند، أن تتحد حركة الناس جميعا في إيجاد النافع، لمزيد من الإصلاح في الأرض، أما إن تعاندت حركات البشر ضد بعضها البعض، فإن الفساد يظهر في الأرض، .. والحق سبحانه يريد في الكون حركة السلام والأمن والاطمئنان، وهذه لا تتم إلا إذا التزم كل إنسان بمنهج الله، حينئذ يوجد سلام دائم، ومستوعب شامل، مستوعب لسلام الإنسان الذي خلقه الله مخيرا، وأنزل له المنهج بالتكليف، في إمكانه أن يُطيع هذا المنهج أو أن يعصيه، وإن عصى الإنسان المنهج، فهو يُفسد في الأرض، وينشر فيها الظلم والفساد، .. وإذا سألنا أحد: لماذا نتبع هذا المنهج؟ نقول: إنه سبحانه قد أمرنا باتباعه، وهذا هو الإسلام الحقيقي، أن تُسلم اختيارك في الحياة لمرادات الخالق الأعلى، فالدين معناه الالتزام والانقياد لله، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (ذلك الدين القيم)، أي: قيم على كل أمور حياتنا، .. فما دام الله سبحانه وتعالى قد قال، فنحن نفعل، إذن: فالدين قيم علينا، والدين قيم أيضا على غيره من الرسالات السماوية، أي مهيمن عليها.<sup>1</sup>

فالله تعالى لما أُرشدنا لاتباع دينه القيم، وأمرنا بإخلاص العبادة له في السر والعلن، بيّن لنا بأن هذا هو المنهج الرباني الذي به نحفظ فطرتنا، ونربي أنفسنا، ونصلح أعمالنا، ونحظى بالفضل العظيم، والفوز المبين، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَالِيهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (الروم).

وعليه، نستطيع القول بأن "منهج التربية الإسلامية كمنهج الإسلام العام، منهج رباني في مصدره وغايته، ولذلك فهو يُزوّد الإنسان المتعلّم بمجموعة الحقائق والمعايير والقيم الثابتة، التي توجه عمله ونشاطه، بل وتعيّنه على عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله، فلا مرء أنه من الضروري لكل إنسان متعلم أن يفهم الحقائق الثابتة في الكون: كحقيقة الألوهية، وحقيقة الربوبية، وحقيقة الكون، وحقيقة الحياة، وحقيقة

<sup>1</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 5072/8، 5091 .

الإنسان، .. إلى آخره، فبدون فهم هذه الحقائق، لا يستطيع الإنسان أن يفهم وجوده، ولا دوره في هذا الوجود، فضلا عن مصدر وجوده وغايته، ومن الضروري أن يعرف الإنسان المتعلم المعايير التي يرجع إليها في إقامة الجوانب المختلفة لحياته على الأرض، ... ومن الضروري أن يفهم الإنسان المتعلم مجموعة القيم الأساسية التي يقوم عليها نظام الحياة الإنسانية الراقية، فالعلم واستخدامه في إعمار الحياة وترقيتها لا في خرابها، والإحسان والدقة في العمل، والنظام، والنظافة، وصدق الشعور في القول والعمل، .. كل هذه قيم ثابتة، لا يمكن أن يقوم نظام إنساني راق \_ في أي وقت \_ على وجه الأرض بدونها.<sup>1</sup>

إذا كانت أولى وأهم خاصية للمنهج التربوي الإسلامي أنه رباني المصدر، فإن أصوله ودعائمه في إصلاح الإنسان، من توجيه وتربية وتزكية، مستمد من الدين الإسلامي، الذي يُعدّ الكتاب والسنة منبعين لها، يستقي منهما كل أمر ونهي رباني، تأتي على بيان هذين المصدرين، لبيان أهميتهما وحاجتنا إليهما في التربية والإصلاح، كما يأتي:

### المطلب الثاني: الربانية في القرآن الكريم

إن كتاب الله تعالى هو القرآن الكريم، ذلك النور المنزل من عند الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، يقول فيه تعالى: ﴿الْم ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ (البقرة)، ويقول أيضا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ (المائدة)، ويقول: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِن عِبَادِنَا ۝٥٦﴾ (الشورى)، ويقول أيضا: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١﴾ (إبراهيم).

وهو كتاب الله المعجز بألفاظه ومعانيه، لكونه كتاب علم وهداية، وتربية وإصلاح، يقول تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۝١٨٥﴾ (البقرة)، ويقول: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ (المائدة)، وهو المصدر الرئيسي الأول للتربية الإسلامية، لكونه منهجا ربانيا كاملا وشاملا لجميع الجوانب والمجالات في الحياة الإنسانية، لقوله تعالى: ﴿مَا قَرَّظْنَا

<sup>1</sup> \_ علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، ص 85 .

فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴿٧٦﴾ (الأنعام)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (الزمر)، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (النحل)، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ (النمل)، فما من موضوع مبثوث بين دفتيه إلا ونجده يتضمن أنبل القيم الأخلاقية، وأرفع الطرق التربوية، بغية الأخذ بيد الإنسان نحو الارتقاء به لأسمى مقام يؤهله لتحمل مسؤولية إقامة منهج الله في الأرض، فهما وتطبيقا، ليكون بذلك أهلا لخلافته فيها وإعمارها، لذلك لو تأملنا التشريع الإلهي في كتابه العزيز، لوجدنا بأنه ما من أمر ولا نهي إلا وله أبعادا تربوية، لا تخلو من كونها تهدي العباد إلى صراط الله، وذلك بتعديل وتصحيح السلوك الإنساني، وفق تربيته الجسمية والعقلية والروحية والخلقية والاجتماعية، وغيرها، لقوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ (الإسراء).

لقد تضمن القرآن الكريم منهج الله كله، من أخذ به أسعد، ومن حاد عنه، فعن رحمة الله أبعد، هذا الكتاب المعجز بألفاظه ومعانيه، والذي تتجلى آثار الهداية والتربية والتوجيه، والوعظ، والإرشاد، في كل آياته، لتتشعر منها الجلود والأبدان، ويرق لها قلب كل إنسان، إنه القرآن وما أدراك ما القرآن، به الحل لكل ما أشكل، وفيه العلاج لكل الأسقام والعِلل، وبه الأمن بعد الخوف من الزلزل، هو المقوم للنفوس لتتوازن فلا تتزلزل، وهو المصدر الأول للمنهج التربوي الأمثل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿٩١﴾﴾ (الإسراء)، يقول الشيخ الشعراوي: "ومعنى (أقوم)، أي: أكثر استقامة وسلاما، هذه الصيغة تُسمى أفعال التفضيل، إذن: فعندنا (أقوم) وعندنا أقل منه منزلة (قيم)، كأن نقول: عالم وأعلم، فقوله سبحانه .. يدل على وجود (القيم) في نُظم النَّاسِ وقوانينهم الوضعية، فالحق سبحانه لا يحرم البشر من أن يكون لهم قوانين وشرائع، حينما تعضهم المظالم ويشقون بها، فيقتنون تقنيات تمنع هذا الظلم، ولا مانع من ذلك إذا لم ينزل لهم منهج من السماء، فما وضعوه وإن كان قيما، فما وضعه الله أقوم، .. أما منهج السماء فإنه يضع الوقاية، ويمنع المرض من أساسه، فهناك فرق بين الوقاية من المرض، وبين العلاج للمرض."<sup>1</sup>

<sup>1</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 8376/14، 8377 .



إذن، فالقرآن قد اشتمل على جميع المعاني الأخلاقية، والدروس والتوجيهات التربوية التي أمرنا الله بها، والتي يمكننا استنباطها من آياته العظيمة قبل وقوعها، وعند وقوعها.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ (النحل)، ذكر القرطبي، أنه ورد "في حديث: إن أبا طالب لما قيل له: إن ابن أخيك زعم أن الله أنزل عليه: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية، قال: اتبعوا ابن أخي، فوالله، إنه لا يأمر إلا بمحاسن الأخلاق، .. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هذه أجمع آية في القرآن، لخير يُمتثل، ولشر يُجتنب." <sup>1</sup>

فما من خير يُؤمر به الإنسان فيؤتى، وما من شر يُنهى عنه فيترك، إلا به قوامه، وما الالتزام بمنهج الله المسطر في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إلا نتاج التربية الصحيحة على هذا الأمر والنهي، الذي به يُرفع العبد من دنس الرذائل إلى رفعة الفضائل.

إن فضل الله علينا بهذا القرآن العظيم، نعمة لمن تعلّمه وعمل به وفق منهج الله، فلقد "تتابع الوحي واكتمل ليكون منهج حياة، ونظام مجتمع، وأساس حضارة، ولتطبق قيمه ومبادئه، فتحوّل إلى سلوك تصطبغ به الحياة ويسير عليه المجتمع، ولكن هذه المبادئ، وهذه القيم، لا تؤدي دورها إلا بجهد الإنسان وجهوده، وإلا فستبقى هذه المبادئ فلسفة نظرية، أو رياضة عقلية، أو رصيда معرفيا .. ، وقد يتخذ قوم مادة للتغني والتجويد، أو يتلون في مناسبات العزاء، أو يتخذونه حجابا يتبركون به، ويدفعون به صائلات الدهر .. ، فالقرآن لا يعمل بطريقة سحرية، ولا تتدخل قدرة الله إلا بعد بدء الإنسان ببذل ما لديه من جهد وإن كان قليلا، وأنذاك، تتدخل قدرة الله فتوصله إلى الغاية المطلوبة، ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿١٥١﴾﴾ (مرم). <sup>2</sup>

ولأن القرآن الكريم أول وأهم مصدر رباني من مصادر التربية الإسلامية، فالحكمة الإلهية التي أرادها الله تعالى تقتضي هداية الناس وإصلاحهم وإسعادهم، رحمة بهم كتبها على نفسه تعالى، وخيرا مطلقا لا يشوبه

1 \_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 411/12، 412 .

2 \_ الدارمي، سنن الدارمي، 1/66، 67 .

ظنّ ولا شك أبداً، فإذا ما أشكل على الأمة وقع، أو حازها أمر، لجأت إلى الباب الذي لا يوصد، والنبع الذي لا ينفد، فهو الذي يُفَرِّج الضوائق ويُسعِد، وإن تعدّدت المجالات و اختلفت الميادين، إنه كتاب الله تعالى، منهج الحياة ودستور الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ﴾ (الأنعام)، وقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ۚ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل). وأخيراً، نستخلص ما يأتي:

- 1\_ القرآن الكريم هو كتاب الله، المعجز بألفاظه ومعانيه، وهو المصدر الربانيّ الأول للتربية والإصلاح .
- 2\_ القرآن الكريم منهج الحياة، ودستور الأمة الإسلامية .
- 3\_ بيان كتاب الله للأبعاد التربوية، من خلال آياته القرآنية .
- 4\_ فهم المنهج التربوي الإسلامي، من خلال الآيات القرآنية، لتحقيق الخيرية للأمة الإسلامية .
- 5\_ أهمية المنهج التربوي من الدين الإسلامي، في الوقاية من الأمراض والعلل، وعلاج الأسقام بعد الزلزل.

### المطلب الثالث: الربانية في السنّة النبوية الشريفة

إذا عدنا لمعاجم اللّغة العربية للبحث عن لفظ السنّة، وجدنا المعنى لا يخرج عما ذُكر في لسان العرب الذي جاء فيه:

"سنّة الله: أحكامه وأمره ونهيه، .. وسنّها الله للناس: بيّنها، وسنّ الله سنّة أي بيّن طريقاً قويمًا، والسنّة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة، .. وقد تكرّر في الحديث ذكر السنّة، والأصل فيه الطريقة والسيرة، وإذا أُطلقت في الشرع فإنّما يُراد بها ما أمر به النبيّ صلى الله عليه وسلم، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلاً، ممّا لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلّة الشرع: الكتاب والسنّة، أي القرآن والحديث، .. والسنّة: الطريقة، .. التهذيب: السنّة الطريقة المحمودة المستقيمة، .. والسنّة في الأصل سنّة الطريق، وهو طريق سنّه

أوائل النَّاسِ فصار مسلكا لمن بعدهم، وسَنَّ فلان طريقا من الخير يسنُّه، إذا ابتداءً أمرا من البرِّ لم يعرفه قومه، فاستنوا به وسلكوه.<sup>1</sup>

إذن، فلفظ السنَّة في معاجم اللغة له عدة معانٍ لغوية منها:

- 1\_ كل ما بيَّنه الله تعالى لعباده، من أمر ونهي وغيره، هو سنَّة الله تعالى .
  - 2\_ كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل أو تقرير، غير ما جاء في القرآن، فهو سنَّة.
  - 3\_ كل سيرة حسنة كانت أم قبيحة فهي سنَّة .
  - 4\_ كل طريقة محمودة ومستقيمة فهي سنَّة .
  - 5\_ كل من خطَّ طريقا وسلكه من بعده، فقد سنَّ سنَّة .
- للمجمع بين هذه المعاني، نستطيع القول بأن السنَّة هي:

اتباع الطريقة المحمودة التي سنَّها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خلال ما ورد عنه من قول وفعل وتقرير، طبقا لما أمره تعالى ببيانه عن طريق الأمر والنهي .

يقول ابن ماجة: "والسنَّة بهذا المعنى: تشمل قوله صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره، فكل ذلك من الأدلَّة التي تثبت بها الأحكام الشرعية، ويجب على النَّاسِ اتباعها، واتباع السنَّة بهذا المعنى: الأخذ بمقتضاها في تمام الأحكام الدينية، من الإباحة والوجوب والحرمة والندب والكرهية، ويُحتمل أنه أراد بالسنَّة، الطريقة المسلوكة له صلى الله عليه وسلم، فيشمل تمام الدِّين، سواء أثبت بالكتاب أو بالسنَّة."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ ابن منظور، لسان العرب، 225/13، 226 .

<sup>2</sup> \_ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب: السنَّة، باب: اتباع سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، 7/1 .

ومنه، نستطيع القول بأن السنّة مصدر ربّاني من مصادر التربية الإسلامية بعد القرآن الكريم، منها نستقي المنهج التربوي الصحيح، الذي به نربّي أنفسنا، ونعدّل سلوكنا، ونصحّح أخطاءنا، ونبني شخصيتنا، ليكون كل واحد منّا سويًا في أفعاله وانفعالاته، متأسيًا في ذلك كله بصاحب هذه السنّة الشريفة صلى الله عليه وسلم، إذ لا معلّم ولا مرّي، ولا هادي ولا مُزكّي مثله، لا قبله ولا بعده، اصطفاه الله تعالى لحمل الرسالة وأداء الأمانة، فكان خير الخلق وصاحب الحق، حتى عُرف بين قومه بالصدق، والأمانة والرفق، والرحمة وحسن الخلق، فشهد الله تعالى له بذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝١٠١﴾ (القلم).

يقول الله تعالى: ﴿الرَّكَّابُ أُنزِلَتْهُ إِلَيْكَ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۝١٠٢﴾ (إبراهيم)، لما اصطفى الله تعالى نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور بفضل كتاب الله المنزّل عليه، كانت بعثته صلى الله عليه وسلم مطابقة لدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۝١٠٣﴾ (البقرة).

يقول الطبري: "وهذه دعوة إبراهيم وإسماعيل صلوات الله عليهما لنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصّة وهي الدعوة التي كان نبيّنا صلى الله عليه وسلم يقول: {أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى}، .. عن قتادة قوله: ( ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم) : ففعل الله ذلك، فبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يعرفون وجهه ونسبه، يُخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد، .. ويعني تعالى ذكره بقوله: (يتلوا عليهم آياتك) : يقرأ عليهم كتابك الذي توحى إليه، .. قال ابن زيد: (ويعلمهم الكتاب) قال: الكتاب القرآن، .. ثم اختلف أهل التأويل في معنى (الحكمة) التي ذكرها الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هي السنّة، .. وقال بعضهم: الحكمة هي المعرفة بالدين والفقّه فيه، .. أخبرنا ابن وهب، قال: قلت لمالك: ما الحكمة ؟ قال: المعرفة بالدين، والفقّه فيه، والاتباع له، .. والصواب من القول عندنا في (الحكمة) أنّها: العلم بأحكام الله التي لا يُدرّك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها، وما دلّ عليه ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من (الحكم) الذي بمعنى الفصل بين الحقّ والباطل، ..

ومعنى قوله: (ويزكّهم) في هذا الموضع: ويظهرهم من الشرك بالله، وعبادة الأوثان، ويُتمّهم ويكثّرهم بطاعة الله.<sup>1</sup>

أما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: {أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى}، ففيه بيان لاستجابة الله تعالى لدعوة إبراهيم عليه السلام " لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، أي من ذرية إبراهيم، وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قَدَر الله السابق، في تعيين محمد صلى الله عليه وسلم رسولا في الأميين، إليهم وإلى سائر الأعجميين من الإنس والجنّ، .. والمراد أن أوّل من نوّه بذكره وشهّره في النَّاس إبراهيم عليه السلام، ولم يزل ذكره في النَّاس المذكورا مشهورا سائرا، حتى أفصح به خاتم أنبياء بني إسرائيل نسابا، وهو عيسى بن مريم عليه السلام، حيث قام في بني إسرائيل خطيبا، وقال: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ (الصف)، ولهذا قال في هذا الحديث: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بن مريم.<sup>2</sup>

وأما معرفة قريش بنسب النبي صلى الله عليه وسلم لكونه منهم، ومعرفة أخلاقه العظيمة بينهم، للدليل واضح بيّن على صدق دعوته، وسبب مقنع للإيمان بدينه، ما جعلهم مسترسلين نحوه، طائعين أمره، غير آبهين بالتعذيب والتقتيل الذي يلحق بهم، وأن ديناً يدعو للحق والعدل، ويُخرج النَّاس من ظلمات الجهل إلى نور الحق، أحقّ أن يُتَّبَع، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة)، وهذا ما نستشقه أيضا من خلال ما بيّنه الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي، حينما هاجر ومن معه إلى الحبشة، فرارا بدينهم من ظلم كفار قريش، قال جعفر: " أيها الملك، كنّا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات،

<sup>1</sup> \_ الطبري، تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 572/2،..577 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 96/2، 97 .

وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدّقناه وآمنّا به، واتبّعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنّا نستحلّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترتناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.<sup>1</sup>

عندما سمع النجاشي ما سمع من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، علم بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدرك عن يقين صحة هذا الدّين الذي يدعو إليه، وأن منهجا كهذا المنهج الذي جاء به، لا يمكن أن يكون بشري المصدر، لكونه موافقا للفترة السليمة، و لكونه يسمو بالنفوس نحو العلياء، جرّاء غرس أفضل الأخلاق بها، وأنبل المبادئ والقيم، فكتب إلى رسول الله كتابا، ردّا على كتابه، جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من النجاشي الأصحم بن أبجر: سلام عليك، يا نبيّ الله من الله، ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا هو، الذي هداني إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدّقاً، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمّك، وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين، وقد بعثت إليك، يا نبيّ الله، بأريحا من الأصحم بن أبجر، فأبّي لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك، فعلت يا رسول الله، فأبّي أشهد أن ما تقول حق."<sup>2</sup>

لما كان القرآن الكريم خلقاً للنبيّ صلى الله عليه وسلم، كانت سيرته العطرة تجسيدا واقعيا لكل التوجيهات والتوصيات التربوية المبثوثة في القرآن الكريم، لأن البيان بالتطبيق أبلغ في النفوس وأرسخ في العقول، ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب).

يقول الشيخ الشعراوي في تفسير هذه الآية: "أسوة: قدوة ونموذج سلوكي، والرسول صلى الله عليه وسلم مُبلّغ عن الله منهجه، لصيانة حركة الإنسان في الحياة، وهو أيضا صلى الله عليه وسلم أسوة سلوك، فما

<sup>1</sup> \_ عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، دار المنار، القاهرة، د.ط، 1410هـ\_1990م، 335/1، 336 .

<sup>2</sup> \_ الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، جيزة، ط1،

1417هـ\_1997م، 207/4.

أيسر أن يعظ الإنسان وأن يتكلم، المهم أن يعمل وفق منطوق كلامه ومراده، وكذلك كان سيدنا رسول الله مبلغًا وأسوة سلوكية، لذلك قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: كان خُلُقُهُ القرآن.<sup>1</sup>

ويقول أيضا: "والمفهوم في الرسول أن يكون أسوة سلوكية، وأن يكون مبلغًا عن الله منهجه، وأن يعلن بشريته ويقول: أنا بشر وأستطيع أن أمثل وأطبق المنهج، إذن فهو أسوة سلوكية تطبيقية."<sup>2</sup>

قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ (البقرة).

إن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده، فهو الرحمة المهداة، وهو المعلم الهادي للحق، والمربي على منهج الله، فكان معنى قوله تعالى: " (كما أرسلنا فيكم رسولا) أي، ولأنتم نعمتي عليكم، بيان شرائع ملتكم الحنيفية، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم، فأجعل لكم دعوته التي دعاني بها، ومسألته التي سألنيها فقال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة)، كما جعلت لكم دعوته التي دعاني بها، ومسألته التي سألنيها فقال: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ (البقرة)، فابتعثت منكم رسولي الذي سألني خليلي إبراهيم وابنه إسماعيل، أن أبعثه من ذريتهما.<sup>3</sup>

إن التحول الجذري الذي حققه النبي صلى الله عليه وسلم في أمته، كونه بُعث للناس كافة، لقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾﴾ (الأعراف)، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٨﴾﴾ (سبا)، يُعدّ أعظم إنجاز يحققه أي نبي في إبلاغ قومه، رغم بعثة الأنبياء لأقوامهم خاصّة، حيث أن المنهج التربوي الإسلامي الذي طبّقه النبي صلى الله عليه وسلم لهداية قومه، هو السبيل الأنجع في تطهير النفوس، بإخراجها من أحوال الشرك والجهل، إلى نور الحق والعلم، إذ أن "نصيب أي منهج من الصحة يُقاس — إذا توفرت الظروف المناسبة — بمقدار نجاحه، وبالنتائج التي حققها ذلك، ونحن

1 \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 11979/19 .

2 \_ متولي الشعراوي، المرجع نفسه، 1850/3 .

3 \_ الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، 692/2 .

إذا طبّقنا هذه القاعدة على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في التربية، لوجدنا أن الآثار التي حقّقها هذا المنهج، والنجاح الباهر الذي وصل إليه، لم يصل إليه أي منهج تربوي في التاريخ، .. وبهذا المعيار التربوي السليم، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المرّيّ العظيم لأجيال من النَّاس، ضمّت آلافا من الملايين، تسير على نهجه، وتتأثّر بقوله وبعمله وإرشاده في الفكر والعاطفة والسلوك.<sup>1</sup>

وفي ذلك كلّهُ "يُذَكِّرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ، وَيُرَكِّبُهُمْ، أَيْ يَطَهِّرُهُمْ مِنْ رِذَائِلِ الْأَخْلَاقِ، وَدَنَسِ النَّفُوسِ، وَأَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ: وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَالْحِكْمَةَ: وَهِيَ السُّنَّةُ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ، فَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ، يَسْفَهُونَ بِالْقَوْلِ الْفَرَى، فَانْتَقَلُوا بِبُرْكَ رِسَالَتِهِ، وَيَمْنِ سَفَارَتِهِ، إِلَى حَالِ الْأَوْلِيَاءِ، وَسَجَايَا الْعُلَمَاءِ، فَصَارُوا أَعْمَقَ النَّاسِ عِلْمًا، وَأَبْرَهَمَ قَلْبًا، وَأَقْلَهَمَ تَكَلُّفًا، وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً، .. قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ) يَقُولُ: كَمَا فَعَلْتُ فَادْكُرُونِي، .. عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَشْكُرُكَ؟ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: تَذَكِّرُنِي وَلَا تَنْسَانِي، فَإِذَا ذَكَرْتَنِي فَقَدْ شَكَرْتَنِي، وَإِذَا نَسَيْتَنِي فَقَدْ كَفَرْتَنِي."<sup>2</sup>

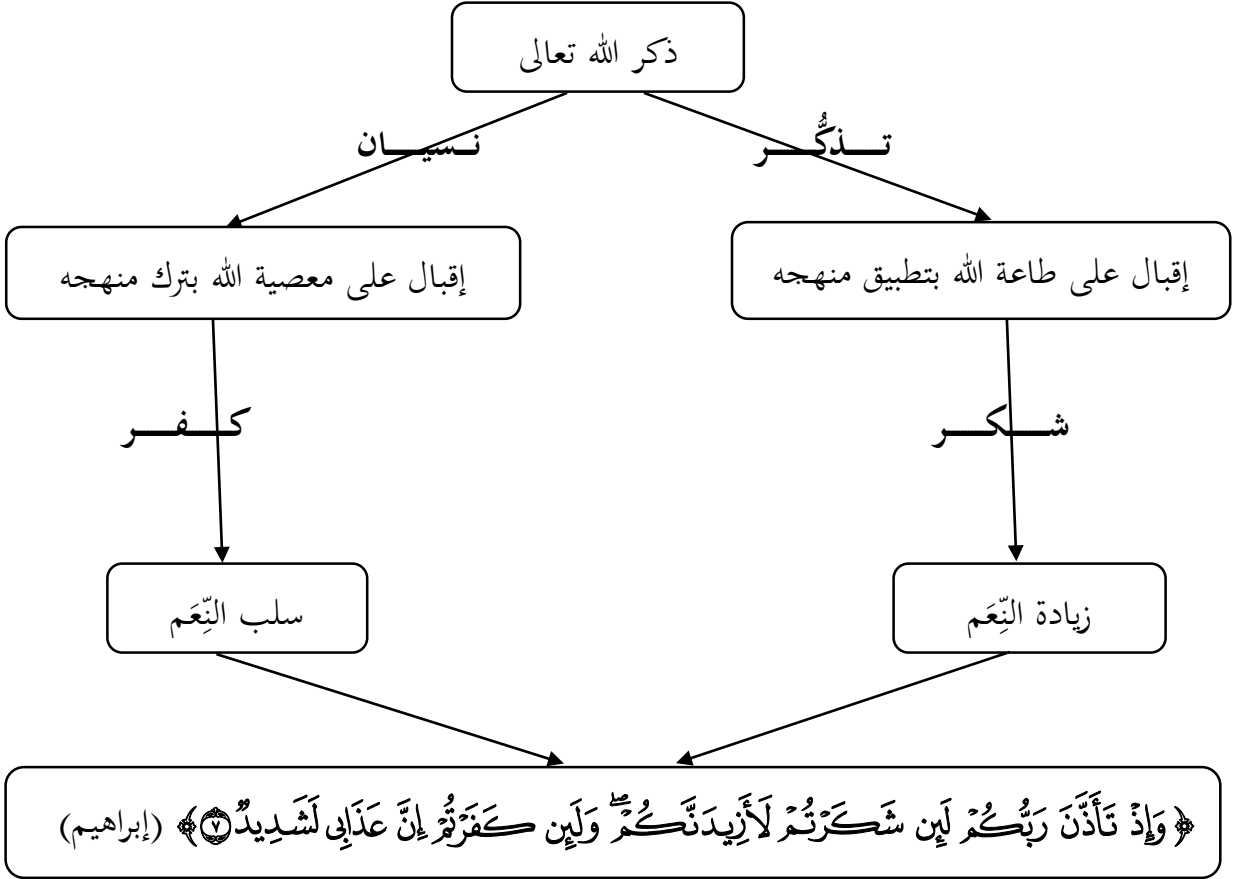
وإن شكر الله على نعمة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي جاء مبيناً لدين الله تعالى، وهادياً لشريعته، ومنهجه التربوي، لأكبر نعمة، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ (البقرة)، لأن تذكّر الله تعالى في كل حين، يعث على حب الله والإقبال على تطبيق منهجه، وهذا يُعدّ نعمة يستحقّ صاحبها الزيادة بالشكر عليها، وهذا وعد من الله تعالى، عكس من ينسى الله بعدم ذكره ولا شكره له، فينسى عذابه، ويتجرّأ بالإقدام على المعاصي، فيكفر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧٧﴾﴾ (إبراهيم). ويكون بيان ذلك كلّهُ، وفق هذا المخطط البياني:

<sup>1</sup> \_ يوسف خاطر حسن الصوري، أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتربية، صندوق التكافل لرعاية أسر الشهداء

والأسرى، الكويت، د.ط، 1991م، ص 13 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير تفسير، القرآن العظيم، 124/2، 125 .





مخطط توضیحي لفضل الذکر فی تطبيق منهج اللہ تعالیٰ

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٣٤﴾﴾ (آل عمران).  
ويقول أيضا: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ (الجمعة).

إن هاتين الآيتين، إضافة إلى الآيتين السابقتين من سورة البقرة الآية 129، والآية 151، تبين لنا وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم، التي أمره الله بها وهي التبليغ، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴿٦٧﴾﴾ (المائدة)، لأن وظيفة الرسول هي التبليغ كما أمره من بعثه، لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴿٦٨﴾﴾ (الأحقاف)، ثم بين تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أنه تكفل بهداية خلقه، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴿٦٩﴾﴾ (البقرة)، وقال: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ (النحل)، وقال أيضا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (القصص)، لذلك كانت مهمة النبي صلى الله عليه وسلم تتمثل في الأمور الثلاثة التي أمره الله بها، وذكرتها الآيات السابقة، وهي على التوالي: التلاوة، والتزكية، والتعليم، والتي تُعد من مقومات المنهج التربوي الإسلامي، والتي بتطبيقها استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يربي أصحابه، ويخرجهم من ظلمات الشرك والجهل إلى نور الإسلام، حتى صاروا سادة قادة علماء، فكانوا خير أمة أُخرجت للناس، هذا المنهج الإسلامي الذي به تتم عملية التغيير والإصلاح، وبه تحدث الهداية والفلاح، يكون بيان هذه الوظائف الثلاث كالآتي:

### الوظيفة الأولى: التلاوة

لقد ذكر تعالى قوله: (يتلوا عليهم آياته) في الترتيب الأول من الآيات الأربع السابقة، وذلك لأمر منها:

1/ \_ عند بداية تلقي النبي صلى الله عليه وسلم الوحي، تولى الله تعالى تحفيظه للقرآن، كما تولى تسهيل تلاوته، ثم بيانه، فقال: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ (القيامة)، ففي هذه الآيات "تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لآدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى: جمعه في صدره، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه." <sup>1</sup>

فالله تعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بتلاوة القرآن وترتيبه فقال: ﴿وَرَقِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل)، تكفل بتحفيظه له، كما تولى حفظه من التغيير والتبديل، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر).

2/ \_ لما كانت قريش أهل بلاغة وفصاحة، كانوا يتذوقون الشعر لمكانته العظيمة بينهم آنذاك، لذلك كان أول شيء يتلقونه من الرسالة هو تلاوة القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا منهج تربوي إسلامي، حيث تُعد هذه التلاوة طرقا للمسامع، وقرعا للأذان، ما يدفع النفوس مباشرة عند سماعه، إلى الإقرار بربانية هذا القرآن العظيم، والإيمان بهذا الدين القويم، أما من أنكر ذلك جحودا واستكبارا، فقد توعدده تعالى بعذاب من عنده، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل)، كما نزلت الآيات البينات فيمن أنكروا وجحدوا واستكبروا، فهذا الوليد بن المغيرة حين ثلثت عليه آيات الله تعالى، رغم فصاحته وتذوقه للشعر، ورغم إقراره بأن هذا القرآن كلام الله، إلا أن عناده جرّه ليقول غير ذلك، فقال فيه تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنِّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾﴾ (المدثر)، جاء في تفسير الطبري: ". عن عكرمة، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 196/14 .

أبا جهل، فأتاه فقال: أي عمّ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: يُعطونك، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبلك، قال: قد علمت قريش أتي أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال، وأنت كاره له، قال: فماذا أقول فيه، فوالله ما منكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنه ليحطّم ما تحته، وإنه ليعلو وما يُعلى، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يأنثره عن غيره، فنزلت: (ذري ومن خلقت وحيدا) .. وعن ابن عباس .. قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، يسأله عن القرآن، فلما أحبره خرج على قريش، فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا يهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله، فلما سمع بذلك التفر من قريش ائتمروا، وقالوا: والله لئن صبأ الوليد، لتصبأ قريش.<sup>1</sup>

إن منهجا ربّانيا مصدره بهذا القدر من الإعجاز، لجدير بالاتباع والفهم والتطبيق، لأن الذي يوجه الإنسان للخير لا يأتي إلا بخير، وما الأخذ بغيره إلا ضرب من الظنّ، وظلم للنفس، لا يجزّ بذلك إلا أذيال الخيبة في الدنيا والآخرة.

3/ \_ إن الفاصل بين من آمن بالحق من عند الله، وبين من لم يؤمن بآياته، هو التلاوة، لكونها تُحدث في الإنسان انفعالات بمجرد وصولها للأذان، ودليله ما يحدث الآن في الدول الغربية من مداواة مرضاهم بسماع القرآن الكريم، وإن لم يفهموا معناه، إلا أنه يُحدث في قلوبهم طمأنينة وسكينة، هذه الطمأنينة التي هي بفعل التلاوة، أدخلت الكثير منهم للإسلام، وهي التي يقول فيها تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد)، فإذا ما اطمأن القلب ظهرت الانفعالات مباشرة بعده، والتي تُحدثها الحواس، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُ الرَّحْمٰنِ حَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا ﴿٥٨﴾ (مریم)، يقول الشيخ متولي الشعراوي: "لم يقل: سجدوا، بل سقطوا بوجوههم سريعا إلى الأرض، وهذا انفعال قسري طبيعي، لا دخل للعقل فيه ولا للتفكير، فالساجد يستطيع أن يسجد بهدوء ونظام،

<sup>1</sup> \_ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 429/23، 430.

أما الذي يَحْرَ فلا يفكر في ذلك، .. وهذا الانفعال يُسمونه "انفعال نزوعي"، ناتج عن الوجدان، والوجدان ناتج عن الإدراك، وهذه مظاهر الشعور الثلاثة: الإدراك، ثم الوجدان، ثم النزوع، والإنسان له حواس يُدرك بها: العين والأنف واللسان .. إلخ، فهذه وسائل إدراك المحسّات، فإذا أدركت شيئا بحواسك تجد له تأثيرا في نفسك، إما حبّا وإما بُغضا، إما إعجابا وإما انصرافا، وهذا الأثر في نفسك هو الوجدان، ثم يصدر عن هذا الوجدان حركة هي "النزوع"، .. كذلك الحال فيمن يتسمّع لكلام الله وقرآنه، يدرك القرآن بسمعه، فينشأ عنه حلاوة ومواجيد في نفسه، وهذا هو الوجدان الذي ينشأ عنه انفعال نزوعي، فلا يجد إلا أن يَحْرَ ساجدا لله تعالى، والنزوع هنا لم يكن نزوعا ظاهريا، بل وأيضا داخليا، ففاضت أعينهم بالدمع (سجّداً وبكيا)، وقد عولج هذا المعنى في عدة مواضع أُخر، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّا لِلّٰهِ اٰتِيْنَ اَوْثُوۡا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِۦٓ اِذَا يَتْلٰى عَلَيْهِمْ يَحْرِوۡنَ لِلذَّقَانِ سَجْدًا ﴿١٣٧﴾ (الإسراء)، .. ومن النزوع الانفعالي أيضا قوله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ وَاِذَا سَمِعُوۡا مَا اُنزِلَ اِلَى الرَّسُوْلِ تَرَوۡا اَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوۡا مِنَ الْحَقِّ ﴿٨٣﴾ (المائدة)،

وقوله تعالى: ﴿ اَللّٰهُ نَزَّلَ اَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتٰبًا مُّتَشٰبِهًا مَّثٰنِي تَقَشَّعِرُ مِنْهُ جُلُوۡدُ الَّذِيۡنَ يَخْشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِيۡرُ جُلُوۡدُهُمۡ وَقُلُوۡبُهُمۡ اِلَى ذِكْرِ اللّٰهِ ﴿٢٣﴾ (الزمر)، فلماذا يؤثر الانفعال بالقرآن في كل هذه الحواس والأعضاء من جسم الإنسان؟ قالوا: لأن الذي خلق التكوين الإنساني هو الذي يتكلّم، والخالق سبحانه حينما يتكلّم وحينما تفهم عنه وتعي، فإنه سبحانه لا يخاطب عقلك فقط، بل يخاطب كل ذرّة من ذرّات تكوينك، لذلك تحرّ الأعضاء ساجدة، وتدمع العيون، وتقشعرّ الجلود، وتلين القلوب، كيف لا والمتكلّم هو الله.<sup>1</sup>

## الوظيفة الثانية: التزكية

لقوله تعالى: (ويزكّيهم)، أما التزكية فتأتي في المقام الثاني بعد التلاوة مباشرة، كما في الآيات الأربع السابقة، وعليه:

<sup>1</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 9129/15.. 9131.

إذا كان لمفهوم التزكية في اللغة معنيان هما: الطهارة والنماء، فإن التزكية في هذا المقام، أتت للدلالة على تزكية النفس خاصة، لأن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم، هي تزكية النفوس التي جُبلت على الشرك والجهل، وذلك بتطهيرها من دنس الأخلاق الذميمة، وتنميتها وتربيتها بغرس الأخلاق الفاضلة والحميدة بها، وهنا تتجلى العملية التربوية، المتمثلة في التخلية والتحلية، أو الإفرغ والإعمار، يقول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس)، جاء في تفسير ابن كثير: "يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه، أي: بطاعة الله \_ كما قال قتادة \_ وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل، .. (وقد خاب من دساها) ، أي: دسها، أي: أخلها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل، وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دسى الله نفسه، .. قال الإمام أحمد<sup>1</sup>: .. عن زيد بن أرقم، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {اللهم، إني أعوذ بك من العجز والكسل والهزم والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم، آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم، إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يُستجاب لها}، قال زيد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمناهنّ، ونحن نعلمكموهنّ.<sup>2</sup>

### الوظيفة الثالثة: التعليم

وتأتي هذه العملية بعد وظيفتي التلاوة والتزكية، يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (العلق).

لقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم مزكياً، ومعلماً، ومرتبياً، .. لقوم أهل جاهلية، عُرفوا بالغلظة في القلوب والطباع، وبالرغم من كونه صلى الله عليه وسلم أمياً، إلا أن الله تعالى علّمه بفضله ما لم يعلم فقال:

<sup>1</sup> \_ قال: أخرجه مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسمى: المسند الصحيح المختصر من السنن، بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1427هـ\_2006م، كتاب: الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، 63/17، 64، ح 72، 2722، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ح 25865، 209/6 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 367/14، 368 .

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١٣﴾﴾ (النساء)، فعلم قومه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فصاروا بالإسلام بعد الشرك على خير ملّة، فنفضوا فضاضة الأخلاق وتحلّوا بالقيم الإسلامية، فكانت لهم خير حلّة، وأعزّهم الله بدينه بعدما كانوا أذلة، وكثّرتهم بعد أن كانوا قلّة، وصاروا بالتربية المحمدية شفاء للقلوب من كل علة، فجزى الله سيّدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عنهم وعنّا كل خير، ونفع بسنّته وهديه إلى يوم الدين.

وعليه، فمن خلال الوظائف الثلاثة في تبليغ النبيّ صلى الله عليه وسلم للرسالة، والتي تعدّ منهجا تربويا في دعوة الخلق، وعودتهم لدين الحق، نستطيع القول بأن هذا التسلسل والترتيب يجعل الإنسان بين حالتين اثنتين، هما: التقبّل والإقبال، فإذا ما حدثت الأولى تبعثها الثانية، والعكس، أي:

إذا تُليت آيات الله تعالى، وأدركتها الحواس وتلقّتها بالقبول، كانت عوناً للعقل على تدبّرها والتفكّر فيها، ليكون بدوره العنصر الفعّال للنفس على تقبّلها، ومنه تحدث التزكية، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾﴾ (الشمس)، أما إذا تعطلت الحواس والعقل عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ (الملك)، فإن مصير النفس للخسران، لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٢﴾﴾ (الشمس).

إذا ما حدث في النفس تقبّل للحق، بدأت هذه النفس في البحث عن الزيادة فيما لا تعلم لتعمل به، فيحدث فيها إقبال، به تيسّر عملية التعليم والعمل معا، ولما لم يكن للمتعلّم باب يلجّه للعلم إلا باب القراءة، كان الإقبال هو المفتاح لهذا الباب، وهذا هو المنهج التربوي الذي ربّى عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم أصحابه، حيث كانوا لا يتجاوزون عشر آيات، حتى يقرؤوها، ويتعلّمونها، ويعملون بما فيها، وإن الإقبال على تعلّم كتاب الله تعالى وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، يُعدّ من أهمّ الواجبات، لكونهما مصادر ربّانية للمنهج التربوي الصحيح، واللذان لا يمكننا الاستغناء عنهما لعظمهما عند الله تعالى، ففيها المخرج من كل ضوائق الدنيا وفتنها، إذ نحن بأمرّ الحاجة إليهما في الوقت الرّاهن أكثر من أي وقت مضى، وأنه يجب علينا أن نؤمن بالسنة كما نؤمن بالقرآن، لأمر هي:

## أولاً : وحي من الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝۱ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝۲ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝۳ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝۴﴾ (النجم)، أي: "إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً، موقراً من غير زيادة ولا نقصان، .. عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر، يتكلم في الغضب، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: {أكتب، فو الذي نفسي بيده ما خرج مئي إلا الحق} 1. 2"

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا<sup>ع</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ<sup>ط</sup> إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝۱﴾ (الحشر)، أي: "مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شرّ، .. عن عبد الله [هو ابن مسعود] قال: لعن الله الواشحات والمستوشحات، والمتنصّصات، والمتفلجات للحسن، المغيّرات خلق الله عزّ وجلّ، قال: فبلغ امرأة في البيت يقال لها (أم يعقوب) فجاءت إليه فقالت: بلغني أنك قلت كيت وكيت، قال: مالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي كتاب الله، فقالت: إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته، فقال: إن كنت قرأته فقد وجدته، أما قرأت: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾؟ قالت: بلى، قال: فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عنه، .. وقد ثبت في الصحيحين<sup>3</sup> أيضاً، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه} 4."

1 \_ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: العلم، باب: 3، كتاب العلم، ح3646، 41/4، بلفظ: .. فنهتني قريش، وقالوا: أكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر، يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوماً بأصبعه إلى فيه، فقال: {أكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق}.

2 \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 247/13، 248 .

3 \_ أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح7288، 361/4، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: توقيره صلى الله عليه وسلم، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، ح1337، ص1106، 1107، وفي كتاب: الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر، ح1337، ص608 .

4 \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 485/13، 486 .



وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء)، يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره: "فالكتاب معجزة، وفيه أصول المنهج الإيماني، ولكن الله مع ذلك، فوض رسوله صلى الله عليه وسلم أن يُشَرِّعَ، وتلك ميزة لم تكن لرسول قبله، بدليل قوله الحق: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾، فالرُّسُلُ من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم يتناولون ما أخذوه عن الله، وميز سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم بتفويض التشريع، وأوضح الحق أنه علم رسوله الكتاب والحكمة، والحكمة مقصود بها السنّة، فسبحانه القائل: ﴿واذكُرْنا ما يُتلى في بيوتكُنَّ من آياتِ اللَّهِ والحكمة﴾، .. إذن، فالحق سبحانه وتعالى، جعل من سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم امتدادا لوحيه <sup>1</sup>."

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (الحاقة)، بيّن تعالى أنه: "لو كان كما يزعمون مفتريا علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعجلناه بالعقوبة، .. بل هو صادق بارّ راشد، لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه، مؤيد له بالمعجزات الباهرات، والدلالات القاطعات <sup>2</sup>"، وفي هذا دليل على أن كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، وثبتت صحته، فهو وحي من الله تعالى، يستلزم وجوب الإيمان به والعمل معا .

### ثانيا: الأمر باتّباع السنّة والنهي عن تركها

لقد قرن الله تعالى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بطاعته في آيات عدّة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِيرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء)، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله بالضرورة، لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء)،

<sup>1</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 2626/5 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 123/14 .

ولأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧ ﴾ (الحشر)، فإن ما يأمر به صلى الله عليه وسلم أو ينهى عنه، فهو أمر أو نهي من الله تعالى، والعمل به إيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج مسلم في صحيحه حديثاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه }<sup>1</sup>، لذلك، فمن أخذ بكل ما أمر به صلى الله عليه وسلم، فإن جزاءه رحمة من الله وفوز بالجنة، لقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥٦ ﴾ (النور)، وقال أيضاً: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ (الأحزاب)، ومن لم ينته عما نهاه عنه، فإن ضلاله عن الحق يردي به إلى النار، لأن الله تعالى حذر من خالف أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، بالفتنة في الدنيا، والعذاب الأليم يوم القيامة، فقال: ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ٣٦ ﴾ (الأحزاب)، وقال: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ٦٣ ﴾ (النور).

لقد أورد البخاري في صحيحه حديثاً، لأبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي }، قالوا: يا رسول الله، ومن أبي؟ قال: { من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي }<sup>2</sup>. كما أخرج أيضاً حديثاً عن جابر بن عبد الله، يقول: جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، قال فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مائدة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي، دخل الدار وأكل من المائدة، ومن لم يجب الداعي، لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة، فقالوا: أولوها له

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر، ح 1337، 608/1، وابن ماجه في سننه، المقدمة،

كتاب: السنة، باب: اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح 2، 10/1 .

<sup>2</sup> - الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ح 7280، 359/4 .

يَفْقَهُهَا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس.<sup>1</sup>

وفي الحديث الصحيح المتفق على صحته، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: {من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني}.<sup>2</sup>

ولما كانت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مماته تتمثل في اتباع سنته، فقد أمرنا بالاستمسك بها حق التمسك، لكونها الملاذ الآمن، من كل هول كائن، من بدع وضلالات واختلاف بائن، ولأن الله تعالى أعلمه صلى الله عليه وسلم بما سيكون من بعده، أوصانا وصية بليغة من محب حريص، في هذا الحديث الذي يرويه العرياض بن سارية رضي الله عنه، قال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: {أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة}."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> \_ الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح7281، 360/4.

<sup>2</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب: قول الله تعالى: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، ح7137، 328/4، وكذا، كتاب: الجهاد، باب: يُقاتل من وراء الإمام، ويُتقى به، ح2957، 347/2، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمامة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ح891/2.

<sup>3</sup> \_ أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدغاس، وعادل السيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1418هـ\_1997م، كتاب: السنة، باب: 6، لزوم السنة، ح4607، 12، 13/5، والترمذي في سننه، كتاب: العلم، باب: 16، الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ح2676، 408/4، وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب: 6، اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ح42، 71/1، 72، والدارمي في سننه، مقدمة، باب: 16، اتباع السنة، ح96، 228/1، 229.

ومن جهة أخرى نهي صلى الله عليه وسلم عن ترك سنته، أو إنكار بعض منها بما يوافق الأهواء، وهذا ما ورد في حديث المقدم بن معدي كرب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه، وما وجدنا فيه حراما حرّمناه، وإن ما حرّم رسول الله كما حرّم الله}.<sup>1</sup>

وأخيرا، ومن خلال ما مرّ معنا، نستنتج ما يأتي:

1\_ إن السنة مصدر ربّاني للتربية الإسلامية، وتأتي بعد القرآن الكريم لكونها وحي من الله تعالى.

2\_ وجوب الاحتجاج بالسنة، كالاحتجاج بالقرآن الكريم، لكونهما وحي .

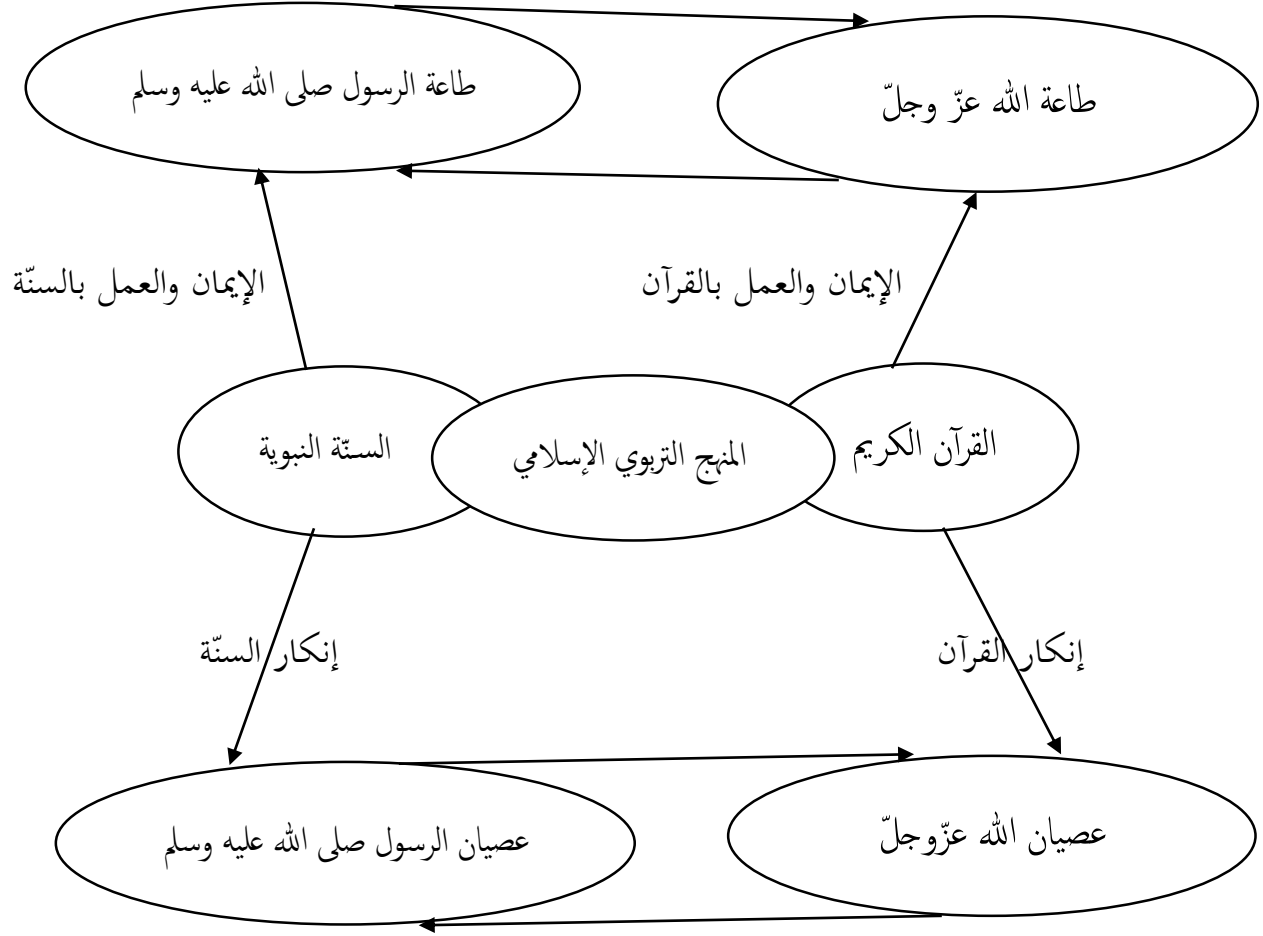
3\_ الأمر بوجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه في حياته، والأخذ بسنته والعمل بها بعد مماته، والتحذير من إنكارها أو بعض منها، كون الإيمان به مقرون بالإيمان بالله، وطاعته من طاعة الله .

نستخلص ممّا مرّ معنا، إلى أن الربّانية أولى خصائص المنهج التربوي الإسلامي، التي يميّز بها عن سائر المناهج الأخرى، فمادامت السنة النبوية وحي من الله تعالى، فإنّها مصدر ربّانيّ تشريعيّ، يُحتكم إليه، ويُحتجّ به كالقرآن الكريم، وعليه، فإذا كان الكتاب والسنة مصدرًا ربّانيًا للتربية، فإن المنهج التربوي الإسلامي، يكون بذلك مبنيّ على أساس متين، وحصن حصين، من لاذ إليه فقد نجا، ومن عمل به فقد فاز، والحمد لله ربّ العالمين.

وعليه، سيكون هذا المخطط التوضيحي، لبيان المصدر الربّاني للتربية الإسلامية، كما يأتي :

---

<sup>1</sup> \_ رواه الترمذي في سننه، كتاب: العلم، باب: ما نُهي عنه أن يُقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ح2664، 399/4، 400، وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب: تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح12، 49/1.



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله}

أخرجه البخاري ومسلم

مخطط توضيحي لبيان ربّانية المنهج التربوي الإسلامي

## المبحث الثاني: الإحاطة

لقد شرف الله تعالى الإنسان وكرمه وفضله على كثير ممن خلق، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء)، هذا الإنسان نفسه من بين كل المخلوقات، الذي حمل أمانة الله بعد أن عرضها على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، فقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب)، ولما كان حمل هذه الأمانة يقتضي الأخذ بكل ما فيها من أمر ونهي، كان ذلك يستوجب وجود منهج تربوي رباني، يحيط بكنهه هذا الإنسان إحاطة تامة وبالغة، تشمل جميع جوانبه ومجالاته الدنيوية والأخروية، وفق تكامل واعتدال، وتوازن وشمول بشكل بالغ الدقة، يضمن لهذا الإنسان تنشئة صحيحة سالحة، تمكنه من اكتساب شخصية سوية ومترنة، تضمن له السعادة في الدنيا والآخرة.

قبل الخوض في بيان خاصية الإحاطة التي يتميز بها المنهج التربوي الإسلامي، والمتمثلة في بيان التربية النفسية، والتربية الإيمانية ثم الاجتماعية للإنسان، نأتي على توضيح مفهومها، وذلك من خلال بيان مفهوم الشمول والتكامل، والتوازن والاعتدال، كما يأتي:

### المطلب الأول: مفهوم خاصية الإحاطة

لقد أتى العلماء والمتخصصون في علم التربية على ذكر عدد معتبر من خصائص المنهج التربوي الإسلامي، فمنهم من اختصر ومنهم من أطال، ولتوخي السرد والتكرار لما كتبت، ومخافة للإطالة، دفعني ذلك إلى إيجاد لفظ ملئم للمعاني المتقاربة لخصائص هذا المنهج الرباني، فتم على هذا الأساس، اختيار لفظ الإحاطة، كونه قرآنيًا أولًا، وثانيًا، كونه اللفظ الأنسب في الإمام والجمع بالمفاهيم التي تهدف إليها كل من خاصية الشمول والتكامل، والتوازن والتعادل، ليوصل بينها في أهم عنصر تهتم به جميعًا، والذي يعد بمثابة نقطة تقاطع والتقاء بينهم، ألا وهو الإنسان، ولكونه محور الحديث عن التربية، استوجب ذلك معرفة أهم الجوانب والمجالات، والعلاقة والواجبات، والأفعال والانفعالات، التي اهتم بها المنهج التربوي الإسلامي، من خلال تربية هذا الإنسان وتهذيبه نفسيًا، وإيمانيًا، واجتماعيًا، من بداية حياته إلى نهايتها، وفق ما ورد في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

بعد معرفتنا للخاصية الأولى التي تميّز بها المنهج التربوي الإسلامي، ألا وهي الربانية، وقبل معرفتنا للخاصية الثانية التي يميّز بها هذا المنهج، ألا وهي الإحاطة، لا بدّ لنا من إلقاء نظرة سريعة لمفهوم كلّ من الشمول والتكامل، والتوازن والتعادل، كونها مندرجة ضمن خاصية الإحاطة التي تُعدّ جامعة لها، ليكون بيانها كما يأتي:

### مفهوم الشمول والتكامل:

لما كانت حاجة الإنسان الملحة في وجود منهج تربوي \_ملمّ بتربية جميع جوانبه النفسية والروحية والاجتماعية\_، ضرورة حتمية، "كانت طريقة الإسلام في التربية، هي معالجة الكائن البشري كله، معالجة شاملة لا تترك منه شيئاً، ولا تغفل عن شيء، جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية، وكل نشاطه على الأرض، .. الدقة التي تتناول كل جزئية على حدة، كأنها متفرّعة لها، ليس في حسابها سواها، ثم الشمول على هذا المستوى من الدقة، .. الشمول الذي يتناول الجزئيات جميعاً، وفي وقت واحد."<sup>1</sup>

وعلى هذا الأساس، يمكننا القول: "إذا كان الشمول والتكامل من خصائص الصنعة الإلهية، فهما إذن من خصائص منهج التربية الإسلامية، فالمنهج هو الجانب التطبيقي للأصول التربوية، وبذلك فهو ليس غاية في ذاته، ولكنه وسيلة لتحقيق غاية، وهي تنمية شخصية الإنسان كله: جسمه وعقله ووجدانه تنمية شاملة، وهذا يقتضي أن يكون المنهج المعدّ لهذا الغرض شاملاً متكاملًا في خبراته، وجميع أوجه نشاطه، .. فحقيقة الأمر أن كل فعل حلال يقوم به الإنسان في الأرض، لا يخلو من الجوانب الثلاثة السابقة: فيه جانب الجسم، وجانب العقل، وجانب الوجدان، .. وتكامل جوانب الخبرة الإنسانية في منهج التربية الإسلامية، يتفق مع فكرة الإسلام عن الكون والوجود والإنسان، فالوجود كلّ صادر عن الإرادة المباشرة لله."<sup>2</sup>

لقد صدق الله تعالى لما قال في كتابه العزيز: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام)، فما من شيء صغير ولا كبير، إلا وقد ورد ذكره وبيانه وتفصيله، وحكمه في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله

<sup>1</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 18/1 .

<sup>2</sup> \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص111.

عليه وسلم، لذلك، "ما ترك الإسلام جانباً من جوانب الحياة إلا وقد تناولتها الشريعة، وأوضحت لنا فيها الخير من الشرِّ، والظاهر من الخبيث، والصحيح من الفاسد، وبهذا الشمول الذي تتسم به الشريعة الإسلامية، فإنها في غاية الكمال، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۗ﴾ (المائدة).<sup>1</sup>

لذلك، فما من جانب من جوانب الإنسان، وما من مجال من مجالات حياته، إلا وارتبطت بعلاقة يعلوها التكامل فيما بينها، وفق ما وضحه المنهج التربوي الرباني، "كما بيّن في شموله علاقة الإنسان برّبّه الذي خلقه، وعلاقته بنفسه وبأسرته وبجيرانه وبمجتمعه الذي يعيش فيه، كما شملت التوجيهات الإسلامية الرجال والنساء والصبيان، وأيضاً جميع جوانب الأخلاق"<sup>2</sup>، وهذا التكامل والشمول ما يميّز المنهج التربوي الرباني عن غيره من المناهج الأخرى .

### مفهوم التوازن والاعتدال:

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۗ﴾ (القصص)، يقول الدكتور عبد الرحمن الحازمي استناداً إلى هذه الآية بأن "التشريع الإسلامي، تشريع يقوم على التوازن والاعتدال، فلا يطغى جانب على آخر، بل الجانب الذي فيه مصلحة وخير ونفع للإنسان، هو الذي ينبغي أن يُصرف له الجهد والاهتمام، وفي هذه الآية الكريمة، يوجّه خالق الإنسان العليم بمصالحه الدنيوية والأخروية، أنه يجب عليه أن يُوظف ما وهبه الله تعالى من مال وصحة، وعافية وفطنة وذكاء، في طاعة الله ومرضاته، للفوز بالجنّة والنعيم الأبدي، وفي الوقت نفسه، عليه عدم إهمال ما يحتاجه من المباحات المعينة على العيش في الدنيا، والتي لا تستقيم الحياة إلا بها، وفق منهج الإسلام وتشريعاته السامية."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> \_ خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص 48 .

<sup>2</sup> \_ المرجع نفسه، ص 47.

<sup>3</sup> \_ عبد الرحمن بن سعيد الحازمي، التربية في القرآن الكريم، توجيهات تربوية لبعض آيات القرآن الكريم، دراسة موضوعية،

د. ط، د.ت، ص 137.



لقد بيّن الدكتور عبد الرحمن الحازمي في هذه الآية، توازن واعتدال المنهج الإسلامي في شكله العام، وأنه دين توسط واعتدال، لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة)، كما أشار إلى وجوب الحذر من التشدد فيه والتساهل معه، وذلك بدعوة أفراد المجتمع جميعاً أن يتعدوا عن مثل هذا، فبيّن بقوله أن "ما نراه ونسمعه اليوم من تشدد وتنطع في الدين، أدى بالمسلمين إلى تفسيق وتضليل، وتجهيل وتبديع، بل تكفير بعضهم بعضاً، وهو منتهى الإفراط، والتحذير الشديد من التساهل والانفلات من توجيهات الإسلام، بحجة التجديد والتطوير ومواكبة المستجدات، وهو منتهى التفريط، وكلا الاتجاهين ذميم وبعيد عن منهج الإسلام، الذي يقوم على التوسط والاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط"<sup>1</sup>.

أما الدكتور خالد الحازمي، فقد أشار إلى أن التوازن من خصائص المنهج التربوي الإسلامي، واعتبر هذه الخاصية بشكل خاص، على أنها "تتمّ بتربية جميع جوانب الإنسان، الخلقية والجسمية والعقلية، وتحقيق التوازن بين مطالب الإنسان الجسدية والروحية، فلا يطغى جانب على جانب آخر، بحيث تجعل الإنسان في صراع نفسي، وعناء داخلي، وكبت لغرائزه التي فطره الله عليها، فعندما أمر الله تعالى بالأخلاق الفاضلة حذر الإنسان من الرذائل، وشرع الطُّرُق والسُّبُل لإقامة ذلك التوازن."<sup>2</sup>

وفي نفس المعنى السابق لمفهوم التوازن والاعتدال، الذي يميّز المنهج التربوي الربّاني، أشار محمد قطب رحمه الله، إلى أنه: "معنى واسع شامل، يشمل كل نشاط الإنسان، توازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح، توازن بين ماديّات الإنسان ومعنويّاته، .. توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس، والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحواس، توازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، توازن في النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، توازن في كل شيء في الحياة، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة)، وسطاً في كل شيء، متوازنين في كل ما تقومون به من نشاط، هذا التوازن هو في الحقيقة سمة الكون كله، الذي تتوازن

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن الحازمي، نفسه، ص138 .

<sup>2</sup> \_ خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص49 .

فيه كل الأفلاك وكل الطاقات، لا تختلّ منها واحدة في الكون على اتّساعه، وهو كذلك سمة الإنسان الصالح، الذي يفمي بشروط الخلافة عن الله في الأرض، ويسير حسب منهج الله خالق الكون والإنسان.<sup>1</sup>

من خلال هذه المفاهيم لتوازن واعتدال ووسطية منهج الله، نستطيع القول بأنه من فضله تعالى، أن خصّ الإنسان من بين مخلوقاته بمنهج متوازن ومعتدل، اهتّم بتربية جميع جوانبه، النفسية والروحية والاجتماعية، فلا يميّز ولا يفصل ولا يفاضل جانبا على حساب جانب آخر، بل وازن بينها جميعا، كما اهتّم بعلاقة هذا الإنسان بغيره من الناس في المجتمع، وعلاقة أفراد المجتمع فيما بينهم، وعلاقة المجتمعات مع بعضها البعض، فكانت إحاطة القرآن الكريم بمنهجه الفريد في تربية هذا الإنسان، قد اعتنت بتوجيهه وتصحيح كل تصرفاته، أثناء حركاته وسكناته، عن طريق هدايته إلى معرفة النافع والضارّ، والطيب والخبيث، والحلال والحرام، من خلال الأمر والنهي، فقال تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (الأعراف)، هذا المنهج الربّانيّ الذي لم يترك للإنسان مجالاً أو ثغرة تمكّنه من أن يجيد عن التوازن بين مطالب الجسد والروح، والتوازن بين حق الله والحقوق الأخرى، فقال تعالى: ﴿ وَأَبْتَعْ فِيمَا آءَاتَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ <sup>ط</sup> وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (القصص)، فما من فعل ولا انفعال يصدر من الإنسان، إلا ونجد في التربية القرآنية ما يُصلحه، كل ذلك بما يوافق فطرته، ويتساير مع إمكاناته، بحسب قدراته البشرية دون تكلف، ومن غير إفراط ولا تفريط، و"بهذا يتمّ التوازن في الاعتقاد والشعور، كما يتمّ التوازن في النشاط والحركة، فيشير تصوّر الإسلامي في الضمير الرغبة في الخير والاستقامة، وفي الحركة والفاعلية، مع الاستعانة بالله الذي بيده كل شيء".<sup>2</sup>

وعلى هذا الأساس، فإن الخاصية الثانية بعد خاصية الربّانية التي تميّز المنهج التربوي الإسلامي هي خاصية الإحاطة، التي تهتمّ بجميع نواحي الحياة الإنسانية، الخاصّة منها والعامة، والتي تتجسّد في كل من الشمول والتكامل والتوازن والتعادل، ليكون بيانها كما يأتي:

أما الإحاطة في اللغة فهي: "كل من بلغ أقصى شيء وأحصى علمه، فقد أحاط به، .. وكل من أحرز شيئا كله، وبلغ علمه أقصاه، فقد أحاط به، .. وأحاط بالأمر، إذا أحدق به من جوانبه كله، وقوله تعالى:

<sup>1</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 27/1، 28 .

<sup>2</sup> \_ سيد قطب، خصائص تصوّر الإسلامي ومقوماته، ص 135 .

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٥٠﴾﴾ (البروج)، أي لا يُعجزه أحد، قدرته مشتملة عليهم، .. وأحاط به: عِلْمه، وأحاط به علما.<sup>1</sup>

وأما الإحاطة بالمعنى الاصطلاحي، فقد ورد ذكرها في كتاب الكليات لأبي البقاء على أنها: "إدراك الشيء بكماله ظاهراً وباطناً، والاستدارة بالشيء من جميع جوانبه، قيل: الإحاطة بالشيء علماً: أن يعلم وجوده، وجنسه، وقدره، وصفته، وكيفيته، وغرضه المقصود به، وما يكون به، منه وعليه، وذلك لا يكون إلا لله تعالى.<sup>2</sup>

إذا كانت الإحاطة في اللغة هي بلوغ أقصى العلم بالشيء، والإمام بجميع جوانبه، فإن الإحاطة المطلقة تكون لله تعالى، نسبة لعلمه المطلق لجميع خلقه، وقدرته المطلقة عليهم، وهذا استناداً لقوله تعالى:

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٣﴾﴾ (النساء)، حيث بين الشيخ الشعراوي معنى الإحاطة في هذه الآية فقال: "حين نسمع كلمة (محيط)، فلنعلم أن الإحاطة هي تطويق المحيط للمحاط، بحيث لا يستطيع أن يفلت منه، علماً بحاله التي هو عليها، ولا قدرة على أن يفلت منه مآلاً وعاقبة، فهو سبحانه محيط علماً، لأنه هو الذي لا تخفى عليه خافية، ومحيط قدرة فلا يستطيع أن يفلت أحد منه إلى الخارج، وسبحانه محيط علماً بكل جزئيات الكون وتفصيله، وهو القادر فوق كل شيء.<sup>3</sup>

من خلال ما سبق من تعاريف الإحاطة، نستطيع القول بأن المنهج التربوي الإسلامي تامّ في شموله وتكامله، وتامّ في توازنه واعتداله، وهذا يعني أنه محيط إحاطة بالغة وملمّة بأدق الأمور التي تهتم بالشؤون العامة والخاصة لهذا الإنسان، بغية إبعاده في الدنيا والآخرة، كما تهتمّ بالربط بين جميع الجوانب الإنسانية دون إفراط أو تفريط، كيف لا وهو ربّانيّ، وإحاطة الله تعالى اقتضت علمه المطلق بخلقها، وتمكّنه الشامل منهم، وقدرته البالغة عليهم، لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٣﴾﴾ (النساء)، وقال: ﴿الْأَلَا إِنَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٥١﴾﴾ (فصلت)، وقال أيضاً: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ<sup>ص</sup> يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٣﴾﴾ (الطلاق)،

1 \_ ابن منظور، لسان العرب، 280/7، وكذا الجوهري، الصحاح، 1121/3.

2 \_ أبو البقاء، الكليات، ص 56.

3 \_ الشعراوي، تفسير الشعراوي، 2612/5.

أي: "ولتعلموا أن الله بكل شيء من خلقه محيط علما، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر"<sup>1</sup>، وعلى هذا الأساس، نستطيع القول بأن المنهج التربوي الإسلامي هو "المنهج الرباني الذي يُصلح الحياة البشرية، لأنه منزل من عند اللطيف الخبير، الذي يعلم من خلق، ويعلم ما يُصلحه وما يصلح له، ومنزل من عند الحكيم العليم، الذي يُحيط علمه بكل شيء فلا تخفى عليه خافية،.. وذلك كله فضلا عن أنه هو الله الذي يحق له وحده أن يُقرّر منهج الحياة للإنسان."<sup>2</sup>

مادام الإنسان هو محور الحديث عن التربية في جميع نواحي الحياة، ومجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، ومادام دور المنهج التربوي الإسلامي يتمثل في إصلاح وتهذيب تفاعلات هذا الإنسان وانفعالاته، فإن من الواجب معرفة وبيان أهم جوانبه النفسية والروحية والأخلاقية، لتمكّن من القول بأن الإحاطة وما تتسم به من شمول وتكامل وتوازن بين جميع هذه الجوانب، جديرة بأن تكون الخاصية الثانية بعد خاصية الربانية التي تُميّز المنهج التربوي الإسلامي، والتي لا ندرك حقيقتها إلا من خلال بياننا للتربية النفسية، والإيمانية، والاجتماعية، وفق ما جاء في كتاب الله تعالى، وستة رسوله صلى الله عليه وسلم .

## المطلب الثاني: التربية النفسية

لقد خلق الله تعالى الإنسان وكرّمه فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا لَهُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء)، فكان من تكريم هذا الإنسان، أن بُعث له الأنبياء والرسل بغية صناعته وفق منهج الله تعالى، وذلك بما يتوافق مع فطرته وإمكاناته البشرية، فقال تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة) والله أعلم بخلقه، فكان المنهج التربوي الإسلامي، كفيلا ببناء هذا الإنسان وإصلاحه وتربيته نفسيا وروحيا وأخلاقيا، لتصحيح مسيرته الدنيوية، بغية رفع الظلم والمنكر بين العباد، وتحقيق العدل والإحسان في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل).

<sup>1</sup> \_ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 82/23 .

<sup>2</sup> \_ محمد قطب، واقعا المعاصر، ص 18 .

لما كان الهدف من تربية هذا الإنسان، هو تكوينه وتنشئته على الالتزام بالأوامر من الخيرات، وترك النواهي من المنكرات، كانت هدايته أو ضلاله مرهون بصلاح أعماله أو فسادها، أي: بمدى تقيدته والتزامه بمنهج الله تعالى، أو الإعراض عنه، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (البقرة)، وقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ﴾ (فصلت)، وقوله: ﴿ مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ ﴾ (الإسراء)، من خلال هذه الآيات وغيرها في كتاب الله تعالى نتساءل: ما هي حقيقة النفس البشرية؟ وكيف تتم تربيتها وتوجيهها؟

إذا عدنا لمعاجم اللغة العربية، نجد بأن النفس يُعبر عنها بالروح، كما يُعبر عنها أيضا بذات الإنسان، فلقد جاء في لسان العرب قول "أبو إسحاق: النفس في كلام العرب يجري على ضربين: أحدهما قولك خرجت نفس فلان، أي روحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا، أي في روعه، والضرب الآخر معنى النفس فيه، معنى جملة الشيء وحقيقته، تقول: قتل فلان نفسه وأهلك نفسه، أي أوقع الإهلاك بذاته كلها وحقيقته،.. والنفس يُعبر بها عن الإنسان جميعه .. كقوله تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ (الزمر)، .. وقوله تعالى: ﴿ وَيحذركم الله نفسه ﴾ (آل عمران 28)، أي: يحذركم إياه، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر 42)، روي عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه قال: لكل إنسان نفسان: إحداها نفس العقل، الذي يكون به التمييز، والآخر نفس الروح، الذي به الحياة.<sup>1</sup>

نرى من قول ابن عباس رضي الله عنه، بأن للإنسان نفسان: إحداها العقل الذي يميّز، والآخرى الروح التي بها الحياة، في حين نجد الدكتور عرسان الكيلاني، اعتمد القول الذي يشير إلى أن للنفس قسمان: المادي منها وهو الجسم، والمعنوي وهو القلب، وذلك في قوله: "ولقد تردّد ذكر النفس، في مئات المواضع من القرآن الكريم والحديث الشريف، ويستخلص من الاستعمالات المتكررة فيهما، أن النفس هي الوجود الحي للإنسان كله، وأن وجود النفس هذا ينقسم إلى قسمين: قسم معنوي يُشار إليه باسم القلب، وقسم مادي هو الجسم، والإشارات التي ذكرت كلا من النفس والقلب، لم تتطرق إلى التعريف بماهية أيّ منهما،

<sup>1</sup> \_ ابن منظور، لسان العرب، 233/6، 235.

وإنما وجهت الوعي إلى أفعالهما المحسوسة في واقع الحياة، لتنمية الصالح منها، وتطهير السيء.<sup>1</sup>

وللجمع بين القولين، نستطيع التوصل إلى أن النفس: حقيقة الذات الإنسانية، أو الكيان البشري، التي يعتمد وجودها على امتزاج تام ودقيق، بين كل من الجانب المادي (الجسم)، والجانب المعنوي (الروح)، والجانب العقلي (العقل).

وبالعودة لكتاب الله تعالى، نجد هذه الجوانب الثلاثة تتجسد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل)، وقوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ<sup>ط</sup> وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ<sup>ط</sup> وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة).

يقول الطبري في تفسيره، بأن الله تعالى "سوى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين، خلقا سويا معتدلا، (ونفخ فيه من روحه)، فصار حيًا ناطقًا، (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون)، يقول: وأنعم عليكم أيها الناس رؤيكم، بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات، والأبصار تبصرون بها الأشخاص، والأفئدة تعقلون بها الخير من السوء، لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك."<sup>2</sup>

من خلال التمييز الذي تحظى به النفس الإنسانية، نلاحظ بأن خصائص المنهج الرباني تتجسد واضحة في التوافق والامتزاج بين جوانب النفس الثلاثة، إذ لا غنى ولا تمايز لجانب على آخر، وهذه "ليست مزية الإسلام أنه يشمل الكيان البشري كله، ولا يترك شيئا من جوانبه المتعددة الطاقات، وإنما المزية الحقة أنه يساير الفطرة فيما هو أبعد من هذه الحقيقة، إن كيان الإنسان من جسم وروح، أو جسم وعقل وروح، إذا اعتبرنا العقل كيانا متميزا عن هذين، هذا الكيان ليس منفصل الأجزاء .. إنه ليس جسما وحده

<sup>1</sup> \_ ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية والمرتبون العاملون فيها، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1،

1416هـ \_ 1995م، ص130 .

<sup>2</sup> \_ الطبري، جامع البيان، 601/18 .

مستقلاً بذاته، لا علاقة له بالروح والعقل، وليس عقلاً منفصلاً مستقلاً بذاته لا يرتبط بجسم أو روح، وليس روحاً وحدها هائمة بلا رابط من عقل أو جسم، وإنما هو كيان واحد ممتزج مترابط الأجزاء.<sup>1</sup>

وعلى هذا الأساس وُضِع المنهج التربوي الإسلامي، الذي يتميز بإحاطته التامة، لفطرة هذا الإنسان، وطاقاته التي ميّزه الله بها عن سائر مخلوقاته، ليوافق بين هذه الجوانب الثلاثة، بأدق معنى للتوازن والتكامل والشمول، بحيث " لا يفصل في داخل النفس بين الجسم والعقل والروح، ولا يفصل في واقع الحياة بين هذه الطاقات، بل يأخذها بفطرتها السوية ممتزجة مترابطة، ويرسم لها دستوراً على ذلك الأساس، الروح والعقل والجسم كلها كيان واحد ممتزج مترابط اسمه الإنسان، والروح والعقل والجسم كلها تعمل ممتزجة مترابطة في واقع الحياة، وقد يغلب أحد جوانب الكيان في لحظة وتتوارى بقية الجوانب أو تنحسر، ولكنها لا تنفصل قط وإلا فإنها تموت."<sup>2</sup>

لقد ورد في القرآن الكريم ثلاث صفات للنفس البشرية، وهي: المطمئنة، اللوامة، والأمارة بالسوء، ولمعرفة هذه الصفات، لا بد لنا من الرجوع للكتاب والسنة، لبيانها كما يأتي:

**النفس المطمئنة:** يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿١٨﴾﴾ (الفجر)، ومعنى المطمئنة، أي: "الآمنة التي لا يلحقها خوف ولا حزن، أو التي كانت مطمئنة إلى الحق لم يخالطها شك".<sup>3</sup>

**النفس اللوامة:** قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ (القيامة)، جاء بيان النفس اللوامة بتفسير ابن كثير، في قول "الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن -والله- ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قُدماً ما يُعَاتِب نفسه".<sup>4</sup>

1 \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 21/1 .

2 \_ محمد قطب، المرجع نفسه، 24/1 .

3 \_ أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخين: عادل أحمد عبد الموجود،

علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ \_ 1993م، 467/8 .

4 \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 192/14 .

النفس الأمارة بالسوء: قال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف)، إن تأكيد

هذه الصفة بالنفس البشرية، الوارد في هذه الآية، هو "مجيء قول الحق سبحانه، المؤكِّد أن النفس على إطلاقها أمارة بالسوء، .. ومن لطف الله أن قال عن النفس: إنها أمارة بالسوء، وفي هذا توضيح كاف لطبيعة عمل النفس، فهي ليست آمرة بالسوء، بمعنى أنها تأمر الإنسان لتقع منه المعصية مرة واحدة وينتهي الأمر، لا ، بل انتبه أيها الإنسان إلى حقيقة عمل النفس، فهي دائما أمارة بالسوء، وأنت تعلم التكاليفات الإلهية، كلها إما أوامر أو نواهٍ، .. إن المعاصي قد تُغريك، ولكن العاقل هو من يملك زمام نفسه، ويُقدِّر العواقب البعيدة، ولا ينظر إلى اللذة العارضة الوقتية، .. لأن شيئا قد تستلذَّ به لحظة، قد تشقى به زمنا طويلا، ولذلك قلنا: إن الذي يُسرف على نفسه، غافل عن ثواب الطاعة وعن عذاب العقوبة، ولو استحضر الثواب على الطاعة، والعذاب على المعصية، لامتنع عن الإسراف على نفسه.<sup>1</sup>

قد يتساءل الإنسان: هل النفس تبقى ثابتة على ما جُهِلت عليه، فلا تتغيَّر؟ أم أنها تتقلَّب بين هذه الصفات الثلاث؟ وهل بإمكانها أن تسمو وترقى لدرجة النفس المطمئنة؟ وإذا كان باستطاعتها ذلك، فما السبيل والكيفية لتربيتها وتوجيهها، لتحقيق هذا السُّمو؟

"لما كانت منابع الخير والشرّ موجودة لدى النفس، ولما كان لديها فطرة إدراك الخير والشرّ، ولديها الدوافع لفعل كلٍّ منهما، كان من صفاتها الأساسية الفطرية، أنها لَوَّامة لذاتها على ما تكسب من شرّ، ما لم يمتَّ حسنّ الخير لديها، أو يتحدَّر، أو يُعشى عليه في حالة مَرَضِيَّة، وكان من صفاتها الأساسية الفطرية، أن تشعر بالطمأنينة إذا كسبت خيرا، فهي في جانب الخير مطمئنة، وفي جانب فعل الشرّ لَوَّامة، وحينما تتّجه إلى فعل الشرّ تدفعها وساوس الاستمتاع بلذّته ... وينتهي الأمر بها إلى أن تكون أمارة بالسوء، فإما أن تستجيب بعد ذلك لنداء هذا الجانب منها أو ترفض، وحينما تتّجه إلى فعل الخير تدفعها إليه دوافع الخير الراقية فيها، والرغبة برضوان الله والجزاء الكريم .. فإما أن تستجيب بعد ذلك لنداء هذا الجانب منها وإما أن ترفض"<sup>2</sup>، ولإثبات صحة هذا القول، لا بد من العودة للكتاب والسنة، كما يأتي:

<sup>1</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 6991/11، 6992، 6993 .

<sup>2</sup> \_ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار الأرقم، دمشق، ط5، 1420هـ\_1999م، ص231.



لقد صدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة)، فقد كان صلى الله عليه وسلم، بمنهج الله التربوي، خير معلّم للبشرية ومرتب لها، وخير مُزكّ للنفوس ومطهر لها، هذه النفس الإنسانية وحدها من تملك الإرادة في التغيير، وهي المنطلق الأول والسبب الرئيسي للصلاح أو الفساد، الذي يُجري بدوره تغييرا لما حوله نحو الأحسن أو الأسوأ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد)، وما كانت السلطة في التغيير لها هي القائمة، إلا لكون "أعمال الجوارح ناشئة من نبع نفس تُحرك الجوارح، وحين تصلح النفس، تصبح الجوارح مستقيمة، وحين تفسد النفس، تصير الجوارح غير مستقيمة، فالحق سبحانه وتعالى أخضع كل الجوارح لمرادات النفس، فلو كانت النفس مخالفة لمنهج الله، فاللسان خاضع لها، ولا ينطق رغم إرادته بالتوحيد، لأن النفس التي تديره مخالفة للإيمان، .. وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ) يدلنا أنه سبحانه، لا يتدخل إلا إذا عنت الأمور ( المقصود أن تظهر الفواحش والمعاصي في المجتمع وتفشو)، وفسد كل المجتمع، واختفت النفس اللوامة من هذا المجتمع، واختفى من يقدر على الردع ولو بالكلمة من هذا المجتمع، هنا يتدخل الحق سبحانه، .. وحين يغيّر الناس ما بأنفسهم، ويصحّحون إطلاق الإرادة على الجوارح، تنصلح أعمالهم.<sup>1</sup>

من خلال إرادة التغيير الذي تُحدثه النفس في الإنسان من صلاح أو فساد، نستطيع القول بأن النفس في تقلب دائم بين أن تكون مطمئنة أو لوامة أو أمارة بالسوء، وذلك بحسب موافقتها لمنهج الله تعالى أو مخالفتها له، ولما كانت طبيعة عمل النفس أنها أمارة بالسوء، كان هدف المنهج التربوي الإسلامي، هو تهذيب هذه النفس، بإصلاحها وتوجيهها للتي هي أحسن، وذلك لتنمية ما صلح منها، وتقويم ما كان سيئا فيها، وهذا من فضل الله علينا، ورحمته بنا، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَّيْنَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور)، ومعنى الآية، أنه لولا رحمة الله، كما ذكره ابن عباس رضي الله عنه، بقوله: "ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ولم يتق شيئا من الشرّ يدفعه عن نفسه."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ الشعراوي، تفسير الشعراوي، 7243/12، 7244، 7245 .

<sup>2</sup> \_ الطبري، جامع البيان، 17 / 222 .

لذلك، كانت إرادة ارتقاء النفس إلى درجة المطمئنة، يستوجب تربيتها وتركيتها، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ١٨ ﴾ (فاطر)، هذه التزكية التي لا تتم إلا باتباع السبل المستقاة من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلقد قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢ ﴾ (الجمعة)، وعليه، فإن كيفية تزكية الأنفس، كما وردت في الكتاب والسنة، تتم بذكر بعض الطرق كالآتي:

## 1\_ التذكر والمحاسبة:

قال تعالى: ﴿ وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ٣٥ ﴾ (الأعراف)، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨ ﴾ (الحشر)، ومعنى الآية، أي: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وانظروا ماذا ادّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة، ليوم معادكم وعرضكم على ربكم، .. لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم لمعادكم"<sup>1</sup>، لذلك، فتربية النفس وفق منهج الله تعالى، تقتضي محاسبتها في الدنيا، وتذكر عقاب الله إن هو خالف هذا المنهج، لأن التوبة في الدنيا بعد محاسبة النفس، خير من الندم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ٣٠ ﴾ (آل عمران)، وقال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٥٥ ﴾ أن تقول نفس يحسرتني على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن السَّخِرِينَ ٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٨ ﴾ (الزمر).

كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث له، رواه عنه أبو يعلى شداد بن أوس، وأخرجه الترمذي في جامعه الكبير، جاء فيه: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 499/13.

هواها، وتمنى على الله {، ومعنى قوله: من دان نفسه ، يقول: حاسب نفسه في الدنيا، قبل أن يُحاسب يوم القيامة.<sup>1</sup>

وهذه الحكمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، تذكير للناس على محاسبة أنفسهم، وتوجيه منه صلى الله عليه وسلم على إصلاحها في الدنيا، قبل فوات الأوان يوم القيامة، يوم لا ينفع الندم، لقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس).

ومثل هذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تُحاسبوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم، وتزيتنوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَ يَدْعُوهَا لَا تَحْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة).<sup>2</sup>

من الآيات والأحاديث والآثار، ندرك حقيقة المنهج التربوي الرباني، في كيفية بثه رسالة التذكّر والمحاسبة لتربية الأنفس، وكيفية تزكيتها وتوجيهها، من خلال تحريكه لمشاعر أصحاب الأنفس الغافلة، ودفعهم لأن يستشعروا "أنهم سيناقدشون في الحساب، ويُطالَبون بمثاقيل الذرّ من الخطرات واللحظات، وتحققوا أنه لا يُنجيهم من هذه الأخطار، إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات، .. فمن حاسب نفسه قبل أن يُحاسب، خفّ في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يُحاسب نفسه دامت حسراته، .. وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته، فلما انكشف لهم ذلك، علموا أنه لا يُنجيهم منه إلا طاعة الله، .. وإتّما يُحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت، وتنظر فيما قدّمت وأخّرت، فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا، لشقيت في صعيد القيامة وهلكت، .. فبنفحات فضله

<sup>1</sup> \_ الترمذي، الجامع الكبير، كتاب: القيامة، باب: 25، ح2459، 246/4، 247، وكذا ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب: الزهد، باب: 31، ذكر الموت والاستعداد له، ح 4260، 496/4 .

<sup>2</sup> \_ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1416هـ\_1996م، 52/1 .

اتسعت القلوب للإيمان وانشرحت، ويؤمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت، .. فمنه العطاء والجزاء.<sup>1</sup>

## 2\_ الاستغفار والتوبة :

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (آل عمران).

ومعنى ظلم النفس في هذه الآية، أي: الذين "فعلوا بأنفسهم غير الذي كان ينبغي لهم أن يفعلوا بها، والذي فعلوا من ذلك، ركوبهم من معصية الله جلّ وعزّ، ما أوجبوا لها به عقوبته، .. وقوله: (ذكروا الله)، يعني بذلك: ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم إياه، (فاستغفروا لذنوبهم) يقول: فسألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم، بصفحة لهم عن العقوبة عليها.<sup>2</sup>

وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (النساء)، قال ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية: "أخبر الله عباده بجلّمه وعفوه وكرمه، وسعة رحمته ومغفرته، فمن أذنب ذنبا \_صغيرا كان أو كبيرا\_ (ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا)، ولو كانت ذنوبه أعظم من السماوات والأرض والجبال.<sup>3</sup>

فهذا هو منهج الله تعالى في تربية النفوس وتطهيرها من الذنوب، لكي تسمو وترقى لتكون نفسا مطمئنة، وإن في ذلك دعوة إلى الإقبال على الله، والإنابة إليه بالاستغفار والتوبة، وترغيبا في طلب رضاه ورحمته وإن عظمت الذنوب، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الزمر)، فهذه الآية "دعوة لجميع العصاة من

1 \_ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ومعه: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخرّيج ما في الإحياء من الأخبار، للعلامة زين الدين أبي الفضل العراقي، دار ابن حزم، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1426هـ\_2005م، كتاب المراقبة والمحاسبة، ص1765، 1766 .

2 \_ الطبري، جامع البيان، 61/6، 62 .

3 \_ الطبري، المرجع نفسه، 476/7 .

الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا، لمن تاب منها ورجع عنها.<sup>1</sup>

### 3\_ الدعاء والاستعاذة:

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَقَطْمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف)، فالآية تدلّ على أن "هذا أمر بالدعاء وتعبّد به."<sup>2</sup>

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر)، أما الدعاء في هذه الآية، فيقول تعالى: "اعبدوني وأخلصوا لي العبادة، .. أُجِبْ دعاءكم، فأعفوا عنكم وأرحمكم"<sup>3</sup> ولما كان الدعاء هو العبادة، أمرنا الله تعالى بالاستعاذة على تربية أنفسنا \_في تطهيرها من الذنوب والرذائل، وملئها بالقيم والفضائل\_ بالدعاء، وما دام الدعاء أمر تعبدية، فقد علّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفق منهج تربوي إسلامي، كيفية تزكية أنفسنا بالدعاء، طلبا لهدايتها ورشدها، واستعاذة من شرورها وأهوائها، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم حديثا رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: "قال أبو بكر: يا رسول الله، مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ قال: {قل اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، ربّ كلّ شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شرّ نفسي، ومن شرّ الشيطان وشركه، قال: قلّهُ إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعتك}."<sup>4</sup>

كما أخرج النسائي في السنن الكبرى: "عن عبد الله بن الحارث، قال: قلنا لزيد بن أرقم: حدّثنا بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهزم، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، اللهم آت نفسي

1 \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 138/12، 139 .

2 \_ ابن عطية، المحرر الوجيز، 410/2 .

3 \_ الطبري، جامع البيان، 351/20، 352 .

4 \_ أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، كتاب: الدعوات، باب: 14، ح 3392، 399/5، والدارمي في سننه، كتاب: الاستئذان،

باب: 54، ح 2731، 1760/3، راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه .

تقواها، أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، ربِّ أعودُ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعاء لا يُسمع \_ أو دعوة لا يُستجاب لها\_}.<sup>1</sup>

لذلك، أولى الإسلام أهمية كبرى للنفس، فكان من عِظَم شأنها عند الله تعالى، أنه:

\_ أَسَمَ عَلَى فلاح من زكاها، وخسران من دساها، فقال: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (الشمس)، فالله تعالى لما أوجد هذه النفس، و"خلقها سووية مستقيمة على الفطرة القويمية، .. بين لها الخير والشر"<sup>2</sup>، فكان الفلاح لمن " زكى نفسه، أي: بطاعة الله، كما قال قتادة، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل، .. (وقد خاب من دساها)، أي: أخلها ووضع منها بخذلانه إيها عن الهدى، حتى ركب المعاصي، وترك طاعة الله عزَّ وجلَّ"<sup>3</sup>، كما قال تعالى أيضا: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ ﴿١٧﴾ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ ﴾ (الأعلى)، وقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴿١٨﴾ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٩﴾ ﴾ (فصلت).

\_ ضَمِنَ الخلود في الجنة لمن زكاها، فقال: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِهُ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ ﴾ (طه)، ومعنى تزكى هنا، أي: "نظَّه من المعاصي، ثم نمى نفسه، ومعنى التنمية هنا: ارتقاءات المؤمن في درجات الوصول للحق، فهو مؤمن بداية، لكن يزيد إيمانه وينمو ويرتقي."<sup>4</sup>

\_ حَرَّمَ قتلها بغير حق، أو إلحاق الأذى بها، فقال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿١٧٠﴾ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (الأنعام)، وقال أيضا: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي

<sup>1</sup> \_ النسائي أحمد بن شعيب، كتاب السنن الكبرى، تقديم: د. عبد الله التركي، حققه وخرَّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلي، مؤسسة الرسالة، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1421هـ\_2001م، كتاب: الاستعاذة، باب: 2، ح7815، 7816، 7817، 204/7، 205، وكذا باب: 14، الاستعاذة من العجز، ح7843، 213/7.

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 366، 365/14.

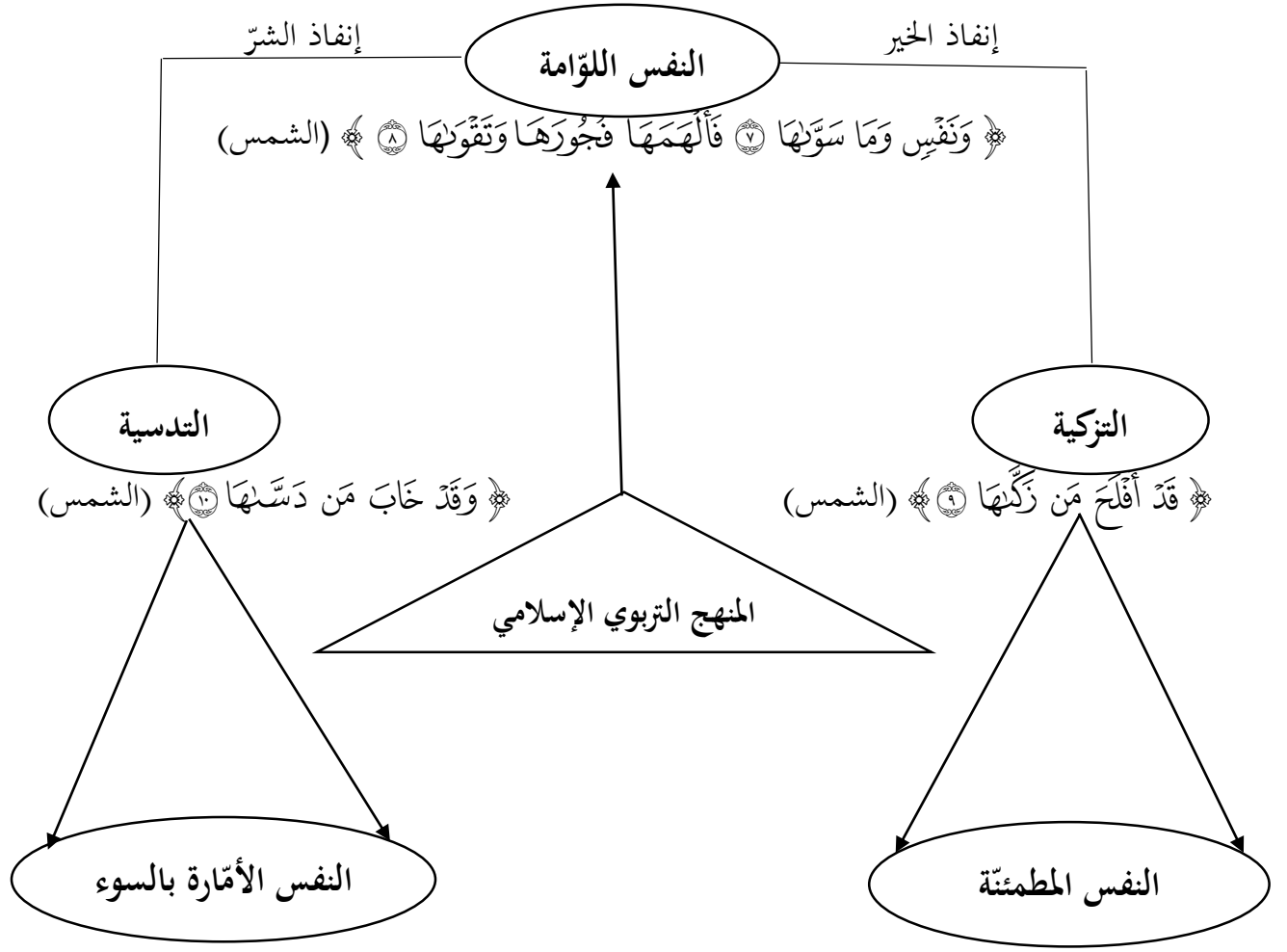
<sup>3</sup> \_ ابن كثير، نفسه، 367/14.

<sup>4</sup> \_ الشعراوي، تفسير الشعراوي، 9336/15.

إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٢﴾ (المائدة) .

يهدف المنهج التربوي الإسلامي برانيته، وإحاطته التامة بجميع جوانب الإنسان، إلى بث روح الإصلاح في نفسه، وبناء شخصيته لتكون سوية سليمة، كل هذا لتحقيق سكونه واستقراره النفسي في الدنيا، واطمئنانه وفوزه يوم القيامة، وذلك بالسعي إلى ارتقائها نحو درجة النفس المطمئنة، التي تُعدّ أسمى درجات النفس البشرية، بعد أن كانت لؤامة أو حتى أمارة بالسوء، ولا يكون ذلك إلا بتطهيرها وتركيتها من أحوال الهوى والنفاق، والتزامها بمنهج الكتاب والسنة، ليُكتب لها الفوز بالفلاح في الدنيا والآخرة، ولتسَلَمَ من الخيبة والخسران، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ (النازعات)، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٧﴾﴾ (البقرة).

يمكننا بيان ما استخلصناه، ضمن هذا المخطط الآتي :



مخطط توضيحي لبيان المنهج التربوي الإسلامي وتأثيره على التربية النفسية



من حكمة الله تعالى في خلق الإنسان، أن جعل تكوينه من جزئين هامين ألا وهما: الجسد والروح، كل جزء منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، بحكم الاتصال القائم بينهما، هذا الترابط والانسجام، يردّ ويُلغِي كل اعتقاد يشير إلى استطاعة الفصل بين هذين الجزئين، أو تخلف أي جانب عن أداء وظيفته الموكولة إليه، إذ الحقيقة في "كل ما يحدث، أن لحظة من اللحظات يغلب عليها لون معين من المشاعر، أو يبرز فيها جانب معين من الإنسان، ولكنه لا ينفصل قط عن ترابطه مع بقية الكيان البشري، ولا يستقلّ بعيدا عنها في اتجاه، وكما يتصل الكيان النفسي الداخلي بعضه ببعض حتى مع غلبة جانب من الجوانب في بعض اللحظات، فكذلك يتصل الكيان الخارجي في واقع الحياة، لا يوجد عمل واحد من أعمال الإنسان منفصلا في حقيقته عن بقية الأعمال، وإن بدا من الظاهر كذلك، أو ظهر غالبا في بعض الأحيان، حياة الإنسان الماديّة لا تنفصل عن حياته العقلية وحياته الروحية، ومشاعره الروحية لا تنفصل عن واقعه المادي، وتفكيره العقلي مرتبط بالجميع."<sup>1</sup>

وفي هذه الحالة، تبرز خاصية المنهج التربوي الإسلامي، ألا وهي الإحاطة، لتتجلى في شمولها، وتكاملها، واعتدالها، وتوازن جوانبها الإنسانية فيما بينها، و"تلك حقيقة الكيان البشري، ولكن الذي يُرى في الظاهر حين تستغرق الناس مطالبهم الماديّة أو جهدهم الماديّ أو العقلي أو الروحي، أن الجوانب الأخرى تتوارى مؤقتا فلا تبرز على السطح، ولكنها لا تقطع الاتصال."<sup>2</sup>

وبذلك نأتي على بيان التربية الخاصة بالجانب الجسدي والروحي والعقلي، كما يأتي:

### أولا: الجانب الجسدي

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّلَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ (الانفطار)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (التين)، لقد أولى الإسلام اهتماما كبيرا بالإنسان من خلال تربيته وتوجيهه، فأعطى للجانب الجسدي منه الحقّ الكامل من الرعاية والعناية، بحيث لم يُهمله ويُغفل التركيز عليه، كما لم يُعطه أكثر من حقه، لذلك، كان توجيهه بما نصّت عليه الشريعة الإسلامية، وبما يهدف إليه

<sup>1</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 22/1 .

<sup>2</sup> \_ محمد قطب، المرجع نفسه، 23/1 .

المنهج التربوي الإسلامي، موافقا لطبيعة هذا الإنسان البشرية التي فطره الله عليها، وإمكاناته وقدراته، وظروفه وأحواله، دون إفراط ولا تفريط، بغية إصلاحه وتنظيم حياته، إذ "التأكيد على ضرورة إشباع حاجات الجسم، وتلبية مطالبه ودوافعه وفق المنهج الإسلامي الصحيح.. ضرورة فطرية لا غنى للإنسان عنها."<sup>1</sup>

لذلك، حرص المنهج التربوي الإسلامي على إشباع حاجات الإنسان ورغباته، وتلبية مطالبه ودوافعه الطبيعية، وفق طريقة صحيحة صحيّة، وشرعيّة منظمّة، لكبح جماح هذه الغرائز والدوافع، وذلك بضبطها وتنظيمها، بحيث لم يُطلق لها العنان بدعوى الحرية المطلقة، لتتحرف بها عن مسارها الصحيح، ولتُخلف الفوضى والفساد بعدم انضباطها، كما لم يُجرّم إشباع متطلبات الجسم، ليتولّد عن ذلك الكبت الذي تتخطّى سلبياته الجماعات بعد الأفراد، كل ذلك لتحقيق العبودية لله تعالى، وهذا هو "مفهوم التربية الجسمية في ضوء التربية الإسلامية، فهي عملية حفظ وتنمية الجانب البدني، ليقوم بدوره الذي خُلِقَ من أجله، والمتمثل في: تحقيق العبودية لله تعالى، وما يتفرّغ عن ذلك من الاستعانة بهذا البدن على أداء العبادات، كالصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله، وما قد يتطلبه من تعلّم بعض المهارات البدنية، للدفاع عن الضروريات التي هي الدين والمال والنفس والعرض والعقل"<sup>2</sup>، ومن هنا ندرك إحاطة هذا المنهج في شموله وتكامله بين البدن والنفس والعقل والروح، لنستطيع بيان أهم ما اهتمّ به هذا المنهج في عنايته بالجسم، كما يأتي:

— إعطاء الجسم حقه من الأكل والشرب، وأخذ نصيبه الكافي من الراحة، وذلك لنموّ صحيّ متّزن، وتنشئة جسمية قوية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ (البقرة)، وقال أيضا: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِء مُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ (المائدة)، وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْرُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ

<sup>1</sup> — صالح بن علي أبو عزّاد الشهري، مقومات التربية الجسمية في الإسلام، دراسة تحليلية\_ ميدانية، بحث مكمل لنيل درجة

الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية، إشراف: د. السعيد محمود السعيد عثمان، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، كلية التربية بمكة المكرمة، قسم: التربية الإسلامية والمقارنة، الفصل الدراسي: 1420هـ\_2000م، ص 43 .

<sup>2</sup> — خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص 195 .

بِعَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ إِلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا دُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ (الأنعام).

وأما حق الجسم في النوم والراحة، فقد ورد في حديث يرويه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، يقوله فيه: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يا عبد الله، ألم أُخْبِرَ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ}؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: {فلا تفعل، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَتَمِّمْ، فَإِنَّ لِحَدِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا}.<sup>1</sup> تُعَدُّ هَذِهِ الْحَقُوقُ، ضَرُورَةٌ فَطْرِيَّةٌ لَا بَدَّ مِنْهَا لِجَسْمِ الْإِنْسَانِ، إِذَا مَا كَانَ الْإِتِّزَامُ بِمَنْهَجِ اللَّهِ قَائِمًا، أَمَا الْخُرُوجُ عَنْ هَذَا الْمَنْهَجِ، فَإِنَّهُ بِالضَّرُورَةِ يُعْرَضُ هَذَا الْجَسْمُ لِلْأَذَى وَالْإِتْلَافِ، الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة)، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء).

— الأخذ بأسباب الصحّة والعلاج، لأن الإسلام أمر بكل ما يحقق سلامة الجسم ويحفظ صحته، ونهى عن كل ما يضرّ به ويعرضه للهلاك، إذ بالجسم القوي المعافي تُؤدّى العبادات والطاعات والواجبات، وبه تقوى العزائم وتُكتف الإرادات، فقد جاء في الحديث: {المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلّ خير} <sup>2</sup>، فالمؤمن القويّ يُعوّل عليه في العمل والبناء الحضاري أثناء الحرب والسلام، وبه تُحقّق الإنجازات بشكل أكبر، ويُوقّر الإنتاج بقدر أكثر، لذلك، ولِعِظْمِ فَضْلِ الْجَسْمِ الْقَوِيّ السَّلِيمِ، عَلَى الْجَسْمِ الْمَعْلُولِ السَّقِيمِ، دَعَانَا إِسْلَامُنَا لِلْأَخْذِ بِأَسْبَابِ التَّدَاوِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا سَأَلَهُ الْأَعْرَابُ: "يا رسول الله ألا نتداوى؟ قال: {نعم، يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاء، أو قال: دواءً إلا داءً واحداً}، قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: {الهرم}."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> — أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصوم، باب: 55، حق الجسم في الصوم، ح1975، 51/2، 52، ومسلم في صحيحه، كتاب: الصوم، باب: 35، ح182، 514/1.

<sup>2</sup> — تمّ تخريجها، ص44.

<sup>3</sup> — أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، كتاب: الطب، باب: 2، ما جاء في الدواء والحث عليه، ح2038، 561/3، وأبو داود في سننه، كتاب: الطب، باب: 1، الرجل يتداوى، ح3855، 125/4، وابن ماجه في سننه، كتاب: الطب، باب: 1، ح3436، 87/4، راوي الحديث أسامة بن شريك رضي الله عنه.

— الأخذ بأسباب النظافة الوقائية، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُدُوًا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأعراف)، لكن لو تعدى الاهتمام بالنظافة التي تقي الأجسام من الآفات والأسقام، إلى الزينة لغير ما أمر الله، كما نلاحظه سائدا الآن في النساء خاصة، فهذا ما نهى عنه الله بقوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِحُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّالِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُؤْوَى إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ (النور)، وهذا هو هدف المنهج التربوي الإسلامي في أن "افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة، فإن الفلاح كل الفلاح، في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه، والله تعالى هو المستعان."<sup>1</sup>

— الاهتمام بالتربية البدنية، إذ كل ما فيه دعوة لتقوية الجسم، كالرمي والفروسية والسباحة، والمصارعة والمبارزة والسباق وغيرها، يُعدّ من الرياضات التي كانت تُمارس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لأن العناية بالبدن وتربيته وفق المنهج التربوي الإسلامي، تقتضي تمرّن الجوارح على الحركات، التي تُكسب الجسم قوة وحيوية، تُنمّي بها الطاقات الكامنة به، لتدفعه بالتوجيه والإصلاح إلى إنفاذ هذه القوة نحو فعل الخير، لتكون بذلك محمودة، خاصة إذا اقترنت بالأمانة، كما وُصف بذلك موسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحَدَلُهُمَا يَأْتِيَنَّ أَسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرَّتْ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٣١﴾﴾ (القصص)، فعن قتادة قال: "القوي في الصنعة، الأمين فيما ولي"<sup>2</sup>، وكذا قول العفريت من الجنّ لسليمان، حين دعا عليه السلام بتعجيل الإتيان بعرش ملكة سبأ: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣١﴾﴾

<sup>1</sup> — ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 225/10.

<sup>2</sup> — تفسير الطبري، جامع البيان، 228/18.

(النمل)، أما إذا وُظِّفت هذه القوة للبطش والاعتداء، فإنها تكون بذلك مذمومة ومنهي عنها، لكونها مخالفة لتحقيق العبودية لله تعالى، إذ "العناية بالجسم والحرص على توافر مقوماته المختلفة، أحد الأهداف الرئيسية التي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقها والوصول إليها، لتُشكِّل في مجموعها بناء الشخصية المسلمة، القادرة على تحمُّل المسؤوليات المختلفة في هذه الحياة"<sup>1</sup>.

## ثانياً: الجانب العقلي

لقد خلق الله تعالى الإنسان، وميّزه عن سائر مخلوقاته بالعقل، هذا "العقل البشري طاقة من أكبر طاقاته، ونعمة من أكبر نعم الله عليه، ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الملك)، و(الفؤاد) يُستخدم في القرآن بمعنى العقل، أو القوة الواعية في الإنسان، أو القوة المدركة على وجه العموم"<sup>2</sup>، لذلك، جاء المنهج التربوي الإسلامي ليوجِّه الطاقة العقلية توجيهها صحيحاً، يضمن حفظها وتحزُّرها من كل الاعتقادات والشبهات والظنون المفتقرة إلى الدليل الواضح البيِّن، ولِيُنمِّي فيه روح التفكُّر والتبصُّر والتعلُّم، بغية إدراك اليقين وفق منهج الله تعالى.

ولما كان العقل من أهمِّ الجوانب في النفس البشرية، فقد أحاط به المنهج التربوي الإسلامي إحاطة تامّة، تُكسبه تربية وتنشئة صحيحة، بطريقة شاملة ومتكاملة ومتوازنة بينه وبين الجانب الجسمي والروحي، ليتّم تواصل الإنسان من خلالها إلى إدراك حقيقة خالقه، ثم الحكمة من خلقه، ثم التفكُّر بمعاده، لذلك "خاطب القرآن العقل ليدلّه على وجود الله، وحضّ الإنسان على التدبُّر في الكون وفي نفسه، ليدلّه على أن الله وحده الذي يستحقّ العبادة، ولفت النظر إلى قياس البعث في الآخرة على الخلق الأول، والنشأة الأولى، ليبرهن بالاستنتاج العقلي على صحّة عقيدة البعث والجزاء، والجزم بها، وأمره أن يتفكّر في خلق السماوات والأرض، وينظر في آثار الأقوام السالفة، وأنزل القرآن لعقل معانيه وتندبّر آياته، وأنكر على الذين لا يستعملون عقولهم في الفهم والتفكير السليم، ووصفهم بالصمّ والبكم والعمي، لأنهم لم يفكّروا فيما نقلته إليهم حواسهم من المرئيات والمسموعات، وأبوا أن ينطقوا بالحق الذي يمليه عليهم عقولهم لو سمحوا له

<sup>1</sup> \_ أبو عزّاد الشهري، مقومات التربية الجسمية في الإسلام، ص 44 .

<sup>2</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 75/1 .

بالتفكر والتدبر، فهم عمي عن إِبصار الحق أو ما يؤدي إليه من آيات الله في الآفاق، صم عن سماع الحجج والتفكير في مصيرهم.<sup>1</sup>

من هذا المنطلق، ندرك بأن :

الآيات الواردة في القرآن الكريم بخصوص العقل وما يدور في معناه، من تفكر وتفقه وتدبر كثيرة، لا يسعنا المجال لذكرها جميعا، إذ الهدف من ورودها في كتاب الله تعالى هو الدعوة إلى تحقيق العبودية لله تعالى.

الآيات القرآنية والكونية، في توجيهها للعقل وتعويده على سلامة التفكير، تدعو إلى تحريك الطاقة الكامنة به، والموافقة للفطرة السليمة، وتسخيرها وفق منهج الله تعالى، لذلك، جاءت "التربية الإسلامية لثمني عقل الإنسان دائما على هذا التفكير السليم، والارتباط المنطقي بين المقدمات والنتائج، كما تُربيه على ألا يستسيغ العبث وانعدام الغاية، والخضوع للمصادفة، فكل ذلك ليس من الفطرة العقلية السليمة في شيء، وأن الله لا يرضى لنا أن يكون عقلنا مُعوجًا سقيما."<sup>2</sup>

تعطيل العقل عن ممارسة حقه في استخدام طاقاته بسبب الأهواء والاعتقادات الباطلة والظنون الواهية، لاتغني عنه الأدوات المعرفية شيئا، ما لم تُوظف بشكل صحيح وإن سلّمت، لأن "السمع والبصر أدوات تتلقّى العلم والمعرفة، ثم ترسلها إلى القوى العقلية لتقوم بفهمها ووعيتها، فإذا كانت القوى العقلية معطلة بأغلال الهوى، مثقلة بأصار التقليد والجمود، فإنه لا فائدة مما يرد إليها عبر السمع والبصر، وهذا ما يشير إليه القرآن عند أمثال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾<sup>(١)</sup> إِنَّ سَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ<sup>(٢)</sup> (الأنفال)، وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(٣)</sup> (الحج).

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 117، 118 .

<sup>2</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، المرجع نفسه، ص 101 .

<sup>3</sup> \_ ماجد عرسان الكيلاني، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ص 141 .

ما دام العقل هو القلب، والقلب هو العقل<sup>1</sup>، فإننا نستطيع القول بأن العقل محلّ القلب، لقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (الأعراف).  
 وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج)، ذكر الشعراوي في تفسيره لهذه الآية قوله: "وهل يعقل الإنسان بقلبه؟ معلوم أن العقل في المخ، والقلب في الصدر، .. لما يُدرك الإنسان الأشياء بوسائل الإدراك، يتدخل العقل ليُغريبل هذه المدركات، ويختار من البدائل ما يناسبه، .. وبعد أن يختار العقل ويوازن بين البدائل، يحكم بقضية تستقرّ في الذهن وتقتنع بها، .. وعندها تنفذ ما استقرّ في نفسك، وارتحت إليه بقلبك، إذن: إدراك بالحواس، وتمييز بالعقل، ووقوف عند مبدأ بالقلب، .. والعقل من مهامه أن يعقل صاحبه عن الخطأ، ويعقله أن يشرد من المآهات"<sup>2</sup>.

السموّ بالإنسان من مرتبة الحيوانية إلى حدّ الكمال والتعقل، مرهون بقابليته على التغيير، هذا التغيير الذي يقاس بمدى تمكّن الإنسان من العلم وتعامله معه، إذ به يتحقّق التدبّر والتفكّر، وهذا ما يُكسب العقل الفطنة وحده الذكاء تدرّجاً مع الوقت، كما يُخلّف تركه إهمالاً للعقل عن وظيفته المنوطة به، ليُصبح الفكر متبلّداً متحرّجاً، عاجزاً عن الإدراك والتمييز، وبالتالي يظهر أثر كل ذلك على النفس والروح معا .

دعوة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى استعمال العقل في إدراك الحق وتدبّره، دعوة لتحقيق العبودية لله تعالى، كون تنمية العقل بتحريره من الظنون والأهواء، والتبعية والتقليد، تنمية للجسم والوجدان، إذ الشمول والتكامل، والتوازن والتعادل بين هذه الجوانب والإحاطة بها، له كل التأثير على الجانب العملي الإبداعي للإنسان، ولذلك يسعى المنهج التربوي الإسلامي، للحصول على نمو جسمي وفكري وروحي متوازن وشامل من جميع جوانبه، يضمن حصول الفرد على شخصيّة سويّة متّزنة، لشقّ غمار الحياة الاجتماعية العملية، كما يُكسب النفس ثقة تمنحه الخوض في تجارب الحياة بنجاح، دون يأس ولا عجز.

<sup>1</sup> \_ ويقال: لفلان قلب عقول، ولسان سؤول، .. وقلب عقول: فهِم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 458/11، 459.

<sup>2</sup> \_ تفسير الشعراوي، 9861/16، 9862 .

## ثالثاً: الجانب الروحي

لقد أولى المنهج التربوي الإسلامي العناية بجوانب الكيان البشري من جسم وعقل، كما اهتم أيضا بالجانب الروحي، الذي يُعدّ حلقة وصل بين العبد وربّه، والذي يربط عالم الغيب بعالم الشهادة، إنّها الروح التي يُطلق لفظها لغويا على "النفخ، سمي روحا لأنه ربح يخرج من الروح"<sup>1</sup>، أما تفسير الروح في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء)، فالمعنى: أن "الروح: يُطلق على الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني، الذي دلّت عليه آثاره من الإدراك والتفكير"<sup>2</sup>، كما نجد تفسير ابن كثير يقارب هذا المعنى، وذلك عند "ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء، في أن الروح هي النفس أو غيرها، وقرّر أنّها ذات لطيفة كالهواء، سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر، وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس، بشرط اتّصالها بالبدن، واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذمّ، فهي إما نفس مطمئنّة، أو أمانة بالسوء، .. لا يُقال للروح نفس إلا باعتبار ما تتول إليه، فحاصل ما يقول أن الروح أصل النفس ومادتها، والنفس مركّبة منها ومن اتّصالها بالبدن"<sup>3</sup>، ومن هذه المعاني ندرك بأن :

الروح وإن كانت نفخ أو نفس أو غيرها، فإننا نؤمن بها وإن لم ندرك حقيقتها، وما خلاف العلماء بشأنها، وعدم علم الأوّلين والآخريين بكنهها، إلا لعلم الله بها وحده دون غيره من البشر، لذلك قال تعالى: (قل الروح من أمر ربّي)، أي: "من شأنه، وما استأثر بعلمه دونكم، ولهذا قال: ﴿وما أُوتِيتُم من العلم إلا قليلاً﴾"<sup>4</sup>، يقول محمد قطب رحمه الله بأن الروح " تلك الطاقة المجهولة التي لا نعرف كنهها ولا طريقة عملها، هي وسيلتنا للاتّصال بالله."<sup>5</sup>

1 \_ ابن منظور، لسان العرب، 459/2 .

2 \_ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 196/15 .

3 \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 75/9، 76 .

4 \_ ابن كثير، المرجع نفسه، 75/9 .

5 \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 40/1 .



بنفخ الروح في الجسد تكون الحياة، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ﴾ (السجدة)، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر)، وأن بمفارقة الروح للجسد تكون الموت، لحديث أم سلمة رضي الله عنها "قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أبي سلمة وقد شقَّ بصره، فأغمضه، ثم قال: {إن الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ}"<sup>1</sup>، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه حديثاً، قال فيه: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره؟} قالوا: بلى، قال: {فذلك حين يتبع بصرُهُ نفسه}"<sup>2</sup>.

بين نفخ الروح في الجسد والخروج منه عُمرًا، طال أوقصر، قد يقضيه صاحبه في طاعة الله، وقد يقضيه في معصيته، وقد يكون صاحبه ممن رضي الله عنهم، أو ممن سخط عليهم، كل ذلك مرهون بمدى تقبُّل منهج الله تعالى، والالتزام بتطبيقه، لأن "الإسلام وحده هو الذي يصل الإنسان بالله، ليُصلح حاله على الأرض ويُنظِّم حياته، فيسير بجسمه، وهو متَّجه بروحه إلى السماء"<sup>3</sup>، ولما اهتم المنهج التربوي بتنمية وتوجيه الجانب الروحي للإنسان، كونه المرتكز الأصلي للحياة، كانت "طريقة الإسلام في تربية الروح، هي أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله في كل لحظة، وكل فكرة، وكل شعور"<sup>4</sup>، وهذا ما يسعى المنهج التربوي الإسلامي لتحقيقه، من خلال بناء الجانب الروحي من الإنسان.

### المطلب الثالث: التربية الإيمانية

ما دام المنهج التربوي الإسلامي منهجاً ربّانيّاً، يستقي أصوله من المصادر الأصلية التي توافق خصائصه وأسسها، فإنه بتميّزه بخاصية الإحاطة، في شمولها وتكاملها، وتعادلها وتوازنها، يسعى لتكوين شخصية الإنسان، تكويناً سويّاً سليماً يمكنه من تحقيق العبودية لله تعالى، لذلك اعتنى هذا المنهج بعناية كبيرة بالجانب الروحي الذي يُعدّ نقطة وصل بين العبد وربّه، حيث أعطى للتربية الإيمانية نصيباً غير منقوص من

<sup>1</sup> \_ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: 4، إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، ح7، 409/1 .

<sup>2</sup> \_ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: 5، شخوص بصر الميت يتبع نفسه، ح9، 409/1، 410 .

<sup>3</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 17/1.

<sup>4</sup> \_ محمد قطب، المرجع نفسه، 42/1 .

الاهتمام، دون إفراط منه ولا تفريط، وعلى هذا الأساس كانت العناية بتوجيه الإنسان وتربيته ماديا ومعنويا، من أجل تزكية روحه، وتطهير جوارحه، وبث الطمأنينة بقلبه، وتنمية فكره، وتوجيه أخلاقه، ليكون بصلاحه وإصلاحه، قادرا على تحقيق القيام بمهام الاستخلاف ثم التمكين في الأرض.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ  
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ  
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (البقرة)، ذكر ابن كثير قول الثوري  
على أن "هذه أنواع البر كلها، وصدق رحمة الله، فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام  
كلها، وأخذ بمجامع الخير كله، وهو الإيمان بالله، وأنه لا إله إلا هو، وصدق بوجود الملائكة الذين هم  
سفرة بين الله ورسله، (والكتاب) وهو اسم جنس، يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، حتى  
ختمت بأشرفها، وهو القرآن المهيم على ما قبله من الكتب، الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على  
كل سعادة في الدنيا والآخرة، ونسخ به كل من سواه من الكتب قبله، وآمن بأنبياء الله كلهم"<sup>1</sup>، وقال  
أيضا: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ  
وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٤٥﴾﴾ (البقرة)،  
ويقول أيضا: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ  
الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾  
(النساء)، كما وردت أركان الإيمان في حديث للنبي صلى الله عليه وسلم، يتبين لنا من خلاله كيفية تحقيق  
المنهج التربوي الإسلامي لعملية التربية الإيمانية، في دعوته لتوجيه وإصلاح النفوس والعقول والوجدان،  
يقول أبو هريرة رضي الله عنه: "كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس، فأتاه رجل فقال: ما  
الإيمان؟ قال: {الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام؟ قال:  
الإسلام أن تعبد الله ولا تُشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدِّي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: ما

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 156/2 .

الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراتها: إذا ولدت الأُمّة ربّها، وإذا تطاول رعاة الإبل البُهم في البنيان، في خمس لا يعلمهنّ إلا الله، ثم تلا النبيّ صلى الله عليه وسلم (إنّ الله عنده علم الساعة) الآية، ثم أدبر، فقال زُودوه، فلم يروا شيئاً، فقال: هذا جبريل جاء يُعلّم الناس دينهم، قال أبو عبد الله: جعل ذلك كلّه من الإيمان.<sup>1</sup>

من خلال ما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يمكننا القول بأن المنهج التربوي الإسلامي، جاء لتصحيح العقيدة والعبادة وتعميق أصولها بالنفوس والأبدان، لتركيتها وتطهيرها، كما جاء ليسمو بالأرواح والأفئدة بالمراقبة، ليتذوق الوجدان حلاوة الإيمان، ويسكن في صلته بالرحمن، كل هذه التربية والتعليم من الناحية الإيمانية، تكون في انسجام تامّ، وتكامل شامل، وتوازن معتدل، بين الجوانب كلها، الروحية والعقلية والنفسية معاً، وهذا ما يكون بيانه كالآتي:

### أولاً: العقيدة

أما العقيدة في اللغة فمن "اعتقد الشيء، أي اشتدّ وصلب، واعتقد كذا بقلبه، وعقد قلبه على الشيء: لزمه."<sup>2</sup>

ويُعرّفها بعض العلماء بأنها: "الأمور التي تُصدّق بها النفس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقينا عند أصحابها لا يمازجها ريب، ولا يُخالطها شك"<sup>3</sup>، وللجمع بين هذه المعاني، يمكننا القول بأن الاعتقاد: هو الأمر الذي تلتزم به النفس وتصدّقه وتتيقّن به ثم تتمسّك به، لاطمئنان القلب إليه دون شك ولا ريب،

<sup>1</sup> \_ أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: 37، ح 50، 33/1، وكتاب: تفسير سورة 31، باب: 2، ح 4777، 275/3، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان ما هو، ح 5، 24/1، وابن ماجه، في سننه، المقدمة، باب: 9، في الإيمان، ح 64، 50/1، 51 .

<sup>2</sup> \_ ابن منظور، لسان العرب، 298/3، 299، والجوهري، الصحاح، 510/2 .

<sup>3</sup> \_ عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، قصر الكتاب، البليدة، د.ط، د.ت، ص 9، نقله عن رسائل العقائد: مجموع الرسائل، ص 429 .

وبذلك يكون من اعتقد شيئاً بقلبه اعتقاداً جازماً لا يساوره شك، موقناً به، فقد آمن به، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " {الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان} "1، أما معنى " (الإيمان معرفة بالقلب) أي: التصديق به، وقوله باللسان: هو الشهادتان، وعمل بالأركان، أي: الجوارح، كالصلاة والصوم والزكاة والحج، وفيه أن الإيمان الكامل لا يوجد بلا إسلام"2، وعلى هذا الأساس تُبنى التربية الإيمانية بالنفوس والقلوب والجوارح، والمنبثقة من منهج الله الصحيح الذي "يردّ الناس إلى خالقهم ويصلهم به مباشرة وبلا حواجز،.. وهذا الردّ إلى الخالق هو محور العقيدة الإسلامية كله، ومحور منهجها التربوي كله، ومنه تنفّرع كل التشريعات والتنظيمات والتوجيهات، ومنه تسير الحياة البشرية على نهجها القويم"3، ويكون بيان كل ذلك من خلال توضيح عناصر الإيمان، كما يأتي:

**الإيمان بالله:** يقول تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ (آل عمران)، أي: أن "الله يشهد أن لا إله إلا هو، ورسول الله يشهد أن لا إله إلا الله، ويشهد أيضاً أنه رسول الله، يبلغ ذلك للمؤمنين، فيكتمل التكوين الإيماني"4، ليكون معنى الإيمان بالله، هو "التصديق بوجوده تعالى، وأنه لا يجوز عليه العدم، وأنه تعالى موصوف بصفات الجلال والكمال، من العلم والقدرة، والإرادة والكلام، والسمع والبصر والحياة، وأنه تعالى منزّه عن صفات النقص، التي هي أضداد تلك الصفات، وعن صفات الأجسام والمتحيّزات، وأنه واحد حق، صمد فرد، خالق جميع المخلوقات، متصرف فيها بما شاء من التصرفات، يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه ما يشاء."5

1 \_ أخرجه ابن ماجة في سننه، مقدمة، باب:9، ح65، 89/1، 90، راوي الحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

2 \_ أخرجه ابن ماجة في سننه ، مقدمة، كتاب: السنّة، باب:9، الإيمان، ح65، 51/1 ، ضُعف السند لوجود أبي الصلت به، لكن السيوطي قال: ليس ممن يكذب، وقال في الميزان: رجل صالح .. روى له النسائي وابن ماجة، ووثقه ابن معين والدارقطني، قال أحمد: أراه صادقاً، التعليق ص52 .

3 \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 1/ 15 .

4 \_ الشعراوي، تفسير الشعراوي، 2/ 1239 .

5 \_ بدر الدّين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبطه وصحّحه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية،

**الإيمان بالملائكة:** قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ (فاطر)، ذكر ابن عاشور رحمه الله تعريفًا للملائكة، فقال بأنهم "أجسام لطيفة نورانية، أحياناً ذوو قوّة عظيمة، ومن خصائصهم: القدرة على التشكّل بأشكال مختلفة، والعلم بما تتوقف عليه أعمالهم، ومقرّهم السماوات ما لم يُرسلوا إلى جهة الأرض"<sup>1</sup>، ومادام الإيمان يتعلّق بالغيب، فإن الإيمان بالملائكة "غيب من خلق الله، ولو لم يبلغنا الله أن له خلقاً هم الملائكة لما عرفنا، إن الحق أخبرنا أنه خلق الملائكة وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، وهم غيب، ولولا ذلك لما عرّفنا أمر الملائكة إيماناً بالكتب والرسل"<sup>2</sup>، وأما قضية الإيمان بهم، فيكون "بجميع ملائكته، فمن ثبت تعيينه: كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام، وجب الإيمان به، ومن لم يُعرف اسمه آمنّا به إجمالاً"<sup>3</sup>.

**الإيمان بالكتب:** وأما الإيمان بالكتب في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ءَٰمَنٍ بِٱللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِۦ﴾ (البقرة)، فبمعنى: "والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته، وجميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسوله"<sup>4</sup>.

**الإيمان بقاء الله والبعث:** ذكر بدر الدين العيني في شرحه للحديث قول النووي، "اختلفوا في المراد بالجمع بين الإيمان بقاء الله والبعث، فقيل: اللقاء يحصل بالانتقال إلى دار الجزاء، والبعث عند قيام الساعة، وقيل: اللقاء ما يكون بعد البعث عند الحساب"<sup>5</sup>، ويقول أشمل للأقوال السابقة، أي: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت، مما ثبت في الكتاب والسنة، وبمعنى أدق: الإيمان باليوم الآخر، كما ورد في الآيات، وفي نفس الحديث برواية عمر رضي الله عنه.

بيروت، ط1، 1421هـ\_2001م، كتاب: الإيمان، باب:38، ح50، 1/447.

<sup>1</sup> \_ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 250/22.

<sup>2</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 1240/2.

<sup>3</sup> \_ بدر الدين العيني، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب:38، ح50، 1/447.

<sup>4</sup> \_ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 149/5.

<sup>5</sup> \_ العيني، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، نفس رقم الحديث، وكذا الصفحة.

**الإيمان بالرسول:** أي الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، فكل "من علمنا اسمه آمنّا به، ومن لم نعلم آمنّا به إجمالاً، .. والإيمان برسول الله عليهم السلام، هو بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، وأن الله تعالى أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله رسالاته، وبيّنوا للمكلفين ما أمرهم ببيانه، .. وأن لا يُفَرَّق بين أحد منهم."<sup>1</sup>

### ثانياً : العبادة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾﴾ (الذاريات)، وما عبادة الخلائق لله، كما يقول ابن عباس "إلا لِيُتَرَوُا بالعبودية طوعاً وكرها"<sup>2</sup>، وعلى هذا الأساس كان " منهج الإسلام في التربية، ونظام الحكم، ونظام الاقتصاد، والتشريعات الجنائية، والتشريعات المدنية، ونظام الأسرة، وسائر التشريعات التي يحتويها هذا المنهج لا تهدف إلا إلى غاية واحدة، هي تحقيق معنى ((العبادة)) وفق هذا المنهج، .. وبهذا فإن العبادة في الإسلام ليست مجرد إقامة الشعائر، إنما العبادة هي الحياة، فالحياة كلها خاضعة لشريعة الله، والإنسان في الحياة عابد طالما أنه متّجه بكل نشاطه إلى الله."<sup>3</sup>

إن الغاية من خلق الإنسان هي العبادة، وإن الغاية من العبادة هي تحقيق العبودية لله تعالى، وهي الغاية نفسها من بعثة الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٥٢﴾﴾ (الأنبياء)، لذلك فإن "من أبرز سمات المنهج الإسلامي، أنه منهج عبادة، ولكن العبادة في هذا المنهج تحتاج إلى توضيح، فهي ليست قاصرة على مناسك التعبّد المعروفة من صيام وصلاة وزكاة ..، وإنما هي معنى أعمق من ذلك جداً، إنها العبودية لله وحده، والتلقّي من الله وحده، في أمر الدنيا والآخرة كله، ثم هي الصلة الدائمة بالله في هذا كله، وهذه الصلة في الحقيقة هي منهج التربية كله، تتفرّع منه جميع التفرّيعات وتعود في النهاية كلها إليه."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> \_ بدر الدين العيني، عمدة القارئ، رقم الحديث السابق، وكذا الصفحة.

<sup>2</sup> \_ الطبري، جامع البيان، 554/21 .

<sup>3</sup> \_ علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص 110 .

<sup>4</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 34/1،

ولما كان الشمول والتكامل والتوازن بين الجوانب الإنسانية من نفس وعقل وروح، كانت "العبادة هي الوسيلة الفعالة لتربية الروح، العبادة بمعناها الواسع الذي يشمل الحياة، العبادات المفروضة من صلاة وزكاة وصيام وحج،.. كلها قد قصد بها تربية الروح"<sup>1</sup>، وهي نفسها العبادة التي حين تُؤدَّى تُربِّي العقل والجوارح، وهي نفسها التربية الإيمانية التي يدعو المنهج التربوي الإسلامي إلى ترسيخها بالنفوس والعقول والأرواح، ليحقق بها العبودية لله تعالى، بغية الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۗ﴾ (النور)، وعلى هذا الأساس، و"بهذا المعنى الشامل، تصبح العبادة هي الصلة الدائمة بين المسلم وربّه، وتصبح هي التربية الدائمة للإنسان: جسمه وعقله ووجدانه."<sup>2</sup>

### ثالثا : المراقبة

أما المراقبة أو الرقابة الذاتية، فتأتي بمعنى الإحسان في الحديث الشريف، والذي يُعرّفه بعض العلماء على أنه "يرجع إلى إتقان العبادات، ومراعاة حق الله تعالى ومراقبته، .. فإن العبد إذا علم أن سرّه موضع نظر الله تعالى، وجب عليه تصفية سرّه لمولاه، وإصلاح ذلك، وتنقيته مما يكرهه الله تعالى أن يراه وينظر إليه في قلوب أوليائه، فيزيل الصفات المهلكات، ويُطهره منها، ويتّصف بالمحمودات حتى يجعل سرّه كالمرآة المجلوة"<sup>3</sup>، يقول تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۗ﴾ (البقرة)، والمعنى: أن "من أخلص العمل لله وحده لا شريك له، ..متّبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن للعمل المتقبّل شرطين: أحدهما: أن يكون خالصا لله وحده، والآخر: أن يكون صوابا موافقا للشريعة"<sup>4</sup>، وإن الإخلاص في العمل، والموافقة للشريعة، هما الأصلان اللذان يتركز عليهما المنهج التربوي الإسلامي، ويدعو إليهما لتحقيق:

<sup>1</sup> \_ محمد قطب، نفسه، 63/1 .

<sup>2</sup> \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في تصوّر الإسلامي، ص 111 .

<sup>3</sup> \_ بدر الدين العيني، عمدة القارئ، كتاب: الإيمان، باب: 38، ح 50، 1/ 448، 449 .

<sup>4</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 21/2 .

التربية على المراقبة الذاتية، التي تولد في النفس خشية الله تعالى، واليقين بمعيته، وعلمه بالظاهر والباطن.

التربية على التقوى في القلوب، وهذا ما يولد أداء الأعمال بإتقان .

التربية على التحرر من التبعية والخوف إلا من الله تعالى، وهذا ما يُعظّم في النفس قوة إحقاق الحق، وإبطال الباطل.

### المطلب الرابع: التربية الاجتماعية

إن المنهج التربوي الإسلامي، بإرشاده وتوجيهه وإصلاحه، حدّد واجبات الأفراد مع أنفسهم، ومع خالقهم، ومع غيرهم من بني جنسهم، ليَجعل ما يحكمهم من إيمان وعقيدة ومراقبة، وقيم إسلامية، وأخلاق إنسانية أثناء نشئتهم، ضابطا سلوكيا، يمنحهم من خلال معاملاتهم الاجتماعية الحسنة مع غيرهم، مفتاحا يلجون به أبواب السيادة والريادة، في مجتمعهم وأمتهم، ليحققوا بذلك تمكينهم في الأرض واستخلافهم فيها، وفق منهج الله وبما يُرضي الله، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات)، بهذه المشيئة في الخلق، وبهذه المساواة والتعارف بين جميع الخلائق، تجعلهم التقوى "يرتدون إلى خالقهم فيحسّون المشاركة في الإنسانية، فهم جميعا قد صدروا عن إرادة الله، ثم هم جميعا خلقوا من نفس واحدة، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١٥﴾﴾ (النساء)، ومن ثمّ تصلح نفوس بعضهم تجاه بعض، وتقوم بينهم أواصر الإنسانية والتعاون والمحبة، ولا يقوم بينهم النزاع والشقاق.<sup>1</sup>

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى}،<sup>2</sup> وعلى هذا الأساس، فإن الفرد إذا ما اكتسب أثناء تربيته ومنذ الطفولة، ما يميّز مجتمعه وبيئته من قيم وعادات وتقاليد وسلوكات وغيرها، عند تشكيل

<sup>1</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 16/1 .

<sup>2</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: 27، رحمة الناس والبهائم، ح 6011، 93/4، ومسلم في صحيحه، كتاب: البرّ، باب: 17، تراحم المؤمنين، ح 66، 1201/2، راوي الحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.



شخصيته من جميع الجوانب النفسية والعقلية والروحية، فإن ذلك يمكنه من كيفية التعامل مع من حوله من أفراد مجتمعه إذا احتكّ بهم، ليبدأ عندها جانبه التطبيقي بالنشاط على أرض الواقع، بجميع مجالاته المختلفة، فإذا ما اكتسب المهارة والخبرة شيئاً فشيئاً أثناء معاملته، صار عنصراً بنّاءً وفعالاً في مجتمعه، عنصراً مُميّزاً بقوة نجاحه وعطاءاته، وإنجازاته وإبداعاته في شتى المجالات، التعليمية، والدينية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية وغيرها، قوة يحقق بها وجوب الأمر بإعدادها إخلاصاً منه لله تعالى، ليحمي بها نفسه، ويدافع بها عن وطنه، ويعزّز بها أمته، ويبني بها حضارته، لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ﴾ (الأنفال)، ولا يتميّز حينها بالصلاح والإصلاح، إلا إذا أنشئ التنشئة الإسلامية الصحيحة، في بيئة إسلامية صالحة، والتزم بالآداب الاجتماعية الموافقة لمنهج الله تعالى، وفق ما جاء في كتابه، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، حيث "اعتمدت التربية الإسلامية المحمدية، في منهجها التربوي على إعداد البيئة الإسلامية الصالحة اعتماداً كبيراً، فاهتمت بتكوين المجتمع المسلم الأول عن طريق الهداية بالدعوة، فالنصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن طريق الأسوة الحسنة والتربية الحكيمة، على الالتزام بأحكام الإسلام وشرائعه وأخلاقه وآدابه، ثم كان هذا المجتمع المثالي هو النواة والبيئة الصالحة لإدارة كل داخل فيه ضمن دوامته، وصناعته صناعة إسلامية،.. على مثل المجتمع المثالي الأول.. يجب الالتزام بالواجبات، والابتعاد عن المحرّمات الإسلامية، وبالتعاون فيما بينها، والتوادّد والتحابب والتقارب الاجتماعي"<sup>1</sup>، ليكون بيان ذلك كله كما يأتي:

### أولاً : التنشئة على الحب في الله

لما كان المنهج التربوي الإسلامي، هو السبيل الأمثل والأصلح لنا كأفراد وجماعات، كونه منهجاً ربّانياً يقينياً، ينتفي عنه كل خطأ أو شك في توجيهه وإرشاده، فإن إحاطته التامة بمكونات الأنفس والعقول والأرواح، وإحاطته التامة بالنافع لها والضارّ، يجعل من التركيز على التربية النفسية والعقلية والروحية، انعكاساً

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، وفقه النصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دراسة استنباطية تشتمل على: بيان وجوبها، وأسسها، ومنهجها، وسبلها، ووسائلها، وآدابها، ونماذج من تطبيقاتها، دار القلم، دمشق، ط1، 1417هـ\_1996م، 468/1، 469.

للعوي الداخلي بواقع الحياة، والوعي بأسلوب التعايش مع الأفراد على الأسس التي يعلوها الحب والود، والذي يضمن تطبيقه حياة أسعد لكل الناس، لذلك فإن "الشعور بالحببة نحو الآخرين، أصل ترجع إليه مكارم خلقية كثيرة، كالتعاون وإرادة الخير للناس، ومشاركتهم الوجدانية في السراء والضراء،..ومن شأن الشعور بالحببة نحو الآخرين، السلامة من كثير من الأمراض الخلقية الحبيثة،..إن شعور الإنسان بمحبته للناس، اتجاه كريم نحو الارتباط بالجماعة والاندماج فيها،..إن المحبة لتسعد صاحبها قبل أن تسعد الآخرين،..ولذلك جعل الإسلام هذه المحبة عنصراً من عناصر الإيمان،..فتبادل المحبة بين المسلمين قاعدة من قواعد الإيمان، أو أثر من آثاره القلبية، كما أنها أساس عام من أسس مكارم الأخلاق الاجتماعية"<sup>1</sup>، وإن أعظم حب بين البشرية ذكره تعالى في كتابه العزيز، حب الأنصار للمهاجرين، لذلك كان مجتمع النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسى قواعد الحب بين أفرادها، أعظم مجتمع عرفه التاريخ، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ (الحشر)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحب لنفسه. }<sup>2</sup>

لا شيء يتم به تغيير النفوس والجماعات والمجتمعات، كمبدأ بذل الحب للناس، "وليس شيء يزيل سموم النفس كما يزيلها الحب،..الحب على نطاقه الواسع، الحب لكل شيء ولكل موجود، وهذا الذي يصنعه الإسلام، ويصنعه القرآن،..ومن هنا ينشأ الحب للإنسانية، والصلة بين بني الإنسان، ويروح الإسلام يُعدي به بكل توجهاته، وكل تطبيقاته، حتى يُصبح جزءاً من العقيدة حياً متمزجاً بالكيان."<sup>3</sup>

إن تطبيق مبدأ الحب في الله بين الأفراد والجماعات، والذي به يكون تميز المجتمعات، يتحقق بما يأتي:

<sup>1</sup> \_ حبكة عبد الرحمن حسن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، 250/2، 251 .

<sup>2</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب:الإيمان، باب: 7، ح13، 21/1، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب:17، ح71، 72، 41/1، والترمذي في جامعه الكبير، كتاب:القيامة، باب:59، ح2515، 284/4، وابن ماجه في سننه،

مقدمة، باب:9، في الإيمان، ح66، 90/1. راوي الحديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

<sup>3</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 70/1 .

1\_ تحقيق المساواة: وذلك بنبد الفخر بالآباء، والتكبر بالأحساب والأنساب والأموال، وإزالة الفوارق الاجتماعية والعصبية، ونبد الفرقة والتنازع والخصومات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات)، أي: "فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطيبة إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأموال الدينية، وهي طاعة الله، ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة، واحتقار بعض الناس بعضاً، منبهاً على تساويهم في البشرية،.. وإنما تتفاضلون عند الله بالتقوى لا بالأحساب"<sup>1</sup>، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (الأنفال)، فإذا ما تم تحقيق ذلك كله، عم الإصلاح، وتماسكت عرى الترابط الاجتماعي بالإخاء، وتآلفت القلوب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ (الحجرات)، وهذا هو الهدف الذي يرمي إليه المنهج التربوي الإسلامي، في دعوته لتحقيق التربية الاجتماعية.

2\_ تحقيق النظرة الإنسانية لبني البشر عموماً: وذلك بنبد الفضاضة والغلظة والشدة، وجعل الرأفة والرحمة أعظم أساس للتعامل مع الناس، كونها خلق النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران) وقال تعالى أيضاً: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ (التوبة)، وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿١٩﴾﴾ (الفتح)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {الراحمون يرحمهم الرحمن، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء}<sup>2</sup>، فإذا ملأت الرحمة القلوب، واصطبغت بها الأعمال، استوجب الصبر على العباد حصول الود والتسامح، والتعاطف والتعاون، وغيرها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: {ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى}<sup>3</sup>.

1 \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 168/13، 169 .

2 \_ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: 66، الرحمة، ح 4941، 5/ 146، والترمذي في جامعه الكبير،

كتاب: البر، باب: 16، رحمة المسلمين، ح 1924، 3/ 483، راوي الحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

3 \_ تم تخرجه الحديث، ص 126 .

## ثانياً: التنشئة على تحمّل المسؤولية

يقول ابن عباس رضي الله عنه، "كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال: {يا غلام إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجُفَّتِ الصُّحُفُ} <sup>1</sup>، إن هذه التنشئة الواردة في الحديث، هي التنشئة الصحيحة، كونها من أعظم أصول التربية الإسلامية، والمتضمنة للتربية النفسية والعقلية والروحية والإيمانية والاجتماعية بشتى مجالاتها، وغيرها، كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم، في تربيته لابن عباس رضي الله عنه، ليعلمه من خلال هذا الحديث، أن يعرف الله تعالى، ويتقيه في السر والعلن، وأن يتعرف عليه وقت الرخاء ليحده وقت الشدة، وأن يستعين به، ويتوكل عليه، ويخاف منه، ويرجوه دون غيره، كون النفع والضرر بيده وحده، هذه التربية التي لو تربي عليها الفرد، لأدرك حقيقة المسؤولية، ولعرف كيف يتحملها حق التحمل، ولأنشئت شخصيته بشكل سوي وسليم، ولأصبح قادراً على خوض غمار الحياة، بكل إيمان وقوة، وعزم ودأب، فإذا ما نضج فكره، وصح تمييزه، وأدرك تمييزه، بحسن معاملته، ووفرة عطائه، عندها يستطيع تحقيق ما يدعو إليه المنهج التربوي الإسلامي من:

1\_ غرس الثقة بالله بعد معرفته، والاستعانة به، والتوكل عليه .

2\_ والتحرر من الخوف والالتكال.

3\_ نمو قوة التفكير، وذلك بممارسته الحديث مع غيره، ومشاركته في إبداء الرأي.

4\_ الصدق في الأقوال والأفعال، والتعاملات والوعود.

5\_ الإصرار على الحق، وعدم التساهل فيه.

<sup>1</sup> \_ أخرجه الترمذي في جامعه الكبير، كتاب: القيامة، باب: 59، ح 2516، 284/4، 285.

6\_ التحرر الذهني والنفسي، ببناء قوة التخطيط.

7\_ القدرة على اتخاذ القرارات، المبنية على العلم والخبرة .

8\_ الاعتماد على النفس في القدرة على الإنجاز، و الحرص على إتقان العمل.

9\_ تطوّر المواهب، وظهور الكفاءات، وارتقاء القدرات، والمساهمة بالإبداعات .

هذا، وغيره كثير ممّا قدّمه لنا المنهج التربوي الإسلامي، يجعل من الأفراد مميّزين في أنفسهم وأهليهم، وفي مجتمعهم وأمتهم، وهذا من فضل الإسلام علينا، ورحمة الله بنا، فالحمد لله ربّ العالمين.

## خلاصة الفصل

وأخيراً، نخلص إلى أن المنهج التربوي الإسلامي، في تميّزه بخاصية الإحاطة، بشمولها وتكاملها، وتوازنها وتعادلها، بين جميع جوانب الإنسان، يسعى \_ في دعوته لتشكيل إنسان سويّ الشخصية \_ إلى تحقيق أهمّ مرتكز أساسي، ألا وهو التربية النفسية، المبنية على الجسم والعقل والروح، والتربية الإيمانية، المبنية على العقيدة والعبادة والمراقبة، والتربية الاجتماعية، المبنية على الحب والإخاء، ليُتَّوَجَّح كل ذلك بالعلم بالحق، والعمل به، والدعوة إليه، بنفس مطمئنّة زكيّة، وروح شفافّة صفيّة، وجسد طاهر قويّ، وعقل مدرك سمّيّ، وقلب مطمئن تقيّ، في خشية وإخلاص دائمين، لتحقيق العزّة في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

الفصل الثالث: أساليب المنهج التربوي الإسلامي

المبحث الأول: الحكمة من تنوع الأساليب التربوية

المطلب الأول: الدعوة بالحكمة

المطلب الثاني: الدّعوة بالموعظة الحسنة

المطلب الثالث: الدّعوة إلى الجدل بالتي هي أحسن

المبحث الثاني: التربية بالتشويق

المطلب الأول: أسلوب الحوار

المطلب الثاني: أسلوب الترغيب والترهيب

المبحث الثالث: التربية بالحرص على التوجيه الرشيد

المطلب الأول: أسلوب القدوة الحسنة

المطلب الثاني: أسلوب الاهتمام بتربية ذوي الكفاءات والمواهب

## تمهيد

لقد خلق الله تعالى العباد في أحسن تقويم، وكرمهم أيما تكريم، ورزقهم من نعمه الظاهرة والباطنة، في حين، لم يجعل خلقهم عبثاً ولم يتركهم هملاً، وإلا عمّت الفوضى والفساد في الأرض، كون النفس البشرية تميل بطبعها للراحة واللهو، والتمتع والهوى، أي تفضّل تقديم اللذات الدنيوية على اللذات الأخروية، وما لذلك خلقهم سبحانه، قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آتِخَذَنَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾﴾ (الأنبياء)، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (المؤمنون)، فكانت رحمة الله بعباده، أن بعث فيهم الأنبياء والرسل لبيّنوا لهم ما جاء في الكتب من حدود لردعهم، وضوابط شرعية لهدايتهم وتقويمهم إذا ما زاغوا عن الطريق المستقيم، أو زلّوا عن نهج الله القويم، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿٢١٣﴾﴾ (البقرة)، لبيان أساليب المنهج التربوي الإسلامي، لا بدّ لنا من توضيح الحكمة من تنوع الأساليب التربوية كما وردت في القرآن الكريم، ثم بيان أهمّ أسلوبين تربويين، ألا وهما: أسلوب التربية بالتشويق، وأسلوب التربية بالحرص على التوجيه الرشيد.

## المبحث الأول: الحكمة من تنوع الأساليب التربوية

شاءت قدرة الله تعالى وعلمه أن جعل القرآن الكريم آخر الكتب السماوية نزولاً، على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فكان المنهج التربوي الإسلامي الذي يستمد أصوله من الكتاب والسنة، أعظم منهج ربّانيّ متكامل، جامع لجميع القضايا التي تهتمّ بتربية الفرد تربية صحيحة، يستطيع من خلالها كسب شخصية سويّة، تحقّق له الربط بين سلوكه مع نفسه وغيره، وبين ما نشأ عليه من عقيدة وإيمان وقيم وأخلاق وغيرها، لتمنحه هذه الشخصية عندئذ، توازناً في نفسه وواقعه الاجتماعي، يمكنه من توظيف طاقاته وقدراته للانتفاع بها، دون إفراط منه لمطالبه وضروراته.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ۗ﴾ (الإسراء)، ومعنى ذلك أن القرآن "يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل"<sup>1</sup>، فإذا كان القرآن الكريم يهدي للأصلح والأقوم، والأتمّ والأكمل، بمعنى قمة التمام والصلاح، فإن منهجاً ربّانياً محيطاً بأدقّ الخفايا لهذا الإنسان، حريصاً على تقديم أنسب الأساليب لإنجاح العملية التربوية، أحق أن نعرف طرقه وأساليبه في التربية، وكيفية تطبيقها كما وردت في الكتاب والسنة، علّنا ندرك بالإصلاح ما يمكن إنقاذه، وذلك ببذل الجهود التربوية الصادقة، لإحداث التغييرات السلوكية للأفراد والجماعات نحو الأحسن، وترسيخها بالأساليب التربوية .

أما الأسلوب من الناحية اللغوية، فبمعنى: "الطريق، وكل طريق ممتدّ فهو أسلوب، ..ويُجمع على أساليب وقد سلك أسلوبه: طريقته، وكلامه على أساليب حسنة."<sup>2</sup>، وكذلك "الأسلوب، بالضمّ: الفنّ، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه."<sup>3</sup>

أما ما ذكره الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات، فقال بأن "الأساليب: الفنون المختلفة."<sup>4</sup>

بالجمع بين أقوال العلماء، يتبيّن لنا بأن الأسلوب هو التفنّن في سلك طريقة ما.

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 440/8 .

<sup>2</sup> \_ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1415هـ\_2001م، 71/3 .

<sup>3</sup> \_ ابن منظور، لسان العرب، 2058/ 21 .

<sup>4</sup> \_ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 313/1 .



أما معنى الأسلوب التربوي: فهو التفنن في اختيار أصح الطرق، أثناء العملية التربوية.

تُعدّ الأساليب التربوية، بتنوعها ومرونتها في توجيه الإنسان وبناء شخصيته، من أهم الطرق والسبل في إحداث العملية التربوية والتعليمية، لذلك أولى القرآن الكريم والسنة النبوية لها اهتماما كبيرا، وعناية فائقة، لتحقيق التواصل بين الخلائق، وتحقيق العبودية للخالق، وفق منهج تربوي إسلامي، يسعى لبناء الإنسان بناءً شاملا متكاملا، ومتوازنا معتدلا، في جميع جوانبه ومجالاته المختلفة، لذلك "يمكن للباحث أن يهتدي إلى بعض ما اختطته العناية الإلهية في القرآن العظيم، والسنة النبوية، من أساليب مؤثرة، بليغة، ربّت النفوس، وارتقت بالهمم، حتى حدث بيضع عشرات من ألوف المؤمنين، أن يفتحوا قلوب البشر للهدى الإلهي وللحضارة الإسلامية، ومكنت لهم في الأرض: في سعتها وفي عمق الزمان، ما لم يتح لغيرهم من أمم الأرض أن يتمكنوا فيه."<sup>1</sup>

وما استخدام النبي صلى الله عليه وسلم للأساليب التربوية المتنوعة، في تربية أصحابه وتعليمهم وتركيتهم، وما براعته وتفننه في إرشاد الناس وهدايتهم، إلا لكونه الرحيم في تربيته، الرؤوف في تعليمه، الحكيم في دعوته، واللين في وعظه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ (الجمعة)، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٦﴾﴾ (آل عمران)، كل هذه الأساليب التربوية المستقاة من القرآن الكريم، نراها تتجسّد من خلال سيرته المبثوثة في كتب السنة المطهّرة، حيث كان صلى الله عليه وسلم "يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب، وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدّها تثبيتا للعلم في ذهن المخاطب، وأكثرها مساعدة على إيضاحه له، ومن درس كتب السنة وقرأها بإمعان، رأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلوّن الحديث لأصحابه ألوانا كثيرة، فكان تارة يكون سائلا وتارة يكون مجيبا، وتارة يجيب السائل بقدر سؤاله، وتارة يزيد على ما سأل، وتارة يضرب المثل لما يريد تعليمه، وتارة يصحب كلامه القسم بالله تعالى، وتارة يُلَفِت السائل عن سؤاله لحكمة بالغة منه صلى الله عليه وسلم، .. وكان صلى الله عليه وسلم تارة يورد الشبهة ليذكر جوابها،

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 205 .

وتارة يسلك سبيل المداعبة والمحاكاة فيما يعلمه، وتارة يمهّد لما يشاء تعليمه ويبانه تمهيدا لطيفا، وتارة يسلك سبيل المقايسة بين الأشياء، وتارة يشير إلى عللها لذكر جوابها، وتارة يسأل أصحابه وهو يعلم، ليمتحنهم بذلك، وتارة يسألهم ليرشدهم إلى موضع الجواب، وتارة يلقي إليهم العلم قبل السؤال، .. إلى غير ذلك من فنون تعليمه صلى الله عليه وسلم.<sup>1</sup>

فمن رحمة الله بنا، أن جعل أساليب التربية في الدعوة والتوجيه متعدّدة ومتنوّعة، نظرا لتفاوت الناس فيما بينهم، من ناحية الميول والأهواء، والدوافع والرغبات، وطبيعة النفس والعقل، ونسبة الفهم والانقياد، وسرعة الإدراك والاستجابة، وتفاوت المستوى العلمي والثقافي، واختلاف النفسيات حيال المواقف التي هم بصدددها، كل هذه الأمور وغيرها، جعلت من الأساليب التربوية الإصلاحية ما هو مباشر، وما هو غير مباشر، أما "التوجيه المباشر، فيكون بمواجهة من يُراد دعوتهم وتذكيرهم، أو إصلاحهم وحمائتهم، بالمقصود الرئيسي مباشرة، دون أي تورية أو استخفاء، أو تسترّ بأفكار وحيل كلامية، .. وأما طريق التوجيه غير المباشر، فيكون بهداية من يُراد دعوتهم وتذكيرهم، أو إصلاحهم وحمائتهم بوسائل غير صريحة، إذ لا يبدو في ظاهرها المقصود الرئيسي، وإنما يأتي متواريا، أو أمثال يُقاس عليها، .. ورواية القصص، أو التوجيه لقراءتها، .. وطريق التوجيه غير المباشر هو طريق التعليم، والنصح والإرشاد، والتربية والتذكير، والموعظة العملية التي ملأ الله الوجود المادي بها، وتبّه عليه في كتابه المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم.<sup>2</sup>

### المطلب الأول: الدّعوة بالحكمة

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ (النحل)، لقد ذكر الله تعالى في هذه الآية ثلاثة أساليب دعوية تربوية، فيها أمر بالدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن،

<sup>1</sup> \_ عبد الفتاح أبو غدّة، الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم، وأساليبه في التعليم، د. دار النشر، الرياض، د. ط، 1416هـ، ص 63، 64 .

<sup>2</sup> \_ حبكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، 1/ 429 . 435 .

فكان المعنى: "دُلَّ النَّاسُ وارشدهم، والسبيل هو الطريق والمنهج، والحكمة: وضع الشيء في موضعه المناسب، ولكن لماذا تحتاج الدعوة إلى الله حكمة؟ لأنك لا تدعو إلى منهج الله إلا من انحرف عن هذا المنهج، ومن انحرف عن منهج الله تجده أَلْفَ المعصية وتعود عليها، فلا بد لك أن ترفق به، لتخرجه عمّا أَلَفَ وتقييمه عن المنهج الصحيح، فالشدّة والعنف في دعوة مثل هذا تنفره، لأنك تجمع عليه شدّتين: شدّة الدعوة والعنف فيها، وشدّة تركه لما أحبّ وما أَلَفَ من أساليب الحياة، فإذا ما سلكت معه مسلك اللّين والرفق، وأحسنت عرض الدّعوة عليه، طواعك في أن يترك ما كان عليه من مخالفة المنهج الإلهي."<sup>1</sup>

ويقول ابن القيم رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يُعاند الحقّ ولا يأباه: يُدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر: يُدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمعاند الجاحد: يُجادل بالتي هي أحسن."<sup>2</sup>

دُكِرَ في معجم ألفاظ القرآن الكريم<sup>3</sup>، معاني الحكمة بحسب الآيات الواردة فيها، فكان من بين هذه المعاني: الصواب من قول وعمل وعلم نافع، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (آل عمران) .

العظة والعبرة، لقوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْذُرُّ﴾ (القمر)، كما ذُكِرَت بهذا المعنى في آيات كثيرة.

كما وردت بلفظ الحُكْم، والمعنى منه: الحكمة وحسن التصرف، والصواب في القول والفعل، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (يوسف)، وقال: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران).

<sup>1</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 8283/13 .

<sup>2</sup> \_ ابن القيم شمس الدّين، التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمعه: محمد أويس الندوي، وحققه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1367هـ\_1948م، ص344 .

<sup>3</sup> \_ مجمّع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، طبعة منقّحة، طباعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، ط2، 1409هـ\_1988م، 312/1، 313 .

ووردت بلفظ الحكيم، أي بمعنى: الصواب والحكمة، في قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان)، وبمعنى إحكام الآيات وإتقانها، أي: ذو حكمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف).

أما العلماء فقد ذكروا في معنى الحكمة أقوالاً عدّة، منهم الطبري في تفسيره لقوله تعالى (بالحكمة)، أي: "بوحى الله الذي يوحى إليك، وكتابه الذي يُنزله عليك"<sup>1</sup>، أما ابن عاشور فقد ذكر الحكمة على أنها "المعرفة المحكّمة، أي الصائبة المجرّدة عن الخطأ، فلا تُطلق الحكمة إلا على المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء، وبقايا الجهل في تعليم النَّاس وفي تهذيبهم، ولذلك عرّفوا الحكمة بأنها معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه، بحسب الطاقة البشرية، بحيث لا تلتبس على صاحبها الحقائق المتشابهة بعضها ببعض، ولا تُخطئ في العلل والأسباب، وهي اسم جامع لكل كلام أو علم يُراعى فيه إصلاح حال النَّاس واعتقادهم، إصلاحاً مستمراً لا يتغيّر"<sup>2</sup>، وأما الشيخ ابن باديس رحمه الله، الذي لفت انتباهنا تفسيره للحكمة، حيث أعطى لهذا اللفظ النصيب الأوفر من البيان والتوضيح، حين قال: "الحكمة هي العلم الصحيح الثابت، المثمر للعمل المتقن، المبني على ذلك العلم، فالعقائد الحقّة، والحقائق العلمية الراسخة في النفس رسوخاً، تظهر آثاره على الأقوال والأعمال حكمة، والأعمال المستقيمة، والكلمات الطيّبة التي أثمرتها تلك العقائد، حكمة، والأخلاق الكريمة كالحلم والأناة \_وهي علم وعمل نفسي\_ حكمة، والبيان عن هذا كله بالكلام الواضح الجامع، حكمة، .. فالحكمة التي أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يدعو النَّاس إلى سبيل ربّه بها، هي البيان الجامع الواضح للعقائد بأدلّتها، والحقائق وبراهينها، والأخلاق الكريمة بمحاسنها ومقابح أضرارها، والأعمال الصالحة \_من أعمال القلب واللّسان والجوارح\_ بمنافعها ومضارّ خلافها."<sup>3</sup>

أما الدكتور عرسان الكيلاني، فقد بيّن بأن "الحكمة في معناها العام، هي نفاذ البصيرة إلى سنن الحوادث ومجريات الأمور، وإتقان العمل والتصريف، دون صدام مع قوانين الظواهر، وفي ضوء ظروف العصر الذي تواجبه، .. فهي لدى المرّي المسلم فهم مبادئ التربية وأهدافها، ومناهجها وأساليبها، وإتقان التعامل بذلك،

<sup>1</sup> \_ الطبري، جامع البيان، 400/14 .

<sup>2</sup> \_ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 327/14 .

<sup>3</sup> \_ عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، من كلام الحكيم الخبير، دار البعث للطباعة والنشر، ط1، 1402هـ\_1982م،

..وبالتالي فالحكمة هي فهم كل فرد أو جماعة في الأمة لدوره، وإتقان أداء هذا الدور، طبقاً لمقاييس الإسلام ومنطلقاته، ..وفي ضوء ما تقدّم، تقتضي مرحلة الحكمة النظر في قدرات الفرد واستعداداته الميسرة لتحديد الدور الذي يمكن أن يؤديه في المجتمع، ثم يُدرَّب عليه تدريباً يُمكنه من إتقان العمل وحسن الإنجاز، وإذا كان القرآن الكريم قد تضمّن الجانب النظري من الحكمة، فإن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تقدّم الجانب العملي، المثل الكامل للحكمة، لأنها جمعت معاني الحكمة التي فصّلناها، ففيها الإتقان والحلول الملائمة، وفيها القدرة الفائقة على التمييز بين الصواب والخطأ، وفيها صواب الرأي وحسن النظر في الأمور، وتقييم المواقف، وفيها حسن التقدير، وحسن الإدارة والتصريف، وفيها العبرة والحجة الواضحة، ولقد كانت مناهج الفهم النبويّ، والتفكير النبويّ، والتطبيق النبويّ، تجسيدا للسنن والقوانين التي تضمّنتها آيات الكتاب المنزّل من الله سبحانه وتعالى.<sup>1</sup>

من خلال أقوال العلماء، ندرك بأن:

الحكمة هي معرفة انتقاء الأقوال والأفعال والعلوم الصائبة والموافقة للوحي، وتوظيفها في المكان المناسب، والموقف المناسب، بغية إصلاح الناس.

لما لم توصف الحكمة بالحسن، ففي ذلك دليل على أنها كلها خير، وأنها نعمة يهبها الله لمن يشاء من عباده، لقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ (البقرة). أنجح دعوة إلى الله، وأنجح تربية، ما كان الداعية فيها أو المريّ ذو حكمة، أي من رُزق حدّة الذكاء، ودقّة الملاحظة، وسرعة البديهة، في إيجاد الحلول والمخارج للمواقف المختلفة، مع إصابة الحق في الأقوال والأفعال، وموافقتها للوحي.

<sup>1</sup> \_ ماجد عرسان الكيلاني، تطوّر مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية، دار ابن كثير، بيروت، ط2، 1405هـ\_1985م، ص53، 54.

## المطلب الثاني: الدعوة بالموعظة الحسنة

ذُكر في معجم ألفاظ القرآن<sup>1</sup>، معاني الوعظ بحسب الآيات، والتي لا تخرج جميعها عن معنى النصيح والتذكير بالعواقب، لقوله تعالى: ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ (الشعراء)، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ (الأعراف)، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنَيْهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان)، كما فسرها الطبري بمعنى "العبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله"<sup>2</sup>، أما ابن عاشور فقد جاء في تفسيره للموعظة على أنها: "القول الذي يلين نفس المقول له لعمل الخير، وهي أخص من الحكمة لأنها حكمة في أسلوب خاص لإقائتها،.. ووصفها بالحسن، تحريض على أن تكون لينة مقبولة عند الناس، أي حسنة في جنسها،.. وعطف (الموعظة) على (الحكمة) لأنها تغاير الحكمة بالعموم والخصوص الوجهي، فإنه قد يسلك بالموعظة مسلك الإقناع، فمن الموعظة حكمة، ومنها خطابة، ومنها جدل"<sup>3</sup>، وأما الشيخ ابن باديس، فقد بين بأن "الوعظ والموعظة: الكلام الملين للقلب، بما فيه من ترغيب وترهيب، فيحمل السامع - إذا اتعظ وقبل الوعظ وأثر فيه - على فعل ما أمر به، وترك ما نُهي عنه،.. ففي حديث العرياض الذي رواه الترمذي<sup>4</sup> وغيره: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، موعظة وجلت (خافت) منها القلوب، وذرفت (سالت) منها العيون، فقد خطب فيهم خطبة كان لها هذا الأثر في قلوبهم، فهذه حقيقة الموعظة،.. ويكون الوعظ بذكر أيام الله في الأمم الخالية، وبالיום الآخر وما يتقدمه،

<sup>1</sup> \_ مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، 1188/2، 1189 .

<sup>2</sup> \_ الطبري، جامع البيان، 400/14 .

<sup>3</sup> \_ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 327/14 .

<sup>4</sup> \_ الحديث للعرياض بن سارية رضي الله عنه، قال فيه: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: {أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدى فسيروا اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة}، تم تخريجه .

وما يكون فيه من مواقف الخلق وعواقبهم، ومصيرهم إلى الجنة أو النار، وما في الجنة من نعيم، وما في النار من عذاب أليم، وبوعد الله ووعيدة، وهذه أكثر ما يكون بها الوعظ، ويكون غيرها، كتذكير الإنسان بأحوال نفسه، ليعامل غيره بما يحب أن يُعامل به، وهو من أدق فنون الوعظ وأبلغها،.. والموعظة التي تحصل المقصود منها من ترقيق للقلوب، للحمل على الامتثال لما فيه خير الدنيا والآخرة، هي الموعظة الحسنة، وإنما يحصل المقصود منها إذا حَسُنَ لفظها بوضوح دلالاته على معناها، وحسن معناها بعظيم وقعه في النفوس، فَعُدَّتْ في الأسماع، واستقرت في القلوب، وبلغت مبلغها من دواخل النفس البشرية، فأثارت الرغبة والرغبة، وبعثت الرجاء والخوف بلا تقنيط من رحمة الله، ولا تأمين من مكروه، وانبعثت عن إيمان ويقين، وتآدت بحماس وتأثر، فتلقَّتْها النفس من النفس، وتلقَّفها القلب من القلب، إلا نفساً أحاطت بها الظلمة، وقلبا عمّ عليه الرآن، عافى الله قلوب المؤمنين.<sup>1</sup>

وإلى نفس المعنى يشير الأستاذ حبنكة الميداني بقوله " أن الموعظة هي النصح بالفعل أو بالترك، المقرون بما يثير الرغبة أو الرهبة في النفس، للانتفاع بالنصح، واتِّباع ما هدي إليه فعلاً أو تركاً.<sup>2</sup>

إذن، فالوعظ إذا ما أثر في السامع، ولاقى منه القبول، حمله ذلك على فعل المأمور به، وترك المنهي عنه، كون لفظ الوعظ في القرآن ورد على شكل أمر، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ حَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيْتًا ﴿٦٦﴾ (النساء)، كما ورد على شكل نهي، لقوله تعالى: ﴿يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُدُّوْا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ (النور)، وإن الوعظ الذي يبعث على امتثال الأمر والنهي، باعتبار ما ينجر عن كلٍّ منهما من رغبة ورهبة، وخوف ورجاء، متوقف على مدى حسنه، من إفصاح في الكلام، وسلاسة في البيان دون تكلف، ومدى وقعه في النفوس، باعتبار موافقته للمواقف، لأن الله تعالى "قيد هذه الموعظة بأن تكون حسنة، أي: حسنة في أسلوب عرضها، والحسن في أسلوب العرض يتنافى مع الفظاظة والغلظة، والمخاشنة في القول والسباب والشتائم، إلى غير ذلك مما تنفر منه الطباع.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> \_ ابن باديس، مجالس التذكير، ص 69، 70 .

<sup>2</sup> \_ حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، ص 608.

<sup>3</sup> \_ حبنكة الميداني، المرجع نفسه، ص 608.

إنه المنهج التربوي الربانيّ، في دعوته للدعاة والمرتبين بالالتزام بالموعظة الحسنة المقرونة بالحكمة، والتي تُؤتي ثمارها، وتترك آثارها، إذ "يُروى في هذا المقام \_مقام الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة\_ قصة دارت بين الحسن والحسين رضي الله عنهما، هذه القصة تجسيد صادق لما ينبغي أن يكون عليه الداعية، فيُروى أنّهما رأيا رجلا لا يُحسن الوضوء، وأرادا أن يُعلّماه الوضوء الصحيح دون أن يجرحا مشاعره، فما كان منهما إلا أنّهما افتعلا خصومة بينهما، كل منهما يقول للآخر: أنت لا تُحسن أن تتوضأ، ثم تحاكما إلى هذا الرجل أن يرى كلاّ منهما يتوضأ، ثم يحكم أيّهما أفضل من الآخر، وتوضأ كلّ منهما فأحسن الوضوء، بعدها جاء الحكم من الرجل يقول: كلّ منكما أحسن، وأنا الذي ما أحسنت."<sup>1</sup>

وفي هذا إشارة إلى أن الموعظة كلّما كانت قليلة خفيفة، كلّما كانت أبلغ في الدلالة من الإطالة، التي تبعث على الملل والسآمة، وذلك لما أخرجه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يتحوّلنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا"<sup>2</sup>، وما أخرجه أبو داود "عن جابر بن سمرة السوائي، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُطيل الموعظة يوم الجمعة، إنّما هنّ كلمات يسيرات."<sup>3</sup> إن إضافة لفظ الحُسن للموعظة، فيه دليل على أن منها ما هو حسن، وما هو سيّء، وما دامت الحسنة ما كانت ليّنة على القلب مليّنة له، لما لها من وقع على النفوس لموافقته للمواقف، فإن الموعظة السيّئة ما كانت مخالفة لذلك.

لذلك، فالموعظة المنتقاة بحكمة، في اختيار أصوب الطرق بأحسن الألفاظ، الموعظة التي تمسّ آلام الناس وآمالهم، وتهمم بقضاياهم وحاجاتهم العصرية، من أمراض نفسية واجتماعية وغيرها، والموافقة لوقائعهم ومواقفهم الحياتية، هي الموعظة الحسنة التي تلقى صدى كبيرا في الإقناع، بعد استحسان السماع ثم التقبّل

<sup>1</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 8283/13 .

<sup>2</sup> \_ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب: العلم، باب: 11، ح: 68، 42/1، كتاب: الدعوات، باب: 69، الموعظة ساعة بعد ساعة، ح: 6411، 174/4، والترمذي في الجامع الكبير، كتاب: الأدب، باب: 72، ح: 2855، 534/4، 535، راوي الحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

<sup>3</sup> \_ أخرجه أبو داود في معالم السنن، كتاب: الصلاة، باب: 231، إقصار الخطب، ح: 1107، 462/1، راوي الحديث جابر ابن سمرة رضي الله عنه.



والإقبال\_ لامتلاكها الأجوبة عن كل التساؤلات، من فك المعضلات وحلّ المشكلات، ثم زرع الأمل بالله، والتوكّل عليه في النفوس .

### المطلب الثالث: الدعوة إلى الجدل بالتي هي أحسن

وأما ورود لفظ الجدل، بمعانيه المختلفة حسب الآيات، كما ذكر في معجم ألفاظ القرآن الكريم<sup>1</sup>، فكل معاني الآيات يدور حول:

النقاش والنزاع والخصومة، لقوله تعالى: ﴿ هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (النساء)، وقوله: ﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحج)، وقوله: ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ آوِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ (الأنعام)، وقوله: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (الكهف).

أما منهج التربية الإسلامية في الدعوة بالجدال الحسن، من قوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل)، فيقول فيه العلماء، بمعنى: "من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (العنكبوت)، فأمره تعالى بلين الجانب، كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام، حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه).<sup>2</sup>

بينما نجد للشيخ ابن باديس، توضيحا أكثر بيانا للجدال بالتي هي أحسن، من خلال قوله: "لا بد أن يجد داعية الحق معارضة من دعاة الباطل، وأن يلتقى منهم مشاغبة بالشبه، واستطالة بالأذى والسفاهة، فيضطرّ إلى ردّ باطلهم، وإبطال شغبهم، ودحض شبههم، وهذا هو جدالهم ومدافعهم الذي أمر به نبيّه صلى الله عليه وسلم بقوله (وجادلهم)، .. وأن يسلك في مدافعهم طريق الرفق والرجاحة والوقار، دون فحش ولا طيش ولا فظاظة، وهذه الطريقة في الجدل هي التي أحسن من غيرها، في لفظها، ومعناها، ومظهرها، وتأثيرها، وإفضائها للمقصود، من إفحام المبطل وجلبه، وردّ شرّه عن الناس، وإطلاعهم على

<sup>1</sup> \_ مجّع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، 217/1، 218، 219 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 368/8 .

نقصه وسوء قصده، وهذه هي الطريقة التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالجدال بها، في قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾،.. فإذا كان جدالا مجرد الغلبة والظهور، فهو شرّ كله، وأشدّ شراً منه إذا كان لمداغة الحق بالباطل، وفي هذه الأقسام الممنوعة جاء مثل قوله: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ ۝٣٥﴾ (الشورى) وقوله: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۝٥٦﴾ (الكهف)، وقوله صلى الله عليه وسلم: {ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل، ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ (الزخرف) }<sup>1</sup>،.. فالمداغة والمغالبة من فطرة الإنسان، ولهذا كان الإنسان أكثر شيء جدلا، غير أن التربية الدينية هي التي تضبط خلقه، وتقوم فطرته، فتجعل جداله بالحق عن الحق.<sup>2</sup>

إذن، فالقرآن الكريم لما أشار إلى أنواع عديدة من أساليب التربية، بعضها نظري وبعضها عملي، فقد أوجب مراعاة الحكمة والموعظة الحسنة والجدال في أساليب التعليم<sup>3</sup>، لذلك، فالواجب على الداعي إلى الله تعالى أو المعلم والمربي، أن يُراعي في دعوته وتعليمه الأخذ بالحكمة، وهي العلم والدراية بما في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم الحرص على الموعظة الحسنة، باتخاذ الرفق واللين مسلكا تربويا، يُعزّز بأطيب الكلام وأحسنه، مراعاة للنفسيات والأحوال ما أمكن، ليحدث في النفس تغييرا نحو الهداية، يبدأ بالإنصات فالافتناع ثم الإقبال، بحسب موافقته للمواقف، أما المجادلة الحسنة، والتي يتحرى فيها الداعية أو المربي الإخلاص وصدق النية في دعوته وتعليمه، فإن هذا ما يُعينه على الصبر والتريث واللين، وعدم إبداء الغضب والعنف والفظاظة، في الأقوال والأفعال والمواقف مع من يجادلهم من المعاندين والجاحدين، لكونه أدعى للإقبال على الحق، والاستجابة له .

لقد دعا القرآن للجدال بالتي هي أحسن، في حين نبهه قد عاب على كل من يُجادل بغير علم لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتوعدهم تعالى بالعذاب فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن

<sup>1</sup> \_ أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، كتاب: تفسير القرآن، باب: 43، ح3253، 296/5، 297، وابن ماجه في سننه،

المقدمة، باب: 7، ح4 (48)، 37/1، راوي الحديث أبو أمامة رضي الله عنه .

<sup>2</sup> \_ ابن باديس، مجالس التذكير، ص71، 72 .

<sup>3</sup> \_ ماجد عرسان الكيلاني، تطوّر مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ص59 .

يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ (الحج)، فتفسير هذه الآية للجدل: "هو المحاورة بين اثنين، يريد كل منهما أن يؤيد رأيه ويدحض رأي الآخر، .. فالجدل في ذاته مباح مشروع، شريطة أن يصدر عن علم وفقه، .. فالحق سبحانه لا يمنع الجدل، لكن يريده بالطريقة الحسنة والأسلوب اللين، وكما يقولون: النصح ثقيل، فلا تجعله جدلا، ولا ترسله جبلا، ولا تُخرج الإنسان مما يألف بما يكره."<sup>1</sup> وأما من يُجادل بغير علم، فهذا "حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق، المتبعين للباطل، يتركون ما أنزل الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة، الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء."<sup>2</sup>

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾ (الحج)، وأما معنى العلم والهدى والكتاب المنير، الوارد ذكرهم هنا، فإن "العلم إما علم بدهي، أو علم استدلالي عقلي، أو علم بالوحي من الله سبحانه، .. فالذي يُجادل في الله عن غير علم ولا هدى ولا كتاب منير، يثني عنك جانبه، ويلوي رأسه لأن الكلام لا يُعجبه، ليس لأن كلامك باطل، إنما لا يُعجبه لأنه أفلس، وليست لديه الحجّة التي يواجهك بها، فلا يملك إلا هذه الحركة، لذلك يُسمّى هذا الجدل مرأء، .. كذلك المجادل بالباطل، أو المجادل بلا علم ولا حجّة، تراه يُكابِر ليأخذ آخر ما عند خصمه، ولو كان عنده علم وحجّة لأنهي الموقف دون لجج أو مكابرة"<sup>3</sup>، وأما أصحاب الجدل بغير علم هنا، فهم "الدعاة إلى الضلال من رؤوس الكفر والبدع، .. أي بلا عقل صحيح، ولا نقل صحيح صريح، بل لمجرد الرأي والهوى."<sup>4</sup>

وقال تعالى أيضا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ (لقمان)، أما المجادلة هنا فبمعنى "الحوار في أمر، لكل طرف فيه جنود، وكلّ منهم لا يؤمن برأي الآخر، والجدل لا يكون إلا في سبيل الوصول إلى الحقيقة، ويُسمّونه الجدل الحتمي، وهذا يكون موضوعيا

1 \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 9693/16، 9694 .

2 \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 12/10 .

3 \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 9717/16، 9718، 9719 .

4 \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 19/10، 20 .

لا لدد فيه، ويعتمد على العلم والهدى والكتاب المنير، وفيه نقابل الرأي بالرأي ليثمر الجدل، .. فإن كان الجدل غير ذلك، فهو ممارسة<sup>1</sup>، أما المجادلين في الله بغير علم الوارد ذكرهم في هذه الآية، " لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين، .. فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائكم، أنهم كانوا على ضلالة، وأنتم خالف لهم فيما كانوا فيه"<sup>2</sup>، وهذا ما عابه عليهم القرآن الكريم، في حوارهم السقيم، وجدالهم العقيم، وبعدهم عن الصراط المستقيم.

ومن هذا المنطلق، نخلص إلى أن أساليب الدعوة والتربية كما بينها المنهج التربوي الإسلامي، والمستقرأة من الكتاب والسنة، تعتمد أساساً على الموعظة الحسنة، المقرونة بالحكمة المستندة إلى الوحي، والمصيبة للحق في الأقوال والأفعال والمواقف، والبعيدة عن الخصومة بالباطل، والمنازعة في الرأي، والجفوة والغلظة في المعاملة، لتجعل من الأساليب التربوية التي سنينها في هذا الفصل تؤتي ثمارها، سواء القولية منها والمتمثلة في التربية بالتشويق، أو الفعلية والمتمثلة في التربية بالهداية والإرشاد، كلها لا تنفك عن الموعظة الحسنة لاقتنائها بها .

---

<sup>1</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 11687/19 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 75/11 .

## المبحث الثاني: التربية بالتشويق

لكل إنسان سلوك يميّزه، وفقا لمقتضيات الظروف المحيطة به والتي تحكمه، لكن هناك مؤثرات تدفع به لأن يُغيّر سلوكه بحسب المعايير التي يُحدّدها المجتمع، وما دامت هذه المعايير تتغيّر من وقت لآخر، فإن السلوك الإنساني يتغيّر هو الآخر من أجل التوافق معها، لذلك كان دور المنهج التربوي الإسلامي في هذه الحالة هامًا، كونه يهدف إلى تعديل السلوك المنحرف، الذي يُفقد المواهب والمقوّمات الشخصية، ويبعدها عن جادة الصواب، ويوجّه الدوافع والنوازع بما يوافق الفطرة الإنسانية، \_ مع الأخذ بعين الاعتبار الإحاطة برعاية جميع جوانبه \_، كما يهدي للتي هي أقوم، بتحقيق العبودية لله تعالى بشتى الطرق والأساليب التربوية، التي يُعدّ التشويق منها عنصرا يعتمد على الإقناع العقلي، في إيصال الأمر المشوّق، أو المعلومة المراد معرفتها إلى المسامع، بطريقة صحيحة ومبسّطة، لذلك كان "أسلوب التشويق هو أول طريقة من الطرق، تبعث على إيقاظ الهمم، وإذكاء النفوس، إذ أن النفس البشرية تتطلع إلى استكشاف كل جديد، بل إن إثارة المتعلم وتشويقه، تجعله يبحث ويستقصي بلهف شديد ورغبة شديدة في معرفة ذلك الشيء المشوّق"<sup>1</sup>، لذلك يرى علماء التربية بأن إنجاح أو إخفاق عملية ضبط السلوك وتوجيهه عن طريق التشويق، متوقّف أساسا على مدى توافق الظروف التي تُعزّز السلوك الصحيح وتقوّيه، أو مخالفة الظروف الباعثة إما على الاستسلام، أو إعادة الكرّة والمحاولة من جديد بعد الفشل، كون "التشويق والتعزيز ظاهرتان تتعاونان

وتتعاقدان في تحقيق السلوك الإنساني أو تكراره، فالفرد يتشوّق إلى أمر ما بعد شعوره بالحاجة إليه، فيباشره إن سنحت له الفرصة وكانت الظروف مواتية، فإن نجح في ذلك تعزّز سلوكه أو تقوّى، وتشوّق إليه مرّة أخرى، وأما إذا أخفق، فقد يزيد إخفاقه من دافعيته فيندفع مرّة أخرى إلى مباشرة السلوك، وقد يئأس ويستسلم"<sup>2</sup>، ومن ذلك كلّه، ندرك بأن المنهج الإسلامي أوّلَى عملية التربية بالتشويق أهمية كبرى في توجيه السلوك، "ولعل هذه الأهمية تكون أكبر في توجيه العملية التربوية التي تتناول الإنسان بجميع جوانبه النفسية

<sup>1</sup> \_ الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم، إصدارات موقع نصرّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص71، على الرابط:

www.rasoulallah.net

<sup>2</sup> \_ الحسين جرنو محمود جلو، أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، دراسات تربوية إسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط1، 1414هـ \_ 1994م، ص24 .

والعقلية، والعاطفية والإدراكية، وتتعامل مع قواه العقلية، وتُعنى بتنمية هذه القوى، وتهذيب فعاليتها، وتهدف إلى إكسابه مهارات فكرية وحركية، تتسم بالنظام والإيجابية.<sup>1</sup>

لذلك، فنحن في أمسّ الحاجة لعنصر التشويق، لما له من تأثير على التربية والتعليم، نظرا لما نلاحظه من التغيرات الحديثة المتجددة يوما بعد يوم، والمتمثلة في وسائل الإعلام، المرئية والمقروءة والمسموعة، والوسائل التكنولوجية التي احتلت المرتبة الأولى في التشويق والتطلع لكل ما هو جديد، بالإضافة إلى انتشار المناهج التربوية الدخيلة، التي جعلت من توغل الثقافة الغربية يُحيم على البلاد الإسلامية، إما بالطرق المباشرة أو غير المباشرة، ولمواجهة هذه التغيرات، فإن الأمر يتطلب توظيف كل القدرات لاكتساب المهارات التربوية التوجيهية الصحيحة للمترين والمتعلمين، وذلك بتلقينهم المنهج الصحيح ما أمكن، وفق اختيار أصح الأساليب لتنشئة صحيحة، يتحقق من خلالها مقصد المنهج التربوي الإسلامي على أرض الواقع، وذلك عند الممارسة الميدانية للعملية التربوية، ليشمل التغيير فيها أكبر مساحة على مستوى الأفراد والجماعات، وعلى هذا الأساس، كان الحوار والترغيب والترهيب والقصة والمثل، كلها أساليب تربوية قرآنية سنّية، تجعل من التشويق باعثا على معرفة الحقائق من خلالها، والتطلع إلى إدراك المجهول عن طريقها، هذه الأساليب التي تُؤثر في السامع والمتعلم، وتجعله يتقبل الحق ويُقبل عليه، لا بدّ من معرفتها وبيائها، ولا يسعنا ذلك إلا بالعودة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما يأتي:

### المطلب الأول: أسلوب الحوار

لقد خلق الله تعالى عباده وجعلهم شعوبا وقبائل، وجعل بينهم تباينا في الألوان والألسن، وفي العقائد والملل، ثم جعل الحكمة من هذا الاختلاف هو التعارف بينهم، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات)، فكان هذا التعارف المبني على التواصل لإنشاء العلاقات الإنسانية الأخوية، أساسه الحوار فيما بينهم، هذا الأخير الذي يُعتبر وسيلة للتفاهم بين الناس، كما يُعدّ أسلوبا ذا أهمية كبرى، كونه منهجا تربويا، قرآنيا سنّيا، في عرضه الحقائق على الآخرين، بغية تحقيق التقارب في الأفكار ووجهات النظر، ومن أجل التربية والتوجيه،

<sup>1</sup> \_ الحسين جرنوب، المرجع نفسه، ص 25 .

والتقويم والتنبيه، بعيدا عن القوة والعصبية، والأهواء والضعوفات، كيف لا والأساليب التربوية في عمومها تُشكّل منهاجا تربويا إسلاميا ينبثق من أسلوب الحوار، الذي يُعدّ أداة في متناول جميع المتحاورين أثناء التعامل أو التعلّم.

عند مراجعة لفظ الحوار عند العلماء، كأسلوب تربوي توجيهي، وما فصلوا فيه من الأقوال، خاصّة إذا كانت الدراسة قرآنية، نجدهم يستدلّون في بيانه بآيات القول في القرآن الكريم، كون آيات الحوار في القرآن لا تتعدّى الثلاث مواطن، والتي لا يشيرون إليها في معظم الأحيان، وهذا يجعلنا نتساءل: هل الحوار هو القول؟ وما الفرق بينهما؟ وإذا كانت الدلالة باللفظ عينه أبلغ من الدلالة عليه بالمعنى، فما هو إذا الحوار؟ ذُكر الحوار في معاجم اللغة بمعنى الردّ، والرجوع والتجاوب، فمعنى "المحاورة: المجاوبة، والتحاو: التجاوب، ونقول: كلّمته فما أحرار إليّ جوابا،.. وأحار عليه جوابه: ردّه،.. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة."<sup>1</sup>

وأما في اصطلاح العلماء، فقد ذُكر على أنّه "مراجعة الكلام بين متكلمين"<sup>2</sup>، كما عرّفه الأستاذ النحلاوي، بأن "يتناول الحديث طرفان أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معيّن، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يُقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكوّن لنفسه موقفا."<sup>3</sup>

وللجمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للحوار، نستطيع القول بأنه: مراجعة الكلام أخذا وردّا بين متكلمين، أثناء المخاطبة حول موضوع معيّن.

لو بحثنا عن لفظ الحوار في القرآن الكريم للاستدلال به كأسلوب للتربية، لوجدناه في ثلاثة مواضع، لكن، لو تعدّينا اللفظ ودقّقنا في المعنى، فإنّا نجدّه أوسع، والذي لا يخرج عن مراجعة الكلام أخذا وردّا أثناء التواصل بين اثنين، بشرط اقترانه بالموعظة الحسنة، من كلام لَيّن حسن وسهل غير مُطوّّل، مبني على العقل

<sup>1</sup> \_ ابن منظور، لسان العرب، 218/4.

<sup>2</sup> \_ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 319/15 .

<sup>3</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 206.

والعلم والحكمة، ليكون أبلغ في النفوس، وأهدى للعقول، بهدف الإقناع، فدخل في هذا المعنى كل من الجدال والتي هي أحسن، والنقاش البعيد عن الفظاظة، والغلظة، وفرض الرأي، والقول الهادف، .. إلى غير ذلك.

قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۗ﴾ (الكهف).

يذكر الله تعالى في كتابه العزيز حوارا دار بين رجلين، أحدهما مؤمن والآخر كافر، ولقد "دلّ فعل المحاورة على أن صاحبه قد وعظه في الإيمان والعمل الصالح، فراجع الكلام بالفخر عليه والتطاول، شأن أهل الغطرسة والنقائص أن يعدلوا عن المجادلة والتي هي أحسن، إلى إظهار العظمة والكبرياء"<sup>1</sup>، إلا أن المؤمن راجعه الكلام ليُتَمَّ وعظه له، حاله حال كل مؤمن في تذكيره وتوجيهه لغيره بعد نفسه، بحيث "يكون حريصا على هداية غيره، لذلك، بعد أن أوضح إيمانه بالله تعالى، أراد أن يُعلِّم صاحبه كيف يكون مؤمنا، ولا يكمل إيمان المؤمن حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، وأيضا من العقل للمؤمن أن يحاول أن يهدي الكافر، .. ويريد أن يُعلِّمه سبيل الإيمان في استقبال النعمة، بأن يردّ النعم إلى المنعم، لأن النعمة التي يتقلّب فيها الإنسان لا فضل له فيها، فكلها موهوبة من الله"<sup>2</sup>، فقال تعالى في ذلك: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۗ﴾ (الكهف).

وأما قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝﴾ (المجادلة)، فنزلت هذه الآية في صحابية، حزبا أمر من زوجها، فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم، تُخبره به وتساله عنه، وتستفسر حكم الشرع فيه، فكان جدالها في هذا الموقف بمعنى حوارها، بحيث "قريء: تُحاوِرُك، أي: تُراجعك الكلام، وتُحاولك، أي: تُسائلك"<sup>3</sup>، فكانت هنا "المجادلة: الاحتجاج

<sup>1</sup> \_ ابن عاشور، نفسه، 319/15، 320 .

<sup>2</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 8910/14، 8911 .

<sup>3</sup> \_ جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعميون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة:

عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان للنشر بالرياض، ط1، 1418هـ\_1998م، ص6/56 .



والاستدلال، .. والتحاوُر: تَفَاعُلٌ، من حار إذا أجاب، فالتحاوُر حصول الجواب من جانبيين، فاقتضت مراجعةً بين شخصين.<sup>1</sup>

من خلال الآيات الثلاث وما جاء فيها من تفاسير، نستنتج بأن الحوار إذا دار بين اثنين بهدف تربية أحدهما للآخر، فإنه لا يخرج عن أمرين: إما للتذكير كما جاء في سورة الكهف، وإما للاستفسار والاستدلال، كما ذُكر في سورة المجادلة، ولبيان ذلك، نأتي على ذكر عدد قليل فقط من الآيات، كون المقام لا يسعنا لذكرها جميعاً، مع كثرتها في القرآن الكريم، كما يأتي:

## 1 \_ الحوار عن طريق الدعوة والتذكير:

وهو أن يكون الحوار بين اثنين، بحيث تكون المبادرة من المحاور للمُحَاوِر، أي إقبال الداعي أو المرِيّ على من يريد دعوته أو تربيته أو تعليمه، عند تذكيره ونصحه، بدافع الحرص والخوف عليه، بغية هدايته للحق والإيمان، والشكر والعرفان لله تعالى، وفق ما يدعو إليه المنهج التربوي الإسلامي، فإذا ما خالف المحاور الفطرة التي فُطِرَ عليها، بأن أنساه الشيطان، أو تناسى وتغافل عن ذكر الله تعالى بسبب ملذات الدنيا من مال وجاه وقوة وسلطان وغيرها، وأخذته العزة بالإثم ظلماً وعلواً، مثل ما حدث مع صاحب الجنّتين، ففي هذه الحالة قد ينفع معه الحوار بالموعظة الحسنة، وبالْحِكْمَةِ المعززة بالحجج والبراهين، بهدف الوصول إلى الحقيقة دون تعصّب أو خصومة، وقد لا ينفع، وقد يرجع المحاور عن طغيانه ويستجيب، بعد أن يُراجع نفسه ويُفكّر، ليتولّد عندها دافع الاستعداد للتغيير بداخله، وقد لا يستجيب، وكل ذلك مرهون بمدى تمكّن أسباب الغي والطغيان من قلبه واستحواذها عليه، وهذا ما أشار إليه عبد الرحمن الحازمي، في كتابه التربية في القرآن الكريم، حين بيّن تقسيمات التذكير للسعدي رحمه الله في قوله: "للتذكير نوعان: تذكير بما لم يُعرَف تفصيله، ممّا عُرف مجمله بالفطر والعقول، .. وتذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة، فيُدكّرون بذلك، ويُكرّر عليهم ليرسخ في أذهانهم، ويتبهاو ويعملوا بما تدكّروه من ذلك، وليحدث لهم نشاطاً وهمّة توجب لهم الانتفاع والارتفاع."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 8/28، 9 .

<sup>2</sup> \_ عبد الرحمن بن سعيد الحازمي، التربية في القرآن الكريم، ص220.

ولذلك، فلا شيء يهدي للتي هي أقوم كالتذكير بالقرآن الكريم، كون "حس الإنسان يتبدل بالألف والعادة، فيفقد التأثر بالشحنة الحيّة المؤثرة التي تهز المشاعر وتحوّل السلوك، فيجيء القرآن \_بطريقته الخاصة\_ فينفذ الرّكّام عن الفطرة، ويُزيل التبدل الذي يُحدثه الألف والعادة، فيهتزّ الوجدان وتنفعل النفس، ويحدث الأمر المطلوب، وتلك خاصيّة القرآن، والقرآن هو أداة التربية الإسلامية الأولى حين يتلقاه الإنسان بقلب منفتح، .. ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص).<sup>1</sup>

من هذه الآيات يبيّن لنا الله تعالى منهج الحكمة والموعظة الحسنة أثناء الحوار بالدعوة والتذكير لمن عتوا عن أمر ربهم، كما في قوله تعالى: ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لِلَّهِ تَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ (طه)، يعلم الله تعالى موسى وأخاه هارون عليهما السلام، أسلوب الحوار بالموعظة الحسنة، وهو أعلم ببلوغ فرعون قمة الطغيان، فأمرهما بألا "تجهاه بما يكره، وألطفاه في القول، .. اذهبا على رجائكما وطمعكما، وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يُثمر عمله، ولا يخيب سعيه، .. وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن، إلزام الحجة وقطع المعذرة<sup>2</sup>، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده أن يُعطي للمُنحطئ فرصة رجاء اهتدائه، قد تمكّنه من مراجعة نفسه، والرجوع عن خطئه وإن عظم، ومن لم يستجب فلا عُذر له، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْتُونَ ﴿١٦٤﴾ (الأعراف)، وقال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء).

وهذا ما ذكره القرآن الكريم عن الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه للإيمان والتوحيد، حباً له، وإشفاقاً منه وخوفاً عليه من الشرك، وعذاب الله، ومع تهديد ووعيد والده له، إلا أنه لم ييأس من تذكيره له بالطف الألفاظ وألين العبارات، وظلّ يدعو له بالهداية والاستغفار طمعا ورجاءً، علّه يهتدي للحق، قال تعالى: ﴿ وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾

1 \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 29/2 .

2 \_ الزمخشري، الكشاف، 84/4 .

يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّابِتْ إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ مَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُمُ الْبَنُوتُ لِمَ تَنْتَهُ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴿ (مریم) .

كما نرى في وصية لقمان لابنه، أعظم منهج تربوي يعتمد الحوار بالتعليم والتذكير بالحكمة والموعظة الحسنة ذكره القرآن الكريم، فلا داعية ولا مربّي ولا معلم، إلا ويجد في هذه الوصية ضالته المنشودة، ولذلك سُميت السورة باسمه، لما آتاه الله من الحكمة ولم يكن نبيا ولا رسولا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِي إِلَهًا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ (لقمان)، إن إقبال لقمان على توجيه ابنه، وتذكيره له بلطف قول وألين موعظة، قد أحاط وشمل جميع المجالات التربوية، أما تذكيره بتوحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، كون الشرك بالله ظلم عظيم، خاص بالجانب الإيماني والإسلامي، وأما الجانب الاجتماعي فكان بتذكيره له ببذل الحقوق لمن له عليه حق، وأن أولها برّ الوالدين، لما لهما من حق بعد حق الله تعالى، ثم وصيته له بأداء الواجبات دون إفراط ولا تفريط، وذلك ليتعلم بالأخلاق والآداب الفاضلة فنّ التعايش في الحياة مع الآخرين، بعد أن يفهم حقيقتها، ويسعى للخوض في غمارها .

وإن في هذا الأمر، إشارة لعدم اليأس من دعوة المتفلت عن الحق، أو غير المتفلت، بالدعوة والتعليم والتذكير بالموعظة الحسنة واللين، واستغلال أي موقف أو فرصة علّه يكون عن طريقها من الأوابين المتميزين، وهذا ما يجب على المرّين خاصة التزامه والعمل به، لما له من نفع على المؤمنين خاصة، وتلك هي النصيحة

التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيهها لكل مسلم، فقال: {الدِّينُ النَّصِيحَةُ}، قلنا لمن؟ قال: {لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم} <sup>1</sup>، لأن "من أهم وأبرز أساليبه صلى الله عليه وسلم في التعليم، الوعظ والتذكير، اقتداءً بالقرآن، في قوله: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات)، وقوله: ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ (الغاشية)، وكثير من تعليماته صلى الله عليه وسلم، إنما أخذت منه في مواعظه وخطبه العامة" <sup>2</sup>، لذلك، فالتذكير "درس لا ينتهي أبداً، مهما كانت حالة المؤمن من الإيمان،.. فلا بدّ من التذكير الدائم حتى للمؤمنين، والله هو خالق هذه الفطرة، والعليم بمسارها ومسالكها، وما هي في حاجة إليه لتقويمها وإصلاح ما ينحرف منها،.. لأنه يعلم أن الشياطين إنما تتلقف الغافلين" <sup>3</sup>، كون الإنسان في كل زمان ومكان، مهما كانت مكائته، واشتدّ حرصه على دينه، فهو "بحاجة إلى التذكير من أخيه الإنسان بصفة دائمة، بل هو واجب وحقّ شرعي له، من باب: {الدِّينُ النَّصِيحَةُ}، وفي هذه الأيام تشتدّ الحاجة إلى التذكير، لكثرة المشاكل والمصارف الدنيوية التي أفرزتها الحياة المعاصرة، فكثير ممّا أصبح مشغولاً صباحاً ومساءً بأمور الدنيا، ونسينا وغفلنا عن كثير من الواجبات الشرعية التي تزيدنا قرباً من الله تعالى" <sup>4</sup>.

ومن أعظم ما يُستدلّ به في هذا المقام، حوار النبي صلى الله عليه وسلم التعليمي التذكيري الذي دار بينه وبين ابن عباس رضي الله عنهما، والذي يُعدّ من أهم مرتكزات المنهج التربوي الإسلامي، بحيث يجب على المرّين والمعلّمين اعتماده والتركيز عليه خاصّة، إذ لو رُسخ هذا المعنى في قلوب المتربّين لكفاهم، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال: {يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده يُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه

1 \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: 42، 36/1، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: 23، بيان أن

الدِّينُ النَّصِيحَةُ، ح 95، 44/1، راوي الحديث تميم الداري رضي الله عنه .

2 \_ عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلّم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم، ص 190.

3 \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 30/2 .

4 \_ عبد الرحمن الحازمي، التربية في القرآن الكريم، توجيهات تربوية لبعض آيات القرآن الكريم، ص 223.

الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف}.<sup>1</sup>

## 2\_ الحوار عن طريق الاستفسار والاستدلال:

أن يُقبل السائل أو المستفسر على الداعي أو المرئي، ليستفسر عن أمر أهمه أو أزعجه، بغية طلب الحل له أو الإجابة عنه، مثل ما حدث في سورة المجادلة، فإن أتى السائل أو المستفسر بنفسية متأثرة، وأفكار مشتتة، وانزعاج مُحبط، ليعبر عما في نفسه، كان لزاما على السامع أن يحترم مشاعره ويفهمه، وأن يهتم لأمره ويُحسّ به وقد يواسيه، ويتقبله أثناء حوارهم معه، وألا يملّ من حديثه وإن طال، وأن يُحاوره بالتّي هي أحسن، لأن ذلك كله يبعث الأمان والطمأنينة في نفس السائل، لشعوره بتفهم السامع له، وإدراك بغيته منه، وهذا ما يجب على المرّين خاصّة أن يُطبّقوه تجاه من يتولّون رعايتهم وتربيتهم، إذ في مثل هذه المواقف يكون بثّ التذكير بالله أرسخ في النفس وأنفع، لما للسائل من استعداد نفسي حينها في تقبل ما يُوجّه إليه، لأن استغلال الأحوال والمواقف للدعوة إلى الإيمان والتوحيد، بالتربية والتوجيه عن طريق الحوار، خاصة إذا زاد المسؤول الفائدة فوق ما احتاج إليه السائل، يُعدّ منهجا قرآنيا سنّيا، تربويا تعليميا دعويا ناجحا، فقد استغلّ يعقوب عليه السلام سؤال ابنه يوسف له، في استفساره لرؤيا رآها، بأن بثّ فيه روح الإيمان بالله والتعلّق به، والتوكّل عليه، وردّ كل أمر إليه، كونه المنعم بعلمه وحكمته، وأن عداوة الشيطان للإنسان تبقى قائمة، وأن نزغهُ يطال أقرب الناس كالإخوة، فقال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾<sup>١</sup> وكذلك يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ (يوسف)، وبهذا الحوار التربوي التعليمي الذي كان بألف العبارات وأحسنها، رسخت في قلب يوسف عليه السلام كل كلمة قالها له والده أثناء حوارهم معه، فوعاها قلبه وأيقنتها نفسه في صغره، ليردّها في كبره قائلا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنَّ نَزَّغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا

<sup>1</sup> \_ تمّ تخرّيج الحديث، ص 130 .

يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١١٠﴾ (يوسف)، كما نلاحظ أيضا استغلال يوسف عليه السلام هو الآخر لموقف السجينين معه، نحو دعوته لهما إلى الإيمان بالله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، ليضيف عنصر المساءلة لهما، إثارة للانتباه، وبث التشويق في نفسيهما لحرصهما على الجواب، وترسيخه في النفوس، وذلك قبل مباشرته تأويل رؤيائهما، قال تعالى: ﴿يَصْحَبِي اللَّيْلُ وَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١١١﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (يوسف).

ومثال ذلك من السنة ما أخرجه الترمذي، في اغتنام معاذ بن جبل رضي الله عنه قربه من النبي صلى الله عليه وسلم، وإقباله عليه لمساءلته عما شغله، في قوله: "كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟ قال: {لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرک به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت} ثم قال: {ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل}، قال: ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴿١٦﴾﴾ (السجدة)، حتى بلغ ﴿يعملون﴾ (السجدة 17)، ثم قال: {ألا أخبرك برأس الأمر كله، وعموده وذروة سنامه؟}، قلت: بلى يا رسول الله، قال: {رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد}، ثم قال: {ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟}، قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: {كفّ عليك هذا}، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: {ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم} <sup>1</sup>، وإن من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المرثي والمعلم، أن زاد معاذ رضي الله عنه عن جوابه بما يوجب دخول الجنة، فما من خير إلا دلّه عليه، وما من أمر عظيم إلا وأخبره به، مستعملا في كل مرة عنصر التشويق عند مساءلته ثم إجابته، فكان غرضه صلى الله عليه وسلم من هذا الحوار التربوي التعليمي، أن يشدّ انتباهه، ليرسخ هذا الأمر الجليل في قلبه وعقله، وهذا منهج تربوي عظيم، وأسلوب في التربية بليغ، إذ يجب على المرثي استغلال

<sup>1</sup> \_ أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، كتاب الإيمان، باب: 8، ح 2616، 362/4، 363، رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه.

استفسار المتربّي له، وليكن على يقين بأن هذا المتربّي سيستجيب له ويتجاوب معه، وأن كل ما يسمعه من خلال هذا الحوار التربوي سيُرسخ في قلبه، وذلك بناءً على فرط حاجته لهذا الأمر الذي دفعه للاستفسار والسؤال، وهنا تكمن فرصة المتربّي في بث كل ما له صلة بالموضوع المراد الاستفسار عنه، دون أن يغفل عن دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، وكل ما يبني الثقة بينه وبين من يُربّي.

من خلال ما مرّ معنا، نستطيع استنتاج الفرق بين القول والحوار وفق ما يأتي:

الحوار مراجعة الكلام بين شخصين، يتداولان موضوعاً مُوحّداً، قد شكّل الحوار من أجله، ليمتاز بالهدوء، والبعد عن الخصومة والتعصّب أثناء تبادل الآراء ووجهات النظر، أما القول فقد تتوفر فيه هذه الشروط إذا كان هادفاً، وقد لا تتوفر إن كان مجرد قول، كما أنه يحصل بين اثنين فما أكثر عكس الحوار التربوي الهادف.

إن الحكمة من وجود طرفين فقط في الحوار التربوي، تقتضي الإنصات والمتابعة والاهتمام المتبادل والثقة بين المتحاوَرين، لأن إبراز المكنون بما في النفس، والإفصاح عنه بكل حرّية وطلاقة، يجعل من الحوار أبلغ من أن يزيد العدد على اثنين، كون ذلك يشتت الانتباه، ويقلّل الاهتمام والتركيز، ويقيد عن الإفصاح والاستفسار، ويوقع في الحرج والنفور.

اعتماد الحوار عنصر التشويق المبني على العقل والعلم والحجج، لجذب انتباه السامع للموضوع المراد الخوض فيه بغية إقناعه، وذلك عن طريق السؤال والجواب، والأخذ والردّ، بطريقة متكافئة أثناء تداول الحديث، بحيث يحترم كل واحد منهما دور صاحبه أثناء الحديث والإصغاء، وهذا من لوازم حصول الحوار، لكن القول لا يحتاج لكل ذلك حتى يتمّ، كونه قد يحدث بطريقة عشوائية.

استخدام العبارات المؤثرة، والمليئة بالرفق والرحمة، عند اعتماد أسلوب الحوار بالموعظة الحسنة، أثناء التربية والتوجيه، كما وردت في القرآن ب: يا بنيّ، يا أبت، يا صاحبي السجن، .. أي المصحوبة ب (يا) النداء، وهذا ما يفتقر إليه القول في عمومه عادة إذا خرج عن هذا الغرض.

الحوار لا يُشترط فيه حصول نتائج فورية، وإمّا تتأتّى عادة بعد التفكير والتأني، كون الهدف من الحوار هو بيان الحق وتبليغه، وليس انتصار المحاور لنفسه، أما القول فقد لا يتطلّب كل هذا.

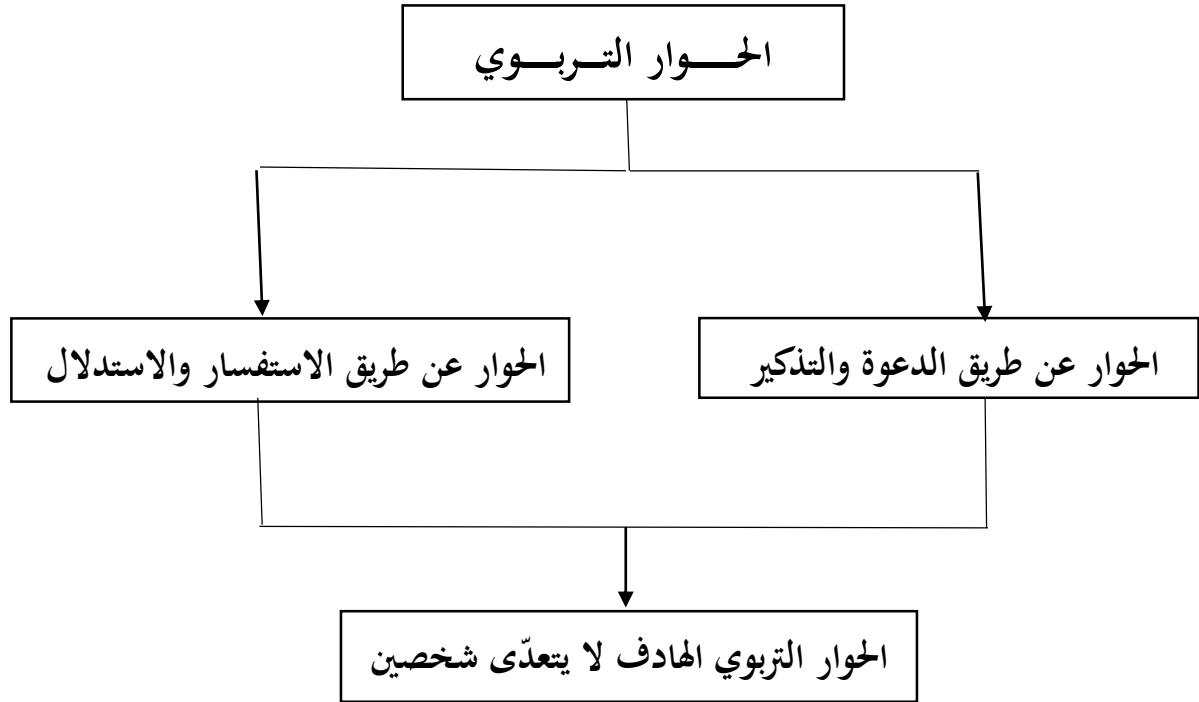
أن يكون الحوار أسلوباً تربوياً، محققاً لهدف المنهج التربوي الإسلامي، يعتمد أساساً على التذكير والاستفسار، ويكون عادة بين الأعلام ومن دونه، فإذا استوفى القول هذه الشروط فهو حوار، وإذا خرج عن هذين الأمرين صار قولاً عادياً.

إن معرفة نوعي الحوار من تذكير أو استفسار، يسهل على المربين أو المعلمين انتقاء أصح أسلوب للتربية والتعامل مع من يتولون تربيتهم وتعليمهم، بعد تشخيص المترتب، من خلال معرفة شخصيته وموقفه تجاه الحدث الواقع، ومعرفة مدى استعداده للتغيير عن طريق الإقبال أو العناد والرفض.

استغلال المواقف والأحوال للتذكير بالله، أثناء التوجيه والتغيير عن طريق الحوار التربوي، مع التحلي بالصبر الذي لا يُخالجه يأس، والمصحوب بالرجاء في الهداية دون شك.

كل حوار تربوي عبارة عن قول، وليس كل قول عبارة عن حوار تربوي، كون القول عامّاً، والحوار خاصّاً. ويتبين ذلك من خلال هذا المخطط، كما يأتي:





مخطط توضيحي لبيان أسلوب التربية بالحوار

## المطلب الثاني: أسلوب الترغيب والترهيب

لقد خلق الله تعالى الخلق، وبعث فيهم الرسل مبشرين ومنذرين وفق منهج رباني، مبينين لهم في ذلك كل أمر ونهي، وما يترتب عليه من وعد ووعيد في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء)، أي: "أرسلتهم رسلا إلى خلقي وعبادي، مبشرين بثوابي من أطاعني، واتبع أمري، وصدق رسلي، (ومنذرين) عقابي من عصاني، وخالف أمري، وكذب رسلي، ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾، يقول: أرسلت رسلي إلى عبادي مبشرين ومنذرين، لئلا يحتج من كفر بي وعبد الأنداد من دوني، أو ضلّ عن سبيلي، بأن يقول إن أردت عقابه ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ (طه)، فقطع جل ثناؤه حجة كل مبطل ألد في توحيدده، وخالف أمره، بجميع معاني الحجج القاطعة عُذره"<sup>1</sup>، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف)، أما أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، "فهكذا كانت حاله عليه الصلاة والسلام، لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر، كما قال عبد الله بن مسعود: إذا سمعت الله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فأرعاها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه، ومن أهم ذلك وأعظمه، ما بعثه الله به من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن عبادة من سواه، كما أرسل به جميع الرسل قبله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل)<sup>2</sup>، لقد أوكل الله تعالى مهمة البشارة والإنذار لجميع الرسل عليهم السلام، وخصّ بالخطاب رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (البقرة)، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الفرقان)، فكان الأمر باتّباع

<sup>1</sup> \_ الطبري، جامع البيان، 292/7، 293 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 414/6 .

تعاليمه صلى الله عليه وسلم من أمر ونهي، لإصلاح الناس وتوجيههم، هو المنهج التربوي الإسلامي الذي يجب نفعه، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧﴾ (الحشر)، أي: "مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر"<sup>1</sup>، من خلال هذه الآيات، نستطيع القول بأنه "من أجل أساليبه صلى الله عليه وسلم في التعليم، الترغيب في الخير الذي يدعو إليه، والترهيب عن الشر الذي يُحذّر منه، فكان صلى الله عليه وسلم يُرغّب في الخير بذكر ثوابه، والتنبيه على منافعه، ويُرهب عن الشرّ بذكر عقابه، والتنبيه على مساوئه، وكان يجمع في أحاديثه بين الترغيب حيناً، والترهيب حيناً آخر، وما كان يقتصر على الترهيب فيؤدّي إلى التنفير، ولا على الترغيب فيؤدّي إلى الكسل وترك العمل."<sup>2</sup>

فكان من بين الأساليب الوارد ذكرها في القرآن الكريم، والتي اعتمدها الأنبياء والرسل في أنفسهم وفي دعوتهم إلى الله، وتوجيههم لأفكار وسلوك أقوامهم وإصلاحها، أسلوب الترغيب والترهيب الذي يُعدّ من أهمّ أساليب المنهج التربوي الإسلامي، والذي يعتمده المهتمّون بالدعوة والتربية والتعليم، لما فيه من التشويق إلى معرفة الحق، والاستجابة له، والثبات عليه، والسعي في طلب تحقيقه، طمعا في رضا الله، وخوفا من غضبه وسخطه في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَرَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ٨٩﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَوَجَّهْنَا لَهُمُ الْإِسْلَامَ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ٩٠﴾ (الأنبياء)، أي: يُسارعون "في عمل القربات وفعل الطاعات، .. رغبا فيما عندنا، ورهبا ممّا عندنا"<sup>3</sup>، لذلك، "بني هذا الأسلوب التربوي الإسلامي، على ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة واللذة والنعيم والرفاهية وحسن البقاء، والرّهبة من الألم والشقاء وسوء المصير، .. لكن الله ميّز الإنسان .. بالقدرة على التعلّم والاعتبار والتفكير لما بعد الفترة التي يعيشها، والعمل والتحضير للمستقبل، والتمييز بين الضارّ والنافع والاختيار بينهما، عاجلا حيناً، وأجلا حيناً آخر."<sup>4</sup>

1 \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 485/13 .

2 \_ عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم، ص194.

3 \_ ابن كثير، المرجع نفسه، 439/9 .

4 \_ عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبه، ص288.

ولما كان الإيمان باليوم الآخر إيمان بالغيب، جعل الله تعالى الجنة جزاءً لمن خشيه و اتقاه، طمعا في مرضاته، وخوفا من عذابه، فكان هذا "الخوف والرجاء بقوّتهما تلك، وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري كله في أعماقه، يوجّهان في الواقع اتّجاه الحياة، ويحدّدان للإنسان أهدافه وسلوكه، ومشاعره وأفكاره، فعلى قدر ما يخاف، ونوع ما يخاف .. وعلى قدر ما يرجو، ونوع ما يرجو .. يتّخذ لنفسه منهج حياته، ويوفّق بين سلوكه وبين ما يرجو وما يخاف، .. والتربية الناجحة توقع على هذين الوترين ما يربّي النفس، ويشفيها من انحرافها، ويقوّيها ويقوّمها، ويضعها في وضعها الصحيح." <sup>1</sup>

وعلى هذا الأساس، كان توجيه الإنسان وتربيته، لا يقتصر على أسلوب الترغيب وحده، أو التهيب وحده، كون المنهج التربوي الإسلامي بتميّزه المتكامل والمتوازن بين طبيعة الإنسان \_ مع مراعاة الفروق الفردية \_ وتنوّع المواقف والحالات، يستوجب اختيار أصح أسلوب يتوافق مع كل شخصية وانفعالاتها في نفس الموقف، ليُشكّل في النفس توازنا واعتدالا، يجمع بين العمل والترك، وبين الخوف والرجاء، لأن الشوق إلى معرفة الشيء يبعث على زيادة الاهتمام به، رغبة في الحصول عليه، كما أن الرهبة منه تبعث على تجنّبه وتركه، لذلك، كان لأسلوب الترغيب والتهيب تأثير كبير في التربية والإصلاح، خاصّة إذا اقترنت الحكمة والموعظة الحسنة فيه بكل ما يتضمّن التربية بالتشويق كالقصة والمثل واستثارة الانتباه والفضول العلمي وغيرها، مما يُتربّب المعنى للأذهان، كون القصة من الأساليب التي لها من التأثير البالغ على تغيير الأفعال والانفعالات، ما يُحدّث في النفس تفاعلا عند ذكر أخبار الأمم والمجتمعات الماضية، خاصة إذا كان القاصّ المرثي يتميّز بقدر واسع من المهارة في إلقائها، أثناء معالجتها لقضية هامة بالنسبة للسامع، فهي وسيلة هامة لغرس الفضائل والقيم من خلال التربية والتعليم، فكثيرا " ما كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه بطريقة القصص، والوقائع التي يُحدّثهم بها عن الأقوام الماضين، فيكون لها في نفوس سامعيها أطيّب الأثر وأفضل التوجيه، وتحظى منهم بأوفى النشاط والانتباه، وتقع على القلب والسمع أطيّب ما تكون، .. وقد سنّ الله تعالى هذا الأسلوب الكريم في تعليمه لنبيّه صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾

<sup>1</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 127/1، 128.

(هود)<sup>1</sup>، ومن هذا الباب، ولإنجاح العملية التربوية، استطاع الواعظون والمرّبون "أن يُكَيّفوا عرض القصّة بالأسلوب الملائم الذي يتناسب مع عقلية المخاطبين، كما أنّهم يستطيعون أن يستخرجوا من القصّة أهمّ مواطن العبرة والعظة،.. ليكون التأثير أبلغ والاستجابة أقوى،.. إذا فما على المرّبّي إلا أن يستغلّ انفعال العاطفة، ومثار الانتباه في عرض القصّة لدى السامع، حتى إذا تفاعل روحياً، وتفتّح ذهنياً، صبّ في مشاعره، وأحاسيسه، وأعماق قلبه من معين العبرة، وسلسيل العظة، وإذا هو مدّعن، ملتزم، خاشع، محبب لله ربّ العالمين، وعندئذ يأخذ المرّبّي عليه العهد ليلتزم الإسلام منهاجاً وتشريعاً، ويتخلّق بمبادئ هذا الدّين سلوكاً ومعاملة،.. وهكذا يستطيع المرّبّي الواعظ أن يُضفي \_بأسلوبه الشّيق واستجلائه مواطن العبرة\_ على القصّة جلالها، وأن يترك في النفوس أثرها، وأن ينقل السامع إلى أجواء الطهر والروحانية والخشوع"<sup>2</sup>.

أما المثل الوارد ذكره في القرآن والسنة، والذي يُعدّ من أبرز أساليب المنهج التربوي الإسلامي، فمعناه "أن تُشبه شيئاً بشيء، وتُلحق خفياً بجليّ، لتوضّحه وليستقرّ في ذهن السامع، كأن تُشبه شخصاً غير معروف بشخص معروف"<sup>3</sup>، يقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (العنكبوت)، ويقول: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزمر)، ويقول أيضاً: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (الروم)، لذلك فإن "ضرب المثل يكون لإثارة الانتباه والإحساس، فيُخرجك من حالة إلى أخرى، كذلك المثل: الشيء الغامض الذي لا تفهمه ولا تعيه، فيضرب الحق سبحانه له مثلاً يوضّحه ويُنبّهك إليه،.. إذن فالمثل يأتي لئنبّه الناس، وليوضّح القضية غير المفهومة"<sup>4</sup>، وهذا لإثارة التشويق عند استعمال أسلوب الترغيب أو الترهيب بالمثل أثناء التربية أو التعليم، لذلك كان "صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحيان، يستعين على توضيح المعاني التي يريد بيانها بضرب المثل، ممّا يشهده النَّاسُ بأبصارهم، ويتذوّقونه بألسنتهم، ويقع تحت حواسّهم، وفي متناول أيديهم، وفي هذه الطريقة

1 \_ عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلّم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم، ص194.

2 \_ عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط3، 1989م، 711/2.

3 \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 11548/18.

4 \_ متولي الشعراوي، المرجع نفسه، 8898/14، 8900.

تيسير للفهم على المتعلم، واستيفاء تامّ سريع لإيضاح ما يعلمه أو يُحذّر منه، وقد تقرّر عند علماء البلاغة، أن لضرب الأمثال شأنًا عظيمًا في إبراز خفيات المعاني، ورفع أستار محجّبات الدقائق، وقد أكثر الله سبحانه من ضرب الأمثال في كتابه العزيز، واقتدى النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بالكتاب العزيز، فكان يُكثر من ذكر الأمثال في مخاطباته ومواعظه وكلامه.<sup>1</sup>

وعلى هذا الأساس، نستطيع القول بأن لأسلوب الترغيب والترهيب في التربية والتعليم، فضل في تحقيق الهدف الذي يصبو إليه المنهج التربوي الإسلامي، والمتمثل في الالتزام بمنهج الله تعالى، لرفعة الإنسان وفوزه في الدنيا والآخرة، وذلك من خلال السعي لحفظ جسم المتربّي وعقله وروحه، وحفظ ما أودع الله فيه من طاقات ودوافع، وتوجيهها نحو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لذلك، لما أمرنا الله تعالى بأمر قد بينها في القرآن والسنة، ورغبنا في إتقانها ما استطعنا، بين لنا جزاء من آتاه في الدنيا والآخرة، ولما حذّرتنا من أمور وبين لنا مساوئها وأضرارها، نهانا عن قربها، فإذا ما خالف العبد أمر ربّه، استحقّ العقوبة الدنيوية والأخروية، ولتحقق التربية بالترغيب والترهيب هذه الغاية، كان تعزيز هذا الأسلوب بالقصص والأمثال الممزوج بعنصر التشويق، أسلوبًا فعّالًا في تغيير المفاهيم والعقليات والسلوك، ما يعين المرثين على توجيه الأفراد وإصلاحهم بالتدرّج وفق الأحداث والوقائع، مراعين في ذلك اختلاف العقول والطبائع، من حيث قدرة المتربّي على الفهم والاستيعاب، وقوّة النباهة وسرعة الاستجابة، لكن الإشكال الذي نحياه الآن، هو أننا نواجه واقعا تضاربت فيه الاختلافات، وتسارعت فيه المعلومات وتضاعفت، نتيجة الوسائل الإعلامية والاتصالية والإلكترونية، هنا نتساءل: هل التربية بأسلوب الترغيب والترهيب في زمننا الذي تغيّرت فيه المفاهيم والعقليات، هو نفس الأسلوب الذي طُبّق في عهد الصحابة ومن بعدهم وفق المنهج التربوي الإسلامي؟ للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها، لا بدّ من العودة للكتاب والسنة، كما يأتي:

### أولا : التربية بالترغيب

يكون الترغيب عادة بتوجيه البشري لمن آمن بالله وعمل صالحا، طمعا في رضوان الله تعالى ورحمته، وتحقيقا للوعد بالجزاء، وهذا ما أشار إليه الأستاذ النحلوي في تعريفه قائلا: "الترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء

<sup>1</sup> \_ عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم، ص112، 113.

بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة، أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده.<sup>1</sup>

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ<sup>٤٥</sup> فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأنعام)، لما كانت مهمة الرسل هي البشارة والإنذار، فإن البشارة: "هي الإخبار بما يسرّ قبل أن يقع، والسبب في البشارة هو تهيئة السامع لها، ليبادر إلى ما يجعل البشارة واقعا، بأن يمثل إلى المنهج القادم من الإله الخالق."<sup>2</sup>

لقد خلق الإنسان وقد جُبل على حب ما فيه نفعه، مما يبعث في نفسه الأمن والاطمئنان، كما جُبل على النفور من كل ما يضرّه، ويبعث في نفسه الخوف والحزن، فكان من فضل الله علينا، أن جعل من المنهج التربوي الإسلامي وأساليبه التربوية الفعالة دافعا على فعل الطاعات والقربات، واحتساب المفاصد والآثام، لذلك، فالتشويق بالجزاء الدنيوي والأخروي عن طريق التربية بأسلوب الترغيب باعث قويّ على تصحيح المفاهيم، وتغيير السلوك، وإصلاح الأفراد، من خلال دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى وإخلاص العبودية له، والرضا بقضائه وقدره والتوكل عليه، وامتنال أوامره وترك نواهيه، رغبة في رضاه وطمعا في رحمته، قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا<sup>٤٥</sup> وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَيَسْرَجًا مِّنِيرًا<sup>٤٦</sup> وَيَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام)، ويكون ذلك باقتفاء أثر المعلم والمربي الأول محمد صلى الله عليه وسلم، بعد الإيمان به وتصديق سنته، فقد قال فيه تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ<sup>٧</sup> وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (الشرح)، والرغبة هنا بمعنى: "طلب حصول ما هو محبوب،.. وتقديم (إلى ربك) على (فارغب)، ليعم كل ما يرغبه النبي صلى الله عليه وسلم، وهل يرغب النبي إلا في الكمال النفساني، وانتشار الدين، ونصر المسلمين"<sup>3</sup>، وبهذا أخبرنا الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه، في حوار دار بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فعن "أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم \_ومعاذ رديفه على

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 287.

<sup>2</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 3627/6 .

<sup>3</sup> \_ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 418، 417/30.

الرحل\_ قال: {يا معاذ بن جبل}، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: {يا معاذ بن جبل}، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، (ثلاثا)، قال: {ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار}، قال: يا رسول الله أفلا أُخبرُ به النَّاسُ فيستبشروا؟ قال: {إِذَا يَتَكَلَّمُوا}، وأخبر بها معاذ عند موته تأمُّماً.<sup>1</sup>

من هذا الحديث، نستنتج بأن تشويق النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه، حين ناداه مرارا، قصد إثارة فضوله، وتطلُّعه لما سيدلي له به، ولشدَّ انتباهه واستعداده لما سيسمعه منه، وإن حرصه صلى الله عليه وسلم على ذلك كَلَّه، كان لبيان أهمية هذا الأمر العظيم الذي سيخبره عنه، وهو ترغيبه في الشيء الذي يُؤمِّن العبد من عذاب الله، ألا وهو توحيد الله تعالى، وعدم الشرك به، وإخلاص العبادة له، وفي هذا دعوة للمربيين والمعلِّمين أن يعمدوا إلى التنوُّع في تشويق من يتولَّون تربيتهم، لإنجاح عمليتهم التربوية، لكون ذلك دافعا وتحفيزا لهم على الإصغاء للموضوع، والاهتمام به، ثم الرغبة في القيام به، ثم الحرص عليه، لأهميته ومكانته عند الله تعالى، طلبا لثوابه، وطمعا في رحمته.

ومن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ندرك بأن الترغيب بذكر الثواب والجزاء، يكون من خلال البشرى بإصابة الخير في الدنيا، والفوز بالجنة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٢﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (فصلت)، فلقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في قيام رمضان، لما له من فضل كبير في تكفير الذنوب والخطايا، فقال في الحديث الذي أخرجه الترمذي، "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله يُرغَّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، ويقول: {من قام رمضان إيمانا واحتسابا، عُفِر له ما

<sup>1</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: 49، ح128، 62/1، 63، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان،

باب: 10، من لقي الله بالإيمان، وهو غير شاك فيه، دخل الجنة، وحُرِّم على النار، ح53، 37/1.



تقدّم من ذنبه {<sup>1</sup>، وأما الترغيب في الجزاء، فيكون في الدنيا والآخرة، وهذا ما سنأتي على بيانه من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية:

## 1\_ الجزاء الديني:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ (المائدة)، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴿٥٥﴾ (النور)، وقال تعالى أيضا مخبرا عن دعوة نوح عليه السلام لقومه، وترغيبه لهم في جزاء الله تعالى في الدنيا، إن هم عبدوا الله واتقوه واستغفروه، وغيروا سلوك الفساد إلى الصلاح، قائلا: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٣﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّضْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ (نوح)، وقال أيضا: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ (نوح)، كما يرغب الله في الصدقة ليربي الناس عليها، فضرب تعالى لنا في كتابه مثلا في تضاعف أجرها وثوابها، فقال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ (البقرة)، كما يرغب النبي صلى الله عليه وسلم في التمسك بالدين، والصبر والثبات عليه، والموت في سبيله، بزقه للصحابي الذي لاقى هولاً من المشركين، بشرى إتمام هذا الدين والتمكين له في الأرض، بذكره صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة - وقد لقبنا من المشركين شدة - فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال: { لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار

<sup>1</sup> \_ رواه الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب: الصوم، باب: 83، الترغيب في قيام رمضان، ح 808، 161/2.

على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله}."<sup>1</sup>

## 2\_ الجزء الآخرى:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (البقرة)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥١﴾﴾ (النساء).

ومن أحاديث التربية بالترغيب فى الجزء الآخرى بسبب التوحيد، ما حدث به أبو ذر رضى الله عنه حين قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيتهُ وقد استيقظ فقال: {ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة}، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: {وإن زنى وإن سرق}، قلت: وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر؟ وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر."<sup>2</sup>

لقد ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على الإيمان والعمل الصالح، ورغبهم فيما أعده الله تعالى لعباده الصالحين يوم القيامة، فذكر فى هذا الحديث القدسي، "عن أبي هريرة رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تبارك وتعالى: {أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا

---

<sup>1</sup> \_ رواه البخاري فى صحيحه، كتاب: المناقب، باب: 29، ح 3852، 3، 55، وأبو داود فى معالم السنن، كتاب: الجهاد، باب: 97، الأسير يُكره على الكفر، ح 2649، 3، 76 .

<sup>2</sup> \_ أخرجه البخاري فى صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: 1، ح 1237، 1، 383، وكتاب: بدأ الخلق، باب: 6، ح 3222، 2، 427، وكتاب: اللباس، باب: 24، ح 5827، 4، 61، وكتاب: الاستئذان، باب: 30، ح 6268، 4، 145، وكتاب: الرقاق، باب: 13، ح 6443، 4، 180، 181، ومسلم فى صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: 40، ح 153، 154، 1، 56، وكتاب: الزكاة، باب: 9، ح 32، 1، 442، 443، والترمذي فى جامع الكبير، كتاب: الإيمان، باب: 18، ح 2644، 4، 384.

خطر على قلب بشر}، قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۗ﴾ (السجدة).<sup>1</sup>

## ثانيا : التربية بالترهيب

لما كانت النفس البشرية في إقبال وإدبار، وتقبل ونفور، واستعداد وتخاذل، كان المنهج التربوي الإسلامي في تعامله مع النفس البشرية، يهدف إلى الجمع بين الأساليب كلّها، لتربيتها وإصلاحها، فكان التخويف بالعقوبة في الدنيا والآخرة لمن تغلّت عن أمر ربّه، أسلوب تربويّ توجيهي، إذ لو علم المذنب هول العقاب، لما أقبل الظالم على ذنب أبداً، ولما كان الاتكال على الترغيب فحسب، لميل النفس له، يبعث على الكسل وترك العمل، كان "الترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على إقرار إثم أو ذنب ممّا نهي الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة ممّا أمر الله به، أو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية، ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب المفوات والمعاصي"<sup>2</sup>، قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ أُثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَجِدٌ ۖ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ۗ﴾ (النحل)، جاء في تفسير هذه الآية، أن الله تعالى يقول: "وقال الله لعباده: لا تتخذوا لي شريكاً أيها الناس، ولا تعبدوا معبودين، فإنكم إذا عبدتم معي غيري جعلتم لي شريكاً، ولا شريك لي، إنما هو إله واحد ومعبود واحد، وأنا ذلك، ﴿فَأَيُّهَا الَّذِينَ هَبُوا﴾ يقول: فأياي فاتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتموني وعبدتم غيري، أو أشركتم في عبادتكم لي شريكاً"<sup>3</sup>، وهذا ما بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم، حين رهب من الشرك الخفي الموصل للشرك الأكبر، فقال في حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، "قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه

<sup>1</sup> - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير سورة 32، باب: 1، ح 4779، 276/3، وفي كتاب: بدأ الخلق، باب: 8، ح 3244، 432/2، وكتاب: التوحيد، باب: 35، ح 7498، 403/4، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: 84، ح 312، 104/1، 105، والترمذي في الجامع الكبير، كتاب: التفسير، باب: 32، ح 3197، 256/5، 257، وباب: 56، ح 3292، 322/5، وابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: 39، صفة الجنة، ح 4328، 691/5، 692.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 287.

<sup>3</sup> - تفسير الطبري، جامع البيان، 246/14.

ونحن نتذكر المسيح الدجال فقال: "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال، قال، قلنا: بلى، فقال: {الشرك الخفي: أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل}.<sup>1</sup>" من الآيات الكثيرة والأحاديث المتعددة، نستطيع القول بأننا في أمس الحاجة إلى أن نربي أنفسنا وغيرنا على الخوف من الله تعالى، حتى لا نتماذى في التفلت أكثر، خاصة ونحن في زمن يعج بالفتن والمصالح المادية المسيطرة على الكثير من الناس بدعوى التقدم والتطور، ممن سحّبوا نحو الشرك وهم لا يشعرون، لذلك، لا بد لنا من معرفة العقوبة الدنيوية والأخروية، التي يستحقها المخالف لأمر الله، لتردع نفسه، ويعود لمنهج الله تعالى، كما يأتي:

## 1\_ العقاب الدنيوي:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۗ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ ۗ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٣٢﴾﴾ (المائدة)، وكذلك ما أخبرنا به تعالى عن قصة العقاب الذي أحقه بني إسرائيل في الدنيا، حين لم ينتهوا عما نهاهم الله عنه من الصيد يوم السبت، واستحلّوا ما حرّم الله عليهم، فقال: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (الأعراف)، وإن الإصابة بالعقاب الدنيوي، يُعدّ سنة الله تعالى في كل من خالف أمره وأشرك به غيره، لذلك كانت تربية الأفراد بتوجيههم وإصلاحهم عن طريق هذا الأسلوب المقرون بالقصص وضرب الأمثال، له من التأثير في التربية ما يُرجى به تغيير المفاهيم والسلوك، خاصة إذا استغلّ الدعاة والمرّبون الوسائل التكنولوجية والإعلامية الحديثة في عرضها للمواضيع التربوية، والتعاليم الدينية، وبثّها للقصص القرآنية، فإذا ما انجذب المتربّون إلى مثل هذه البرامج واستوعبوا ما فيها من عبر وعظات، كان هذا مؤشرا على اكتسابهم حصانة تربوية ودينية، يستطيعوا من خلالها مواجهة كل المتغيّرات والمستجدّات.

<sup>1</sup> \_ أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: الزهد، باب: 21، الرياء والسمة، ح4204، 613/5، 614.

## 2\_ العقاب الأخرى:

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَلَّخُدُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ (الكهف).

وأما حديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر، فما روي "عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {أتدرون من المفلس}، قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وركّاته، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيقتصّ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يُقتصّ ما عليه من الخطايا، أُخِذَ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طُرِحَ في النار"<sup>1</sup>، لقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه مثلاً، بيّن لهم من خلاله أهمية هذا الأمر الذي سيخبرهم عنه، ويرهبهم منه، فكان شدّد انتباههم عن طريق التشويق أثناء سؤاله لهم، دليل على الأهمية البالغة لهذا الموضوع الذي أراد ترسيخه في قلوبهم وتربيتهم عليه، وهذا هو منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم، والممزوج بالرفق والرحمة، فكان أقرب في تربيته بالترغيب منه على التهيب، لما في التهيب من صدّ ونفور، "فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا}<sup>2</sup>، وهذا هو المنهج الذي يجب على المرّين اتّخاذه لإنجاح العملية التربوية، ليعودوا بالمرّين إلى أصلهم وفطرتهم شيئاً فشيئاً، كون اختيار أيسر السبل في الترغيب بما يوافق المنهج الإسلامي، أفضل من التهيب المفضي إلى الترك واليأس، وذلك، بتفنّن المرّّي في جعل أسلوب التهيب أثناء التربية غير مباشر، خوف السامة والنفور لما له من وقع على النفوس، ثم إبداله بأسلوب سلس ممزوج بقصة أو مثل، يجعل من المرّّي في شوق لسماعه، وعزم على تركه، ولإنجاح هذه العملية، يجب على المرّين أن يستعينوا بكل الوسائل التربوية، وأن يُحسنوا استعمالها كيفما كانت، لأن استغلال الوسائل التكنولوجية التي ينظر إليها بعض المرّين على أنها معاول هدم وفساد، يجب أن يكون التعامل معها من جانب الأخذ

1 \_ أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، كتاب: القيامة، باب: 2، ح2418، 217/4، 218، رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

2 \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: 11، ح69، 42/1، رواه الحديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

بإيجابياتها ومنافعها وتوجيهها نحو الإصلاح، كون تأقلم الأفراد مع هذه التقنيات وتعودهم عليها، يجعل من التربية عن طريقها أسهل، وإيصال الفهم للعقول أقرب، والتأثير في النفوس أبلغ، بأقصر وقت، وأقل مجهود، وهذا ما يجعل الهدف من التربية وإن تنوعت الأساليب، يتحقق في أي زمان ومكان.

وأخيرا نخلص في هذا المبحث، إلى أن التربية بالتشويق وإن تعددت أساليبه، فقد اخترنا أهمها وأبلغها نجاحا، ليلتحق كل ما له علاقة بعنصر التشويق ضمنها، فكان أسلوب الحوار وأسلوب الترغيب والترهيب، من أهم الأساليب التشويقية تحقيا وإنجاحا للعملية التربوية، من حيث زرع الثقة بين المرين ومن يتولون تربيتهم، في رفع المعنويات، وإيقاظ الهمم بالتحفيز والاستقصاء، وشد الانتباه وإثارة الفضول، وبعث الأمل في النفوس، خاصة إذا تماشى كل ذلك وتساير وفق متغيرات العصر ومتطلباته، كون التقدم التربوي وفق المنهج الإسلامي، يُعدّ السبيل الأساسي للتقدم العلمي والصناعي، وبه يكون التميز الفردي والجماعي، لما للتربية من أهمية كبرى في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم.

## المبحث الثالث: التربية بالحرص على التوجيه الرشيد

لا بدّ لنا من إعداد الأفراد إعداداً صحيحاً يوافق الفطرة الإنسانية والعقل والشرع، ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بالأساليب التعليمية الشاملة والمتوازنة التي رسمها المنهج التربوي الإسلامي، خاصة وأننا في أشدّ الحاجة لمثل هذه الأساليب، لدراستها وفهمها وتطبيقها عملياً، ليكون توظيفها في المجال التربوي ناجحاً، يؤتي ثماره ولو بعد حين، إذ كل إنسان في هذه الحياة دائم الأخذ والعطاء، فالمعلم يبقى دائم الحرص على التعليم والتعلم في آن واحد، كما أن المتعلم يتعلم ليُعلم هو الآخر، وكذا الحال بالنسبة للمربي والمترّبي، لذلك لا بدّ لمن تقلّد مسؤولية التربية ممّن يتولّى رعايتهم، أن يستغلّ كل أساليب التربية خلال عمليته التربوية بما يوافق المنهج الإسلامي، ليتمكّن من مساندة التطورات الحاصلة بفعل التجديد ومتغيّراته، وهذا أمر طبيعي في خلق الله، حيث "يقرّر القرآن أن التطوّر سنّة من سنن الحياة، وأن الله سبحانه وتعالى لا يتوقّف عن إحداث الجديد في الكون، فقال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن)، ولذلك يتوجّب على الإنسان أن يتخطّى حاجز الألفة والعادة، ويتكيّف مع الجديد من (شؤون الله)، وإلا وقع في الحيرة والاضطراب، والأسلوب القرآني في هذا المجال يستغلّ الخبرات البشرية ليتدرّج بالإنسان إلى ضرورة التكيّف مع الجديد، .. والرّسول صلى الله عليه وسلم لم يمنع استحداث ما يوافق هذا التطوّر، وإمّا اشترط أن يكون المستحدث الجديد موافقاً للأصول الإسلامية حتى لا يُصدّم بسنن الخليفة، فقال: {من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فعُملَ بها بعده، كُتبت له مثل أجر من عمل بها، ولا يُنقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيّئة فعُملَ بها بعده، كُتبت عليه مثل وزر من عمل بها، ولا يُنقص من أوزارهم شيء} <sup>1</sup>. <sup>2</sup>

وعلى هذا الأساس، نستطيع القول بأن أساليب المنهج التربوي الإسلامي، وإن تعدّدت وتنوّعت، فإن الهدف من توظيفها واستخدامها، هو إصلاح الفرد وتوجيهه، وتهذيب أخلاقه وبناء شخصيته بناءً إسلامياً، يجعله يعدل بكل قناعة ويقين، عن كل المفاهيم الخاطئة التي تبناها فكرياً، وترجمها سلوكياً

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: 6، من سنّ سنّة حسنة أو سيّئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة،

ح 1017، 1233/2، راوي الحديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

<sup>2</sup> - ماجد عرسان الكيلاني، تطوّر مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ص 60.

بفعل التجديد والتغيّرات، فكان من بين الأساليب التربوية التي مرّت معنا، وتمّ بيانها، تلك التي تعتمد عنصر التشويق، ومدى فعاليته في التأثير النفسي، والإقناع العقلي، بناءً على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأما في هذا المبحث الذي سنبيّن من خلاله نوعاً آخر من الأساليب التربوية، التي تؤتي ثمارها، وتترك آثارها، تلك التي تتميز بالحرص على التوجيه الرشيد من المرّبي، باعتباره القدوة الحسنة لمن يتولّى تربيتهم ورعايتهم، وباعتباره الحريص الأول في اهتمامه بالناحية الأخلاقية والعلمية والعملية للمترّبي، ليمنّنه من خلال تنمية مواهبه، ولوج ميدان الممارسة والعمل، وهذا ما سيكون بيانه وفق كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما يأتي:

### المطلب الأول: أسلوب القدوة الحسنة

لقد خلق الله تعالى الإنسان بطبعه جاهلاً لا يعلم شيئاً، وفطره على اكتشاف وتعلّم كل ما يسمعه ويراه شيئاً فشيئاً، فكان هذا التأثير بكل ما يحيط به، يُعدّ قدوة له، ولما كان للصغار الحظ في التقليد ممّن يكبرونهم، من الذين يحيطون بهم ويخالطونهم، كان للكبار أيضاً نصيب من هذا الاقتداء، وهذا أمر لازم حتمي، إذ "حاجة الناس إلى القدوة نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر أجمع هي التقليد، وهي رغبة ملحة تدفع الطفل والضعيف والمرؤوس إلى محاكاة سلوك الرجل والقويّ والرئيس، كما تدفع غريزة الانقياد في القطيع جميع أفرادهم إلى أتباع قائده واقتفاء أثره."<sup>1</sup>

إن المنهج التربوي بتعاليمه الإسلامية، ومبادئه الدينية الصحيحة، لا يصبح حقيقة عملية بعد كونه نظرياً، إلا إذا تحققت هذه التعاليم والمبادئ على أرض الواقع، لتتحوّل إلى سلوك عملي، وتصرفات واقعية متّزنة، عندها نستطيع القول بأن المنهج التربوي الإسلامي قد حقّق هدفه، وآتى ثماره، بفضل أسلوب القدوة الحسنة إذا تمّ تطبيقه.

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 257، 258.



إذن، فالقدوة الحسنة التي هي من أهم أساليب المنهج التربوي الإسلامي، تُعتبر طريقة فعّالة في نقل المرين للأخلاق التي يتحلون بها، والسلوكات العملية التي يمارسونها، ثم بثها فيمن يتولون تربيتهم، بغية توجيههم وإرشادهم، وإن جودة هذا الأسلوب، تكمن في كون التربية أو التعليم بالفعل العملي الواقعي، أنجح وأبلغ في التأثير، لما له من وقع على النفوس، وفهم لمراد المتربي، إذ التعليم بالبيان العملي المصحوب بالمشاهدة، أقوى رسوخا وحفظا في نفس المتربي وعقله من البيان بالقول فقط، إضافة إلى أن الفائدة من القدوة تطل المتربي لتعم كل من يرى هذا الأمر ويشهده.

من هذا المنطلق، نتساءل: ما هي القدوة الحسنة التي أمرنا الله تعالى أن نقتدي بها، والتي يجب أن نتخذها ملاذا آمنا، نختمي به من كل ما نخشاه ونلقاه، وإن تغير الزمان والمكان؟

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٥١﴾ (الأحزاب)، جاء في تفسير ابن كثير، قوله: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم، في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته، ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين"<sup>1</sup>، وكلمة أسوة في هذه الآية، أي: "قدوة ونموذج سلوكي، والرسول صلى الله عليه وسلم مبلّغ عن الله منهجه لصيانة حركة الإنسان في الحياة، وهو أيضا صلى الله عليه وسلم أسوة سلوك، فما أيسر أن يعظ الإنسان، وأن يتكلم، المهم أن يعمل على وفق منطوق كلامه ومراده، وكذلك كان سيدنا رسول الله مبلّغا وأسوة سلوكية."<sup>2</sup>

لما كانت حاجة العباد ماسّة إلى ما يصلحهم ويرشدهم للخير بعد البعد عنه، وانقطاع الرسل، "بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة للناس ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ٥١﴾ (الأحزاب)، ووضع في شخصه صلى الله عليه وسلم الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، الصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ"<sup>3</sup>، إذ التربية الصحيحة وفق منهج الله تعالى مهما اختلف الزمان والمكان،

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 133/11.

<sup>2</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 11979/19.

<sup>3</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 180/1، 181.

لا تكون إلا بالافتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، و"إذ يجعل الإسلام قدوته الدائمة هي شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو يجعلها قدوة متجددة على مرّ الأجيال، متجددة في واقع الناس، .. إنه يُعرضها عليهم ليُحقّقوها في ذوات أنفسهم، كلّ بقدر ما يستطيع أن يقبس، وكلّ بقدر ما يصبر على الصعود، ..والإسلام يرى.. أن القدوة أعظم وسائل التربية، فيقيم تربيته الدائمة على هذا الأساس".<sup>1</sup>

فالمدرسة النبوية التربوية، المبنية على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة، والتي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، لا قبلها ولا بعدها في هداية البشر، هي أصل المنهج التربوي الإسلامي، الذي يعدّ الملاذ الآمن لمن قصده من المرّين والمعلّمين والدعاة وغيرهم، كيف لا والنبي القدوة الدائمة صلى الله عليه وسلم، كان لا يأمر بأمر إلا وكان أول من يأتيه، ولا ينهى عن شيء إلا وكان أول من ينتهي عنه، ليتأسّى به صحابته من بعده، ولم يأت أمراً قط قد نهي عنه، ولا خالف قوله فعله يوماً، فلقد كان خلقه القرآن، الذي أمره الله فيه أن يقتدي بالأنبياء الذين سبقوه، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ أُقْتَدَ﴾ (الأنعام)، والمعنى: "يقول تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبألهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وقفناهم، (اقتده) يا محمد، أي: فاعمل وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضا، ومنهاج من سلكه اهتدى"<sup>2</sup>، إذن، فالرسل الذين هداهم الله تعالى هم قدوة لنا يجب أن نقتفي أثرهم، ونعمل بهديهم، لقول الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (الممتحنة)، إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الممتحنة)، و"إذا كان هذا أمراً للرسول صلى الله عليه وسلم، فأتمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به".<sup>3</sup>

وكما رد في حديث للعرباض بن سارية رضي الله عنه قال: "صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل:

<sup>1</sup> \_ محمد قطب، المرجع نفسه، 185/1 .

<sup>2</sup> \_ الطبري، جامع البيان، 391/9 .

<sup>3</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 109/6 .

يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: {أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة} <sup>1</sup>، وكذا الحديث الذي يرويه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، "قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: {إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذنين من بعدي}، وأشار إلى أبي بكر وعمر" <sup>2</sup>، هذان الحديثان، يُعدّان أصلا في الاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فأمره صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بسنته، وسنة الخلفاء المهديين من بعده، والتأكيد في الحرص على شدة التمسك بها، ما يبيّن مكانتها وأهميتها، كونها الملاذ الآمن لما سيكون، ونستطيع استنتاج ذلك كما يأتي:

إن ظهور الاختلافات الكثيرة في الأمة الإسلامية بعد النبي صلى الله عليه وسلم، من الغيب الذي أخبرنا به، وحذرنا منه، وإن ما نراه جليا في أمّتنا اليوم، بسبب البعد عن منهج الله تعالى، جزاء انخيار القيم الإسلامية، وتفاقم الأمراض الأخلاقية، وظهور البدع والضلالات، لتصديق لسنته صلى الله عليه وسلم على أنها وحي من الله تعالى، يجب الأخذ بها، والاقتداء بما فيها، والعمل بمقتضاها.

إن شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم من خلال وصيته لنا، في التمسك بسنته النبوية، فلكونها شاملة متكاملة، فيما حوّته وزادت عليه من سنن الرسل قبله عليهم السلام، وذلك من خلال تلبيته صلى الله عليه وسلم لأمر الله تعالى في اقتفاء أثرهم، والاهتداء بهديهم، والاقتداء بهم.

إن السنة النبوية بعد كتاب الله تعالى، تُعدّ المنهج الصحيح الذي من سلّكه اهتدى، ونجا من كل البدع والاختلافات، والفتن والضلالات، بسبب البعد عن الهدى والحق، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: {وقد تركت فيكم ما لن تظّلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله} <sup>3</sup>، ولا تكون النجاة إلا بتربية أنفسنا

<sup>1</sup> \_ تمّ تخريج الحديث، ص89، وص140 .

<sup>2</sup> \_ أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، كتاب: المناقب، باب: 35، ح3663، 43/6، وابن ماجه في سننه، مقدمة، باب: 11 ح97، 117/1، 118، راوي الحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

<sup>3</sup> \_ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: 19، ح1218، 558/1، راوي الحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وأبنائنا على اتباع النهج القرآني، والافتداء بالهدي النبوي، القولي منه والفعلي، وأن الهلاك كل الهلاك، بالتفلسف أو تركهما، لقول "عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((ولو تركتم سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم لكفرتم))، أي: يؤدّيكم إلى الكفر، بأن تتركوا شيئا شيئا منها، حتى تخرجوا من الملة"<sup>1</sup>.

إن الأمر بالحرص الشديد على التمسك بسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بعد سنة النبي صلى الله عليه وسلم، يكمن في كون الصحابة خير جيل يشهده التاريخ، ولكون النبي صلى الله عليه وسلم قدوتهم العملية والواقعية، التي جمعت بين التربية النظرية والتطبيقية، فملازمتهم وصحبتهم وحبهم له، بسبب لينه ورحمته بهم، ومعايشته وقربه منهم جعلهم يقتدون به في أدق الأمور، من كثرة ما رأوا وسمعوا منه، كيف لا يكون ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: {إنما أنا لكم بمنزلة الوالد، أعلمكم}<sup>2</sup>، كل ذلك جعل من الاقتداء به أنجح وسيلة أثرت في إعدادهم أخلاقيا، ونفسيا، وعقليا، واجتماعيا، بحيث حرّكت همهم ودفعت بهم نحو الارتقاء النفسي والسمو الروحي، فصاروا هداةً مهديّين، صالحين مُصلحين، قدوة للعالمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما جعل لهم السبق في كونهم خير القرون التي أعطت ثمارها، وتركت آثارها، فكانوا بذلك خير أمة أُخرجت للناس.

إن الذي مرّ معنا، يجعلنا نتساءل:

هل لكوننا في أشدّ الحاجة اليوم إلى القدوة الحسنة، نظرا لبعثنا عن التعاليم الإسلامية، والأحكام الشرعية، والقيم الأخلاقية، والمناهج الدينية الصحيحة، يجعلنا هذا نتطلّع إلى بروز شخصية حيّة ومثالية، عملية وواقعية، تكون لنا قدوة حسنة يقتدي بها أبناء أمتنا الإسلامية، بدل الشخصيات الخيالية التي

<sup>1</sup> \_ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: 47، ح: 550، 265/1، 266، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب:

الإمامة، باب: 49، ح: 924، 446/1، 447، بلفظ: ((ولو تركتم سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم لضللتهم))،

وبهذا اللفظ أيضا في سنن ابن ماجه، كتاب: المساجد، باب: 14، ح: 777، 85/2، 86.

<sup>2</sup> \_ أخرجه أبو داود في معالم السنن، كتاب: الطهارة، باب: 4، ح: 8، 20/1، وابن ماجه في سننه، كتاب: الطهارة، باب: 16، ح: 313، 279/1.

تهيم بهم في غياهب الأخلاق المقيتة والألعاب المميتة، والأفلام المريعة والصور الخليعة، دون إحساس منهم بالمسؤولية؟ أم أن هناك حلّ آخر؟

قبل الجواب على هذا السؤال، لا بدّ لنا أن نتطرق لأهم العناصر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في العملية التربوية، والتي بتضافرها يحقّق المنهج التربوي الإسلامي هدفه في إعداد الفرد وإصلاحه، ألا وهي: تهيئة المرّي، والمتربّي، والبيئة التي يُطبّق فيها أسلوب القدوة الحسنة، ليكون بيان ذلك كله كما يأتي:

### 1\_ حرص المرّي على إصلاح نفسه:

لقد حمّل الإسلام الوالدين مسؤولية تربية الأبناء، وشدد في الحرص على آدائها لعظيمها، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ﴾ (التحريم)، ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ما "قال ابن عباس رضي الله عنه: "اعملوا بطاعة الله، واتّقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر ينحيكم الله من النّار، وقال مجاهد: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ قال: اتّقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله، وقال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصية الله، وأن يقوم عليهم بأمر الله، ويأمرهم به ويساعدهم عليه."<sup>1</sup>

إن الأمر بالوقاية من النّار موجّه بداية للوالد المرّي، ليكون بطاعته لله تعالى واتّقاء معاصيه، القدوة الحسنة لمن يتولّى تربيتهم من أهله، حتى إذا ما أمرهم بفعل أو نهاهم عنه أثناء تربيتهم لهم، وافق قوله فعله، وأما إذا كان مخالفاً لذلك، فليعلم أن الله تعالى حدّر من مغبّة هذا الأمر، بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۗ﴾ (الصف)، أي: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، لم تقولون القول الذي لا تُصدّقونه بالعمل، فأعمالكم مخالفة أقوالكم، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، يقول: عظم مقتا عند ربّكم قولكم ما

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 58/14 .

لا تفعلون"<sup>1</sup>، كون التشويش الذي يُحدثه المريي في ذهن المترين جرّاء تناقض أقواله لأفعاله، كفيل في لحظة أن يزعم القيم والمعاني والجهود التربوية التي بُنيت لسنين، أو حتى القضاء عليها.

إن "القدوة في نظر الإسلام، هي من أعظم وسائل التربية ترسيخا وتأثيرا، فالطفل حين يجد من أبويه ومربيّه القدوة الصالحة في كل شيء، فإنه يتشرب مبادئ الخير، ويتطبّع على أخلاق الإسلام، ..وحين يريد الأبوان أن يتدرّج طفلهما على خُلُق الصدق والأمانة والعفّة، والرحمة ومجانبة الباطل... فعليهما أن يُعطيا من أنفسهما القدوة الصالحة في فعل الخير، والابتعاد عن الشرّ، في التحلّي بالفضائل، والتخلّي عن الرذائل، في اتّباع الحقّ ومجانبة الباطل، في الإقدام نحو معالي الأمور، والترقّع عن سفاسفها."<sup>2</sup>

لذلك يجب على المريي أن يحرص كل الحرص على:

أن يكون قدوة حسنة لمن يتولّى تربيتهم، لأن استقامة المترّي أو اعوجاجه متعلّق بما يتلقاه من والديه خاصّة، وما يصدر عنهما، لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: {ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..} <sup>3</sup>، وهذا يقتضي بذل المرّتين للجهود المتكرّرة، والحرص المتواصل على توجيه المترّين توجيهًا سليمًا، يضمن لهم تربية إسلامية صحيحة، كون ذلك حقًا من حقوقهم .

أن يحس بمسؤوليته التربوية الكاملة، وأن يُحسّن تعامله عند تحمّلها، دون إفراط منه ولا تفريط، عملا بقول النبيّ صلى الله عليه وسلم، الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنه، حين قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيّتها، والخادم راع في مال سيّده ومسؤول عن رعيّته، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيّته، وكلّكم راع ومسؤول عن رعيّته}."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> \_ تفسير الطبري، جامع البيان، 606/22 .

<sup>2</sup> \_ عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط3، 1989م، 659/2، 660.

<sup>3</sup> \_ تمّ تخريج الحديث .

<sup>4</sup> \_ أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب: الجمعة، باب: 11، ح: 893، 284/1، 285، وباب: 20، ح: 2409، 178/2.

قبل أن يسدي التربية لغيره، يجب أن يربّي نفسه أولاً، حتى لا يصدر منه إلا الحسن والنافع، سواء في أقواله أو أفعاله وتصرفاته، مع حرصه على عدم التناقض بينها، "لأن الولد مهما مان استعداده للخير عظيماً، ومهما كانت فطرته نقية سليمة، فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير، وأصول التربية الفاضلة ما لم ير المرَبّي في ذروة الأخلاق، وقمة القيم، والمثل العليا،.. من السهل على المرَبّي أن يُلقّن الولد منهجاً من مناهج التربية، ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يُشرف على تربيته، ويقوم على توجيهه غير محقق لهذا المنهج، وغير مطبّق لأصوله ومبادئه، ومن هنا كان تقرير شاعرنا العربي أليماً في المعلم الذي يخالف فعله قوله:

يا أيها الرجل المعلم غيـره \*\*\* هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى \*\*\* كيما يصحّ به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانها عن غيها \*\*\* فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهنالك يقبل ما وعظت ويقتدى \*\*\* بالعلم منك وينفع التعليم.<sup>1</sup>

أن يكون على قدر معتبر من الدراية بالقُدوة الحسنة، خاصة قدوة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والصالحين من بعدهم، ليكون ذلك عوناً له على أن يُمثّل المبادئ الإسلامية، والقيم الأخلاقية في حياته، من خلال سلوكياته الحياتية، وتعاملاته الاجتماعية، ليكون بذلك قدوة حسنة لغيره، و"لهذا يوصى الأب بأن يطلع على التشريعات الإسلامية، خاصة الأساسية منها، ليتمكن من تعليم أولاده منذ حداثتهم\_ أحكام الحلال والحرام، في صورة مبسّطة سهلة يمكنهم من إدراكها واستيعابها، ومن ثمّ متابعتهم في العمل بها، وتطبيقها في واقع الحياة"<sup>2</sup>، فإذا ما اتّبع المرَبّي هذا النهج القويم في تربيته وتوجيهه، فليكن على يقين بأنه سيحني ثمار هذه التربية ولو بعد حين، "ولا يكفي أن يُعطي الأبوان

<sup>1</sup> \_ عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، 633/2، 634 .

<sup>2</sup> \_ عدنان حسن صالح باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط10، 1426هـ\_2005م، ص 577 .

للولد القدوة الصالحة، وهما يظنّان أنّهما أدّيا ما عليهما، وقاما بواجبهما، .. بل ينبغي أن يربطاً ولدهما بصاحب القدوة عليه الصلاة والسلام، وذلك بتعليم الولد مغازي النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرته العطرة، وأخلاقه الكريمة.<sup>1</sup>

إن حصول القناعات عند المتربّي بدافع الحبّ والتقدير للمربيّ والتأثر به، عادة ما تُبنى على القدوة، ليصبح حكمه على صلاح أمر أو فساد، محصور في فعل المربيّ أو تركه له، وهذا أكبر دافع للمربيّ حتى يكون قدوة حسنة له، "فهذا عمرو بن عتبة ينبّه معلّم ولده لهذا الأمر، فيقول: ((ليكن أوّل إصلاحك لولدي، إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت)) ، فالأطفال لا يدركون المعاني المجرّدة بسهولة، ولا يقتنعون بها بمجرد سماعها من المربيّ، بل لا بدّ من المثال الواقعي المشاهد<sup>2</sup>، وأمر القدوة هنا لا يقتصر على الآباء المربيّين فحسب، بل يتخطّاهم إلى كلّ من وُلّي مسؤولية التربية والتعليم والتوجيه بسلوكه قبل أقواله.

وهذه وصية الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله، يوجّهها للمعلّمين بقوله: "كونوا لتلاميذكم قدوة صالحة في الأعمال والأحوال والأقوال، لا يرون منكم إلا الصالح من الأعمال والأحوال، ولا يسمعون منكم إلا الصادق من الأقوال، وإن الكذب في الأحوال أضّر على صاحبه وعلى الأمة به من الكذب في الأقوال، فالأقوال الكاذبة قد يحترز منها، وأما الأحوال الكاذبة فلا يمكن منها الاحتراز."<sup>3</sup>

ونختم هذا الحديث، بهذه الوصية الجامعة من الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله أيضاً، إذ قال: "أعيدكم بالله يا أبنائي المعلمين أن تجعلوا كل اعتمادكم في تربية الصغار على البرامج والكتب ، فإن النظم الآلية لا تبني عالماً ولا تكوّن أمة ولا تجدد حياة، وإنما هي ضوابط وأعلام ترشد إلى الغاية وتعين على الوصول إليها من طريق قاصد وعلى نهج سوي ، أما العمدة الحقيقية في الوصول إلى الغاية من

<sup>1</sup> \_ عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، 160/2، 161.

<sup>2</sup> \_ عدنان حسن باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، ص 68 .

<sup>3</sup> \_ أحمد طالب الإبراهيمي، قام بجمع وتقديم، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1،

1997م، ص117.



التربية فهي ما يفيض من نفوسكم على نفوس تلاميذكم الناشئين من أخلاق طاهرة قويمة يحتذونكم فيها ويقتبسونها منكم ، وما تبثونه في أرواحهم من قوة وعزم، وفي أفكارهم من إصابة وتسديد وفي نزاعاتهم من إصلاح وتقويم وفي ألسنتهم من إفصاح وإبانة، وكل هذا مما لا تغني فيه البرامج غناء ، ولو كانت البرامج تكفي في التربية لكان كل عالم مريبا ولكن الواقع خلاف هذا.<sup>1</sup>

لقد أرشد الله تعالى المؤمنين المرئيين خاصة، إلى أن يسألوه التوفيق في أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم، ليتمكنوا من هداية أهليهم، وهداية الناس إلى الله، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٥﴾﴾ (الفرقان)، وأما قوله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾، فقد قال ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي، والربيع بن أنس: أئمة يقتدى بنا في الخير، وقال غيرهم: هداة مهتدين، دعاة إلى الخير، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالرفع، وذلك أكثر ثوابا، وأحسن مآبا<sup>2</sup>، وهذا هدي المؤمنين في حبهم الخير والهدى لغيرهم، كما يرجونه لأنفسهم، فكما "سألوا التوفيق والخير لأزواجهم وذرياتهم، سألوا لأنفسهم بعد أن وفقهم الله إلى الإيمان، أن يجعلهم قدوة يقتدي بهم المتقون، وهذا يقتضي أنهم يسألون لأنفسهم بلوغ الدرجات العظيمة من التقوى، فإن القدوة يجب أن يكون بالغا أقصى غاية العمل الذي يرغب المهتمون به الكمال فيه، وهذا يقتضي أيضا أنهم يسألون أن يكونوا دعاة للدخول في الإسلام، وأن يهتدي الناس إليه بواسطتهم."<sup>3</sup>

هذا ما يجب أن تسموا إليه نفوس المؤمنين المرئيين، وتحفوا إليه أرواحهم، وتطلع إليه قلوبهم، اقتداءً بخليل الله تعالى إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ (البقرة)، وقد أشار الطبري إلى معنى هذه الآية بقوله: "وإنما أراد جل ثناؤه بقوله لإبراهيم: ﴿إني جاعلك للناس إماما﴾ إني مصيرك تؤم من بعدك من أهل الإيمان بي وبرسلي، فتقدمهم أنت، ويتبعون هديك، ويستنون بسنتك التي تعمل

1 \_ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد بشير الإبراهيمي، ص 111.

2 \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 334/10 .

3 \_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 83/19 .

بها، بأمرى ووحىي إلك، .. وعن مجاهد، فى قوله: ﴿قال لا ىنال عهدى الظالمىن﴾، قال: لا ىكون إمامًا ظالمٌ ىقتدى به"<sup>1</sup>، إذا، فالإنسان الظالم، أبدا لن ىنال الحظ فى أن ىكون قدوة حسنة ىؤتمّم به، ولكن من كان مؤمنا صالحا، فلىسأل الله تعالى أن ىجعله مصلحا، وأن ىعینه على أداء مسؤوليته التربوية والإصلاحية، وفق منهج الله تعالى.

## 2\_ الحرص على توجيه المترى:

إن الإنسان فى حاجة إلى الاقتداء والتأسى بشخصية ما، وهذه غريزة فطرية جبّل عليها فى حياته، تدفعه للتقليد أثناء تلقىه التربية من غيره، فالوالدان ىمثلان أوّل قدوة ىستند إليها الطفل، ولعدم خبرته وقلة معرفته، ىشدّ انتباهه كل سلوك \_ سواء أكان سلبا أم إجابيا \_ لىسجّل فى ذاكرته الأحداث والملاحظات الواقعية لبناء شخصيته، وهنا تكون التربية الواقعية تأثرا بالقدوة، أكثر رسوخا من التربية النظرية بالألفاظ، ثم تتوسّع دائرة الاقتداء لتشمل المعلم ثم الطور الذى يليه، وهكذا، حتى تتكوّن للفرد شخصية ىكتسبها من مختلف المعارف والخبرات مع مرور الزمن، ولا تتحقق التربية الصحيحة والتوجيه السلم للسلوك والتصرفات أثناء إعداد هذا الفرد دينيا، ونفسيا، وحلقيا، واجتماعيا، إلا إذا تحقق الحرص من المترى على أن ىكونوا القدوة الحسنة للمترى، وأن ىحصّنوهم من كل قدوة سيئة، "فالتلميذ فى المدرسة، لا بدّ له من قدوة ىراها فى كل معلم من معلميه، أو مدرّس من مدرّسيه، لىقتنع حقّا بما ىتعلمه، وليرى فعلا أن ما ىطلب منه من السلوك المثالى، أمر واقعى ممكن التطبيق، وأن السعادة الحقيقية الواقعية لا تكون إلا فى تطبيقه"<sup>2</sup>، وقبل طور التلميذ، "لابدّ للطفل من قدوة فى أسرته ووالديه، لكي ىتشرّب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وىنهج على نهجها الرفيع، ولا بدّ للناس من قدوة فى مجتمعهم، تطبعهم بطابع الإسلام وتقاليده النظيفة، لكي ىحملوا الأمانة لمن ىرثوهم من الأجيال، ولا بدّ للمجتمع من قدوة فى قائدهم أو زعيمهم أو حاكمهم، تتحقّق فى شخصه المبادئ، وىنسج على منواله المحكومون، والقدوة للجميع هى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، التى تتمثل فى كل مبادئ الإسلام، وقيمه

<sup>1</sup> \_ الطبرى، جامع البيان، 509/2، 510، 512 .

<sup>2</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوى، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 257 .

وتعاليمه، ومن ثمَّ يقيم الإسلام منهجه التربوي، على أساس أنه هو الذي يُسَيِّر دفة المجتمع ودفة الحياة.<sup>1</sup>

وهنا نتساءل: إذا كانت القدوات السيئة اليوم تصنع لنفسها مكانا واسعا في أوساطنا الإسلامية، لتسيطر على عقول ومفاهيم الكثير منّا، فما السبيل للخلاص من ذلك إذا كانت القدوات الحسنة، الحية والواقعية في قلة وضعف؟

إذا كان المقلد يستند في قدوته إلى العلم والمعرفة بما يوافق آراءه وأفكاره وطموحه، فهذا قد حقق غايته من خلال تحديد هدفه في اتّخاذه لهذه القدوة، التي تُعدّ تعزيزا له في جانب استفادته من الذي تأثر به، لاتفاقه مع مبدئه ومنطلقه دون إلغاء لشخصيته وهويته، كما أن تأثره بغيره وقوة تأثيره عليهم، يجعل من القدوة الحسنة في هذه الحالة أمر ضروري حتمي، أما من لم يحدّد غايته من كل ذلك، فليعلم "أن الرسول صلى الله عليه وسلم حدّثنا من مغبة هذا التقليد إذا كان بغير هدف، وكأنّه انكشفت له حجب الغيب فتوقّع الضعف الذي سينزل بهذه الأمة، فقال: {لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مِنْ قَبْلِكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى إِذَا دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ} <sup>2</sup>.<sup>3</sup>

لقد حدّثنا النبي صلى الله عليه وسلم من تقليد غير المسلمين واتباع سننهم، حتى لا يدبّ الضعف إلى الإسلام والمسلمين، وقد أمرنا ببذل أنفسنا لإعلاء رايته والدفاع عنه، "لذلك فقد كانت دعوة الإسلام الأولى إلى التحرر من التبعية ومعارضة التقليد للأجنبي، حتى لا يذوب المسلمون في كيان الأمم، بينما جاءوا ليحملوا للبشرية فكرا جديدا يختلف عن الفكر البشري، وربما يتعارض كثير من

<sup>1</sup> \_ محمد قطب، المنهج التربوي الإسلامي، 1/ 185، 186 .

<sup>2</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام، باب: 14، ح 7320، 368/4، روى الحديث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: {لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا شَبْرًا، وَذِرَاعًا ذِرَاعًا، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ}، قلنا: يار رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: {فَمَنْ؟}، والحديث في الباب نفسه، يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: {لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَتَرُومَ؟ فَقَالَ: وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ}، ح 7319، 4/ 367.

<sup>3</sup> \_ عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 260.

قيمه ومقولاته، ذلك أنهم حملة رسالة التوحيد الخالص للعالمين، ... ولذلك، ولكي تكون هناك أمة قائمة بالحق إلى قيام الساعة، حذّر الإسلام المسلمين من التشبّه بغيرهم، وحرص على أن تظلّ شخصية المسلم وفكره وحضارته ومجتمعه متميزة، ومن أجل ذلك أعلن حرباً لا هوادة فيها على التقليد وعلى التبعية {من تشبه بقوم فهو منهم} <sup>1</sup>، ودعا إلى إعلان التمييز في القيم والأخلاق والمثل، ولا ريب أن التقليد فقدان للشخصية، والتبعية عبودية للفكر والعقل، ولا ريب أن آفة الضعيف هي تقليد القوي، ولا يجري التقليد إلا في جوانب الضعف والهدم والانحلال، وتتركز دائماً على الانهماك في اللذات والتخلّي عن القوة أو التماسك أو الصمود، . ولا يمنع هذا الموقف من مراجعة كل ما تقدمه الأمم، والأخذ بالصالح منه والانتفاع به، على أن يكون المسلمون قادرين على تجاوز العناصر التي تدمر شخصيتهم وقيمهم وذاتيتهم، ولذلك، فإن الدعوة التي تدعونا إلى تقليد الغرب، ومتابعته في مظاهر الاجتماع والأخلاق هي دعوة تتعارض مع الأصالة، والفترة، ومع طبيعة النفس الإسلامية ومزاجها الذي شكّله الإسلام، ولا ريب أن الظنّ بأن تلك التبعية تلحقنا بركبهم، هي خطأ شائع، ونصيحة ماكر، ودعوة ضالّة. <sup>2</sup>

فما أكثر المقلّدين اليوم في أمّتنا، ممّن "يتّبعون الناعق دون علم أو رويّة، فألغوا بذلك شخصياتهم، وجمّدوا عقولهم، ولم يستعملوها فيما أمر الله به من النظر والتدبّر والتفكّر، ورضوا أن يُصافوا بهائم العجماء فيهبينوا أنفسهم ويذلّوها،.. ولما كان احترام النفس منتفياً مع التقليد الأعمى، كان حرص الأب على تنفير الولد من هذا النوع من التقليد واستهجانها، وإظهار قبحة، يُعدُّ أمراً هاماً في التربية، إذ يرفع من معنويات الولد، ويعطي لنفسه مكانتها، ولرأيه وزنه، ولشخصيته احترامها وتقديرها،.. وبهذا الأسلوب تنمو شخصية الولد، ويشعر بكيانه كفرد في المجتمع، له مكانته ومنزلته، كما أنه يُنقّر من التقليد الأعمى، وأسلوب الإمّعات" <sup>3</sup>، وهنا يبرز دور المربيّ في مساعدته المستمرة للمترّي، وإعطائه دفعا قوياّ للأمام، دون ملل منه ولا تقصير، لأن نتائج التربية الصحيحة تظهر بعد حين، "فالولد إن

<sup>1</sup> \_ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: اللباس، باب: 5، ح4031، 204/4، رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

<sup>2</sup> \_ أنور الجندي، دراسات في الإسلام، ص23، 24 .

<sup>3</sup> \_ عدنان حسن صالح، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، ص327، 329 .

تغلب على نفسه مرة أو مرتين، فإنه يشعر بعلو همته، وقوة شخصيته، ويكون ذلك الانتصار حافزا لمزيد من الجهد والمجاهدة في هذا السبيل، وفي كل هذا لا يتغافل الأب عن ولده، بل يساعده، .. وإن فهم هذا المبدأ على النحو الذي ذكر، يجعل الأب معتدلا ومتوسطا في أسلوب تعامله مع الأولاد، فلا يترك لهم العنان فيتبعون شهواتهم وأهواءهم بغير هدى، كما أنه لا يحجم نشاطاتهم، ويكبت ميولهم ورغباتهم المباحة، فإن إشباع النفس بالحلال المباح، يكفها عن إشباعها بالحرام المحظور.<sup>1</sup>

ومن أجل ذلك، كان التقليد الذي لا هدف له ولا غاية، سببه أمران، هما: الضعف، والقلة.

فالضعيف يُقلد القوي، والمغلوب يُقلد الغالب، والمحكوم يُقلد الحاكم، والصغير يُقلد الكبير، وهكذا عادة.

لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: {المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير} <sup>2</sup>، فإن المؤمن قوي بدينه وعزیز بإسلامه، فما الذي جعله اليوم يُذل نفسه باتخاذ غير المسلمين قدوة يقتدي بهم؟ ويعدل عن قيمه ومبادئه الإسلامية، بتقمصه شخصية غيره؟

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: "وقد يرى ذلك بعينه الباحث الغربي، أو من يحمل عصبية على المسلمين، أو زراية بدينهم، فيرد ذلك في منشئه إلى دين الإسلام، ويخرج من بحثه بنتيجة خاطئة، وهي أن الإسلام يحمل في خفاياه جرائم التأخر والانحطاط، والاستسلام للأوهام والخرافات، ويخرج من ذلك إلى أنه لا رجاء للمسلم في الرقي ومجارات السابقين في الحياة، إلا بالخروج من دينه، .. شعوضة يُهدون بها السبيل لمروق المسلم من حظيرة الإسلام، وكم لعبت بهذه النغمات أصابع على أوتار."<sup>3</sup>

إن ما يجري في واقعنا اليوم بسبب التطور التكنولوجي والإعلامي، في بث الشخصيات الحيّة والبارزة، التي تتعاقب على أبنائنا باستمرار، ولرغبتهم في اللحاق بالركب الحضاري، مأل الكثير منهم إلى تقمص هذه الشخصيات، لاحتلالها مكانة كبيرة في عقولهم وأفكارهم، فاتخذوها قدوات وخالفوا بذلك ديننا

<sup>1</sup> \_ عدنان حسن صالح، نفسه، ص331 .

<sup>2</sup> \_ تم تخريج الحديث، ص44، وص113 .

<sup>3</sup> \_ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص110، 111.

وقيمننا الإسلامية، فانفتحت عندها أبواب الفتن والمعاصي، والخزي والمآسي، ولا حلّ لهذه المعضلة إلا بالتربية والتوجيه والإصلاح بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، أي بالعودة للكتاب والسنة، فلا بدّ أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قدوتنا في كل شيء، فالإقتداء به هو صمّام الأمان لحياتنا المتكاملة، التي ليس فيها إفراط ولا تفريط، أو إعطاء جانب من الجوانب اهتماماً أكبر من جوانب أخرى.<sup>1</sup>

لذلك، فالأمة الإسلامية اليوم في أشدّ الحاجة إلى نماذج من الصالحين المصلحين، المنتجين للقدوات الحسنة مثلهم، علماء ومرّبون يملكون من التأثير بالحكمة والموعظة الحسنة، ما يمكنهم من التغيير والإصلاح، ومدركون لحقيقة ما يجري للأمة الإسلامية، وما يدور بين أبنائها، وما هم بحاجة إليه من إرشاد وتوجيه، ومن بيان وتنبية، وتفسير لحقائق المعاني بعد تغيير لها وتشويهه، نحن بحاجة للعلماء الذين يكونون القدوة الحسنة الحيّة بيننا، الذين يهدون الناس بسلوكهم قبل أقوالهم، المتخلّقون بأخلاق القرآن والسنة، سواء من الجانب النظري أو التطبيقي الواقعي، أولئك الذين يصفهم الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله بقوله: "مثل العلماء العاملين المصلحين، كمثل الماء المعين، هذا يسوقه الله إلى الأرض الجرز فتهترّ بعد همود، وتربو بعد جمود، فثُنبت ما تشتهيهِ الأنفس وتلدّ الأعين، وأولئك يبعثهم الله في أمّتهم فيؤدّون فيها فتستيقظ بعد رقود، وتتحرّك بعد ركود، وتنهض بعد قعود، وتنشط بعد خمود، وترشد بعد غواية، وتتألف بعد تخالف، وتتعارف بعد تناكر، وتتصالح بعد تدابر، وتنسجم بعد تنافر، وتتوحد بعد تفرّق، وتلتئم بعد تمزّق، وتتخلّق بعد انحلال، وتتنظّم بعد اختلال، وتصحّ بعد اعتلال، وتهتدي بعد ضلال، وتندكّر بعد نسيان، وتتأخى بعد عدوان."<sup>2</sup>

لتخطّي أزمة المبادئ الأخلاقية بشكل خاص في الأمة الإسلامية، يجب أن تكون التوجيهات التربوية والإصلاحية، منبثقة من جهات رسمية ومقنّنة، تضمن للمربّين توجيه المتربّين بطريقة علمية صحيحة، داخل البيت، وفي المدارس إلى طور الجامعات، وفي كافّة المجالات الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية، وغيرها، باعتبار كل من الوالدين، والمعلّمين والأساتذة، والمديرين والمسؤولين، والقياديين

<sup>1</sup> \_ يوسف خاطر حسن الصوري، أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتربية، ص74.

<sup>2</sup> \_ أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص25.

والإداريين، هم القدوة الحسنة لمن هم تحت رعايتهم، كما يجب أن تكون هناك ممارسات تطبيقية لهذه القدوة الحسنة على أرض الواقع، ليتمكن المرءون من إصلاح ما يمكن إصلاحه.

### 3\_ تهيئة البيئة الملائمة بتهديب الوسط التربوي

" أما البيئة فإليها يرجع التأثير في تحديد القيم، وتكوين العادات، والعواطف والمثل<sup>1</sup>، لذلك، فإن الطفل الذي يكون اليوم صغيراً، يغدو في الغد شاباً، ليكون بعد غد أباً مسؤولاً، وهكذا، وكما أن الطفل الذي يقتدي بوالديه في البيت، فإنه يقتدي بغيرهما في المدرسة والمسجد والمجتمع بصفة عامة، والواقع التربوي يفرض على المرءي أثناء العملية التربوية، أن يعمل جاهداً على اختيار وتهيئة البيئة الأصلح لزرع المبادئ والقيم بالمرءين، كما يسعى لتهديب الوسط التربوي ما لم يكن مناسباً لهم، وهذا يتطلب منه مهارة تربوية تدفعه إلى أن يبذل اهتماماً كبيراً، وحرصاً شديداً، في تركيزه على أمرين هامتين، ألا وهما: المحيط والضحية.

**المحيط:** لا يولد الطفل بشخصيته الذاتية، ولكن الذي يُكسبه هذه الشخصية مع الوقت وتدريباً، هو تفاعله وتأثره بالبيئة المحيطة به، كون المحيط التربوي الأسري، والمدرسي، والعملي، والاجتماعي، له تأثير فعال على تنشئة المرءي، هذه البيئة التي يعيش فيها هذا الفرد، إما أن تكون محفزة له على تلقي المبادئ الإسلامية، والقيم الأخلاقية الصحيحة، إذا لاقى الاهتمام والحرص، والجهد اللازم من التربية، وإما أن تكون محبطة له إذا لم تُخالفه الظروف البيئية في تلقي كل ذلك، وعليه، "فالمبدأ المراد إبرازه من أهمية المحيط في تربية الأبناء والأطفال عموماً، هو ضرورة أن نهيء الظروف التي تدفع الفرد إلى الأخذ ببعض أساليب العمل المحسوسة، وغرس قيم أخلاقية وطباع حسنة، من خلال إشراك هذا الطفل في أعمال الجماعة، حيث يرى نجاحه في نجاحها، وفشله في فشلها، فيستمد أفكاره وقيمه من المحيطين به، لتكون التربية قائمة على الممارسة والتجارب المشتركة لأفراد الجماعة، وبالتالي كلما كان سلوك هذه الجماعة كالأسرة والمدرسة راقياً، كلما كان اندفاع الفرد أكثر نحو الأخذ بأسباب هذا الرقي المعرفي أو

<sup>1</sup> \_ محمد أمين المصري، لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، دار الفكر بدمشق، د.ط، د.ت، ص 218.

السلوكي"<sup>1</sup>، لذلك، لا بدّ على المرّيّ كيفما كان، وأينما كان، أن يعمل جاهدا على اختيار وتهيئة البيئة الاجتماعية للمترّيّ، وأن يعمل على تحسينها أو تغييرها ما أمكن، لجعلها صالحة كي تخدم العملية التربوية وتعين على إنجازها، لتحقيق الهدف في اكتساب القيم للمترّيّين، وترسيخها في نفوسهم، "فمهما يكن من أمر إيجاد منهج تربوي متكامل، ورسم خطة محكمة لنموّ الإنسان وتنظيم مواهبه وحياته النفسية والانفعالية والوجدانية والسلوكية، واستنفاد طاقاته على أكمل وجه، مهما يكن من ذلك كلّه، فإنّه لا يُعني عن وجود واقع تربويّ يمثله إنسان مربّ يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي، كل الأسس والأساليب والأهداف التي يُراد إقامة المنهج التربوي عليها."<sup>2</sup>

**الصحة:** إن للصحة من التأثير البالغ ما قد يفوق تربية المرّيّ، فهي تؤثر في الاتجاهات والتصورات، والقيم والتصرفات، لما لها من التأثير النفسي والفكري والسلوكي على الفرد، فقد "ذكر البعض في تربية الولد: أن يكون مع الصبيّ في مكتبه صبية حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم، لأن الصبيّ على الصبيّ ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آسن."<sup>3</sup>

ولكون الصاحب صاحب، كان لزاما على المرّيّ أن يحرص كل الحرص على معرفة أصدقاء من يتولّى تربيته، وأن يربطه بالصحة الصالحة، ويجذّره من صحبة السوء، ومآلها في الدنيا والآخرة، وأن يعمل على ذلك جاهدا ما أمكن، عملا بما جاء في القرآن الكريم، من قوله تعالى: ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف)، وقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهِيَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَهَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَهِنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَأَلَّهَ إِنَّ كِدْتَ لَتُرِيدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ (الصفات)، إذ المعلوم أن "الصدّاقة والصحة التي قامت على

1 \_ محمد نور الفرادي، أفضل أساليب التربية الحديثة، (رسالة)، الجمهورية التونسية، 2009م، ص 18 .

2 \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 254 .

3 \_ سعيد عبد العظيم، الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، إسكندرية، د.ط، د.ت،



المصالح الدنيوية، والأغراض المادية، وليس لله سبحانه وتعالى فيها نصيب، فستكون يوم القيامة وبالاً وشؤماً وخسرانا على أهلها.<sup>1</sup>

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴿٢٩﴾ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٣٠﴾﴾ (الفرقان)، ومعنى الآية، أن الله تعالى يجزينا "عن ندم الظالم، الذي فارق طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله من الحق المبين، الذي لا مزية فيه، وسلك طريقاً أخرى غير سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفع الندم، وعضّ على يديه حسرة وأسفاً، ﴿يا ليتني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾، يعني: لمن صرفه عن الهدى، وعدل به إلى طريق الضلالة، .. ﴿بعد إذ جاءني﴾، أي: بعد بلوغه إلى.<sup>2</sup>

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم قدوتنا في التربية والتوجيه، بيّن لنا اختيار الصحبة التي تعين على طاعة الله تعالى في الحديث الذي قال فيه: ﴿لا تُصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقياً﴾<sup>3</sup>، لما في الصحبة من تأثير، إن خيراً أو شراً، وهذا ما أكّده لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، حين قال: ﴿الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل﴾<sup>4</sup>.

لذلك، يجب على المرّين تهيئة المحيط والبيئة التربوية والتعليمية اللازمة للمترّبي، لتلقّي التربية والتوجيه بالحكمة والموعظة الحسنة، دون قسوة ولا ضغط عليه وتقييد، لأن التغاضي عن مراعاة استعداد المترّبي ومدى استقباله، وتفهمه وكيفية التعامل معه، يدفع به إلى الارتقاء في أوساط من يظن أنهم يتفهمونه، وهذا عادة ما يلقي به إلى التهلكة من أصحاب السوء، وإنّ أمراً كهذا يفرض على المرّين وضع المترّبين تحت الرقابة المبنية على الملاحظة دون علم منهم، حتى يكون للمرّين المتسع من الوقت، ليتمكّنوا من

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن بن سعيد الحازمي، التربية في القرآن الكريم، ص 106 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 302/10 .

<sup>3</sup> \_ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: 16، ح 4832، 108/5، رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

<sup>4</sup> \_ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: 16، ح 4833، 109/5، والترمذي في سننه، كتاب: الزهد، باب: 45،

ح 2378، 187/4.

معالجة انحراف المتربّين في بدايته قبل فوات الأوان، ولذلك "ينبغي على المؤسسات التربوية، وخصوصاً الأسرة والمدرسة والمسجد، توجيه الناشئة إلى مصاحبة الأخيار من أقرانهم، ليكونوا عوناً لهم على طاعة الله تعالى وتقواه، وتجنّب مصاحبة الأشرار الذين زلّوا وضلّوا"<sup>1</sup>، ومن بين الطرق في ذلك: ملء الفراغ بالعمل النافع، إذ "أثبتت بعض البحوث الميدانية، أن الفراغ من أهم أسباب الوقوع في المعاصي والمنكرات، والانحرافات الخلقية والسلوكية المختلفة، ويرجع سبب وجود هذا الفراغ إلى عدم معرفة الهدف الصحيح والغاية من الحياة،..والجهل بمهام الإنسان ومسؤولياته في هذا الكون،..وليس ثمة حلّ لهذه المشكلة سوى أن يوصى الآباء بإشغال هذا الوقت الطويل لدى أولادهم، من خلال إقامة النشاطات، والبرامج الثقافية والرياضية المختلفة"<sup>2</sup>، وهذا لا يترك لهم متنفساً للتفكير في الضارّ، فإذا لم يُشغل الوقت فيما ينفع، شُغل فيما يضرّ، وإذا لم يُشغل بطاعة الله، شُغل بطاعة الشيطان، لذلك، فلا شيء يبعد الملل والسامة كاستغلال الوقت في الشغل المفيد، كأن "يركّز الأب على جانب الرياضة البدنية المنظمة وأنواعها المتنوعة المباحة، حيث يخصّص من الوقت يومياً لممارسة الرياضة المفضّلة، ويهتمّ بمعرفة هوايات الأولاد المفضّلة،..ويحاول أن ينميها فيهم، ويؤمن لهم موادها وخاماتها اللازمة لها، ويخصّص لهذه الهوايات وقتاً من ساعات اليوم"<sup>3</sup>، كما لا ينسى المرثي ثناءه وتشجيعه للمتربّي، كون الرغبة النفسية في ذلك، تُعدّ بمثابة قوّة دافعة ومحفّزة له، تجعل من حرصه واجتهاده على إنجاز العمل، مولّداً للرغبة في الإبداع والتميّز، بعد الثقة بالنفس والشعور بالمسؤولية.

ومما مرّ معنا، ندرك بأن أسلوب القدوة الحسنة في التربية، يحقّق ما يأتي:

الاعتزاز بالانتماء إلى الأمّة القرآنية، واتّخاذ النبيّ صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة، التي بها يكون الحفاظ على الهوية الذاتية، والشخصية الإسلامية القوية، دون انحراف عن الاستقامة والصواب، أو اندفاع نحو الشهوات والغرائز، أو انقياد إلى ما يخالف الفطرة الإنسانية، من غير إبراز هدف واضح يُحكّم فيه العقل والشرع.

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن سعيد الحازمي، التربية في القرآن الكريم، ص 107 .

<sup>2</sup> \_ عدنان حسن صالح، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، ص 578 .

<sup>3</sup> \_ عدنان حسن صالح، نفسه، ص 571، 572.

تربية الأفراد على القيم الإسلامية، والفضائل الاجتماعية، بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، لتنمية المدارك الفكرية، وتعزيز الثقة النفسية، وبناء الشخصية السويّة.

تحقيق هدف المنهج التربوي الإسلامي، من خلال إصلاح الأفراد وتوجيههم بأسلوب القدوة الحسنة، بشرط ترابط وتكامل الجانب النظري والواقع التطبيقي.

## المطلب الثاني: الاهتمام بتربية ذوي الكفاءات والمواهب

إن الإنسان الذي آتاه الله علماً وفهماً فائقين، أو قدرات فكرية كبيرة، أو إمكانيات استيعابية أكبر، أو رؤية للأمر جادة، أو دقة في الملاحظة حادة، أو رجاحة زائدة وذكاء مفرط، يُعدّ بتفوّقه هذا بين أقرانه، فرداً موهوباً مُميّزًا بالمهارة في الإنجاز، والبراعة في إتقان العمل بجد واجتهاد، مع الالتزام بالنظام في حياته، وهذا من يجب الاهتمام بتوجيهه والعناية به، لأنّ تقديم هذا المتميّز لأي إنتاج جديد، نافع ومفيد، يُعدّ إبداعاً، إذ "الإبداع، هو النظر للمألوف بطريقة غير مألوفة، بمزيج من الخيال والتفكير العلمي المرن، لحلّ مشكلة أو لتطوير فكرة قديمة، أو لإيجاد فكرة جديدة ينتج عنها إنتاج متميّز غير شائع، يمكن تطبيقه واستعماله، والإبداع يأتي بأفكار جديدة يمكن بها تطوير العمل،.. والإبداع نصفان: وراثي ومكتسب، وليس من الضروري أن يكون المبدعُ ابناً لمبدع، والواقع يؤكّد ذلك، بل إن الجانب المكتسب هو الأهمّ في العملية الإبداعية"<sup>1</sup>، كما عرّف الإبداع أيضاً في تعريف قريب من هذا، على أنه "إنتاج الأفكار الجديدة لفائدة المجتمع، وصناعة الإبداع هي الابتكار والتجديد في كل القطاعات، وذلك بالاعتماد على اقتصاد الخبرة، أي الموهبة الفردية لإنتاج المحتوى الإبداعي."<sup>2</sup>

يقول الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ (البقرة)، والحكمة هنا، هي "إتقان العلم، وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم،.. ومن يشاء الله تعالى إتياءه الحكمة هو الذي يخلقه مستعدّاً إلى ذلك، من سلامة عقله واعتدال قواه، حتى يكون قابلاً لفهم

<sup>1</sup> \_ محمد سعيد مرسي، فن تربية الأولاد في الإسلام، مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، د.ط، 1418هـ\_1997م، 351/2 .

<sup>2</sup> \_ محمد نور الفرادي، أفضل أساليب التربية الحديثة، ص 32 .

الحقائق منقادا إلى الحقّ إذا لاح له،..وفسّرت الحكمة بأنها معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بما تبلغه الطاقة، أي: بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض، ولا يغلط في العلل والأسباب"<sup>1</sup>، كما أن للحكمة معنى آخر، وهو الإصابة، "يعني بذلك جلّ ثناؤه: يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده، ومن يُؤت الإصابة في ذلك منهم، فقد أوتي خيرا كثيرا."<sup>2</sup>

لما حثّ الإسلام المسلمين على الاستزادة من طلب العلم، فليُتيح المجال لكل من يرغب بلوغ درجة الموهوبين، والمبدعين المتميّزين، لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝﴾ (طه). وما دام علم الله تعالى لا نهاية ولا حدود له، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ (الإسراء)، فإن اهتمام المرّين باكتشاف وإبراز من يتولّون تربيتهم من ذوي المواهب والكفاءات، واجب يجب الحرص عليه.

لقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز عبادا له، آتاهم من الحكمة، ووهبهم من الفضل، ورزقهم من الكفاءة، ما ميّزهم به على غيرهم ممّن يحيطون بهم، وفضّلهم على كثير ممّن خلق تفضيلا، فكان من بينهم:

لقمان الذي وهبه الله الحكمة، وأمره بشكره على ما آتاه من فضل، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝﴾ (لقمان)، أما الحكمة في قوله تعالى: "﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾"، أي: الفهم والعلم والتعبير، ﴿أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾، أي: أمرناه أن يشكر الله عزّ وجلّ، على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل، الذي خصّه به عمّن سواه من أبناء جنسه، وأهل زمانه."<sup>3</sup>

وموسى عليه السلام الذي سأل ربّه أن يُرسل معه أخاه هارون، نظرا للموهبة التي وهبه الله إيّاها، من حسن البيان، وفصاحة اللسان، قال تعالى: ﴿وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 61/3 .

<sup>2</sup> \_ تفسير الطبري، جامع البيان، 8/5 .

<sup>3</sup> \_ ابن كثير، المرجع نفسه، 52/11 .

يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ (القصص)، ولهذا السبب "أراد أن يستعين بفصاحة أخيه هارون ليبيده ويظهر حجته، ويزيل عنه الشبهات"<sup>1</sup>، وهذا ليس لضعف في موسى عليه السلام وقد قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ (القصص)، بل إن الله تعالى وهبه أيضا من القوّة والأمانة، ما شهدت عليه المرأة التي سقى لها، والذي خلده القرآن في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحَدِلْتُمَا بَيِّأَتٍ أُسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٣٦﴾﴾ (القصص).

ويوسف عليه السلام الذي وهبه الله تعالى من الحكم والعلم، وتفسير الرؤى، ما جعل الملك يقربه منه، ويمكّنه من تولّي أكبر المهام لكفاءته، وحفظه وأمانته، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ، مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (يوسف)، ثم يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهَٰذَا اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ (يوسف)، والمعنى: أن الملك لما تنبّه لعلمه وتميّزه، قال: "أتؤتوني به أستخلصه لنفسى"، أي: أجعله من خاصتي وأهل مشورتي ﴿فلما كلمه﴾ أي: خاطبه الملك وعرفه، ورأى فضله وبراعته، وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكمال قال له الملك: ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾، أي: إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة،.. فقال يوسف عليه السلام: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾،.. وذكر أنه ﴿حفيظ﴾، أي: خازن أمين، ﴿عليم﴾: ذو علم وبصر بما يتولاه.<sup>2</sup>

وطالوت عليه السلام الذي بعثه الله ملكا على قومه، بفضل ما آتاه من قوّة وبسطة في العلم والجسم، فكان بهذه الموهبة متميّزا بينهم، واستحق بذلك ما أوتي من ملك، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ (البقرة)، ومعنى: ﴿وزادهُ

<sup>1</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 10919/18 .

<sup>2</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 51/8 .

بَسْطَةَ فِي الْعِلْمِ وَالْجَسْمِ ﴿٤١﴾، أي: "وهو مع هذا أعلم منكم، وأنبئ، وأشكل منكم، وأشدّ قوّة وصبراً في الحرب، ومعرفة بها، أي: أتمّ علماً وقامة منكم، ومن هاهنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم، وشكل حسن، وقوّة شديدة في بدنه ونفسه."<sup>1</sup>

وداود عليه السلام الذي آتاه الله من العلم والحكمة ما مكّنه به من غلبة جالوت، وما ميّزه به عن غيره من قومه، إضافة إلى الملك الذي وهبه إيّاه فضلاً منه ورحمة، فقال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (البقرة). وغير هؤلاء كثير ممّن تولّاهم الله تعالى برعايته وحفظه، وآتاهم من فضله وعلمه، وحكمته ومواهبه، وميّزهم بالتأييد والتمكين لخدمة دينه تعالى، ممّن ذكرهم في كتابه الكريم.

ونبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي وهبه الله وآتاه من أحسن ما آتى به الخلق جميعاً، وفضّله بخير ما فضّل به البشر كلّهم، ولفرط تميّزه صلى الله عليه وسلم بخُلُقِهِ القرآني، وأدبه الرّبّاني، كان خير مربّ ومعلّم، وخير قدوة، يقتدي بها المرّتون في تنميته لمواهب الصحابة المميّزين رضي الله عنهم، وإعمالها للنفع العامّ، ولخدمة الإسلام، وهو الذي يقول صلى الله عليه وسلم: {المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير}<sup>2</sup>.

وعلى هذا الأساس، نستطيع القول: "إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُشجّع المواهب ويرعاها، ويعرف كل موهبة من مواهب أصحابه، ويستثمرها لصالح الإسلام والمسلمين، فإن هذا يعني ضرورة عناية منهج التربية الإسلامية، بالمواهب والاستعدادات المختلفة، فلقد رأى علماء التربية الإسلامية — وخاصة ابن سينا — ضرورة مراعاة ميول المتعلّم واستعداداته، وقُدّراته عند إرشاده إلى نوع العلوم التي تناسبه أساساً، لتربيته وإرشاده،.. وهكذا يرى ابن سينا أن من الواجب على القائمين على العملية التربوية، أن يبحثوا عمّا يُناسب ميول المتعلّم، واستعداداته وقدراته من العلوم التي يرغب في التخصص

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 421/2 .

<sup>2</sup> \_ تمّ تخرّيج الحديث، ص44، وص113، و187 .

فيها مستقبلاً، .. ولا بدّ من إعطاء المتعلّم الفرصة الكاملة لاختيار ودراسة ما يريد، تحت إشراف معلّميه.<sup>1</sup>

ومن خلال ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، من الحرص على العناية بالموهوبين والمتميّزين، وتربيتهم وفق المنهج التربوي الإسلامي، والاهتمام بمواهبهم وإبداعاتهم، نخلص إلى أن تربيتنا الإسلامية تفرض علينا في هذا المجال أموراً كثيرة، يجب اتّباعها أثناء العملية التربوية، والمتمثلة في:

1\_ حرص المربيّ في تحفيز المتربيّ المتميّز والموهوب، على تجديد طاقاته الفكرية، ومضاعفة قدراته الإستيعابية، أثناء خوضه المجال العلمي، سواء التلقّي النظري منه أو الممارسة العملية، تشجيعاً له على استخراج مواهبه الخفية.

2\_ حرص المربيّ على احترام تطلعات الفرد وما يميل ويطمح إليه، وترغيبه فيه ومساعدته في الاستمرار على ممارسته، التي قد يُطوّرُها وينمّيها نحو الأحسن بإبداعه، في كل المجالات والميادين، لأن الشخصية المبدعة "تظهر من خلال اتّجاه الأفراد نحو العمل الجادّ، والمثابرة على بذل الجهد لاكتساب المعرفة والعمل، على اكتساب مواقف شخصية باستقلالية عن الآخرين، ولا يتمّ ذلك إلا بالتمرّس على حلّ المشكلات والمسائل الصعبة، وإعادة تنظيم الأفكار، .. وغرس قيم المثابرة والعمل لدى الأطفال، وتعويدهم على التأقلم من التطورات، لتترسّخ لديهم هذه المهارات في جهازهم العصبي المركزي، ويتحوّل هذا الاندفاع إلى سلوك يحقّزهم على العمل والبحث باستمرار.<sup>2</sup>

3\_ حرص المربيّ على تنمية المواهب ورعايتها، واهتمامه بتنمية الجانب العلمي والفكري للموهوبين والمبدعين، ودعم النخبة من المتميّزين مادياً ومعنوياً، واستثمار المواهب والإبداعات في جميع المجالات، لخدمة الأمة الإسلامية كما نصّ عليه المنهج القرآني والنبوي، وذلك بعد فهم القدرات والاستعدادات

<sup>1</sup> \_ علي أحمد مدكور، منهج التربية في تصوّر الإسلامي، ص 283 .

<sup>2</sup> \_ محمد نور الفرادي، أفضل أساليب التربية الحديثة، ص 31 .

والمواهب، وتوجيهها توجيهها سليما صحيحا وفق مؤهلات الموهوب، لأن أفرادا متميزين، يعني مجتمعا متميزا.

4\_ الحرص على تقريب ذوي الكفاءات والمواهب بحسب استحقاقهم، إلى جانب العناية بتصنيفهم وفق التخصصات والمواهب التي برعوا فيها، والإبداعات التي تميزوا بها، واستثمارها لصالح الأمة الإسلامية، كما فعل الملك لما أدرك حقيقة موهبة يوسف عليه السلام، والتي استثمارها لتخليص بلده من مخاطر القحط والجفاف، ومثاله أيضا من السنة، ما رواه أبو قلابة عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينا، وإنّ أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح}.<sup>1</sup>

5\_ استحقاق المتميز والموهوب بإسناد العمل له دون غيره إذا كان أهلا له، وثبتت كفاءته في ذلك، وإنزاله منزلته، وإظهار أفضليته فيما برع فيه، عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يؤمّ المسلمين في الصلاة، الذي يرويه عنه أبو سعيد الأنصاري رضي الله عنه، بقوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سلما، ولا يؤمّن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلاّ بإذنه}.<sup>2</sup>

6\_ حرص المربي على إظهار موهبة المترّبي وكفاءته، وألاّ يخفيها أو يُهملها، عملا بحرص النبي صلى الله عليه وسلم على إدراكه لمواهب الصحابة، فلو لم يعرفها لما وصفها، "فلقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُعالج الأوضاع والمواقف ويتعامل مع الأفراد والجماعات بالحكمة المثلى، وكان صلى الله عليه وسلم يتعرّف على قدرات أصحابه واستعداداتهم، ثم يوزّعهم طبقا لها بين مختلف الميادين،

<sup>1</sup> \_ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: 32، ح 3791، 127/6، 128، حديث حسن صحيح .

<sup>2</sup> \_ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد، باب: 53، من أحقّ بالإمامة، ح 673، 302/1، وأبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: 61، ح 582، 277/1، والترمذي في الجامع الكبير، كتاب: المواقيت، باب: 60، ح 235، 274/1، 275، والنسائي في سننه، كتاب: الإمامة، باب: 3، من أحقّ بالإمامة، ح 857، 418/1، 419.



لإعدادهم إعداداً وظيفياً، حتى يُغطّي جميع التخصصات وأنواع القيادات،<sup>1</sup> كما جاء في الحديث الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم: {أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميناً، وإنّ أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح}،<sup>2</sup> وبهذا يكون المرّي قد عمل على تنمية هذه المواهب الإبداعية، بث روح الثقة بنفس هذا المتميّز، وبناء شخصيته السويّة، من خلال تربيته وتوجيهه على أن يكون أميناً على حفظ المسؤوليات الموكولة إليه، وقويّاً على تحملها.

7\_ حرص المرّي على توجيه المترّي الموهوب وتربيته، على أنه مهما بلغ من العلم والعطاء، والموهبة والتميّز ما بلغ، فلا يكفر الله تعالى، ولا يظلم ولا يُفسد في الأرض كما فعل قارون، الذي خسف الله به الأرض لذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّ قَدْرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمُ بِمَا تَكُونُ مَاءً إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُوتٍ بِالْعِصْبَةِ أُولِيَ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْرُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُ إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ (القصص)،

1 \_ عرسان الكيلاني، تطوّر النظرية التربوية الإسلامية، ص 54 .

2 \_ تمّ تخرّيج هذا الحديث في الصفحة السابقة .

بل يجب على المتربي الموهوب أن يشكر الله تعالى بالعمل فيما أوكله إليه، وليعلم أنه لم يبلغ من العلم أقصاه، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء).

8\_ الأمة الإسلامية تحتاج إلى الرجال المتميزين والملتزمين بمسؤولياتهم، ممن يُعدّون الأوائل من الموهوبين والمبدعين، لذلك لا بدّ للأمة أن تعمل جاهدة، بمرئيتها ومعلميها وقوادها ومصالحها، وغيرهم، على إعداد ذوي الكفاءات من أبنائها الأشبال، ليتعلّموا تحمّل أعباء المسؤوليات الموكلة إليهم، وليكونوا مصدر بناء الصرح الحضاري لمجتمعهم ولأمتهم، ولا يتحقّق ذلك إلا بالتوجيه الرّشيد وفق المنهج التربوي الإسلامي عملاً وتطبيقاً.

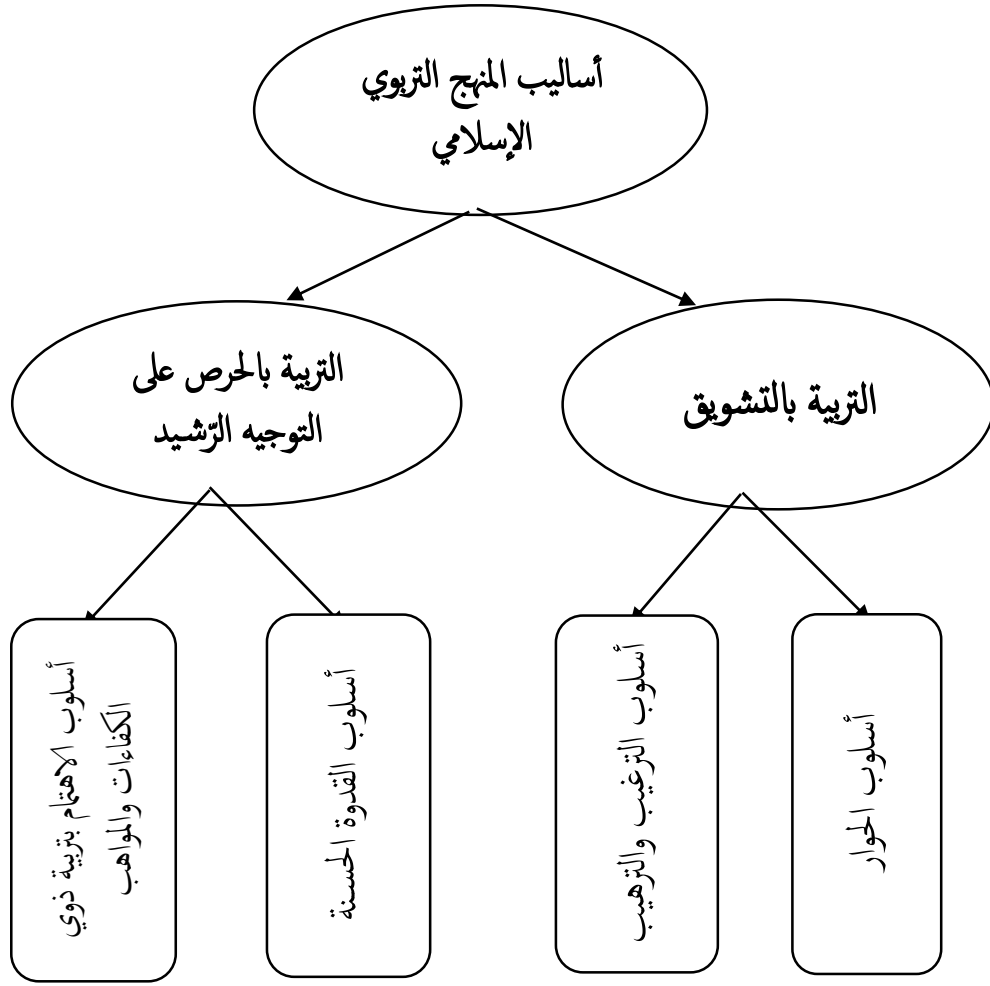
ومن القرآن الكريم بتوجيهاته الرّبانية، ومن السنّة وتطبيقاتها النبوية، ندرك من خلالهما بأن التربية بالحرص على التوجيه الرّشيد، من خلال أسلوب القدوة الحسنة، وشدّة الحرص والاهتمام بذوي المواهب والكفاءات، سواء الوراثة منها أو المكتسبة، تُعدّ تربية ناجحة، تؤتي ثمارها بالتطبيق ولو بعد حين، إلى جانب تحقيقها لهدف المنهج التربوي الإسلامي، والمتمثّل في إعداد الأفراد إعداداً سويّاً، يمكنهم من تمكين دين الله تعالى ومنهجه في الأرض، وتحقيق الخيرية للأمة الإسلامية، وإيجاد الحلول لكل المشاكل المطروحة، انطلاقاً في كل ذلك من مبدأ الحكمة ضالّة المؤمن.

### خلاصة الفصل:

وأخيراً، نخلص في هذا الفصل إلى أن المنهج التربوي الإسلامي، وإن تعدّدت أساليبه وتنوّعت، فقد انتقينا منها ما يحقّق إنجاح العملية التربوية، ويحقّق هدف المنهج التربوي المتمثّل في إرشاد الأفراد وإصلاحهم وفق المبادئ والقيم الإسلامية، وسواء أكانت التربية بالتشويق التي يعمد إليها المرّون، بغية زرع الثقة بنفوس المترّبين لتحفيزهم وإيقاظ همهم وعزائمهم، من خلال تطبيق أسلوب الحوار والترغيب والترهيب، أو التربية بالحرص على التوجيه الرّشيد، التي تهدف إلى الالتزام بما يوافق الفطرة الإنسانية، وبناء الشخصية السويّة، والحفاظ على الهوية الذاتية، والاعتزاز بالانتماء للأمة الإسلامية، تحقيقاً لتنمية المدارك الفكرية، وتعزيز الثقة النفسية، كل ذلك من خلال أسلوب القدوة الحسنة، والاهتمام بتربية ذوي الكفاءات والمواهب، وهذا ما يفرض على المرّبين الاستعانة بكل الوسائل والتقنيات التربوية، وأن يُحسنوا

استعمال الأساليب التربوية والإصلاحية، بما يوافق متغيرات العصر ومتطلباته، وأن يتأقلموا معها أفرادا ومجتمعات، لأن التقدم العلمي والصناعي لأي مجتمع أو أمة، مرهون بمدى تقدمها التربوي الموافق للمنهج الإسلامي القويم.

ويمكن تجسيد هذه الخلاصة في هذا المخطط التوضيحي، كما في الشكل الآتي:



يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحریم)

مخطط توضيحي لبيان أساليب المنهج التربوي الإسلامي

## الفصل الرابع: آليات المنهج التربوي الإسلامي في ترسيخ القيم

### المبحث الأول: آلية العادة في ترسيخ القيم

المطلب الأول: القيم التي يسعى المنهج التربوي الإسلامي لترسيخها

المطلب الثاني: مفهوم العادة كآلية تربوية في ترسيخ القيم

المطلب الثالث: التربية بالتكرار والاستمرار (التلقين النظري)

المطلب الرابع: التربية بالتكرار والاستمرار (الممارسة العملية)

### المبحث الثاني: آلية الإلتزام في ترسيخ القيم

المطلب الأول: التربية على النظام

المطلب الثاني: التربية بالعقوبة

## تمهيد:

إننا نحيا في زمن اختلّت فيه المعاني والمفاهيم والعقليات، بسبب ظهور الفساد بأنواعه النفسية والسلوكية والأخلاقية والاجتماعية وغيره، زمن تعدّدت فيه أسباب المدّ الثقافي الجارف، من قنوات فضائية، وتطورات تكنولوجية، إلى جانب شبكات الأنترنت، ما زاد من حدّة مخاوف الأمة الإسلامية، من انزلاق أبنائها أكثر في هذه الهوّة العميقة، وضياعهم في غياهبها، حيث أن التربية على القيم التي تدعو إلى الإيمان والعلم والعمل، بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، صار لهذه القيم مفاهيم معارضة لحقيقتها، والأغرب من ذلك، تقبّل الوضع والانسجام معه، دون إظهار أي رفض أو نفور \_ إلا من رحم الله \_ فقيمة العقّة والحياء اللذان يُعدّان شعبة من شُعب الإيمان، \_ على سبيل المثال \_ صارا كبتا وانغلاقا يستوجب زيارة الأطباء النفسانيين، ليحلّ محلّه الفسوق والتفلّت عن الدّين، بدعوى التقدّم واللّحاق بالركب الحضاري، وقيمة الصدق الذي يُعدّ منجاة لصاحبه، أصبح اليوم تحلّف وغباء، والكذب صار شطارة وذكاء، .. وغيرها من المفاهيم المغلوطة، والمعايير غير المضبوطة، التي تدعو لسفاسف الأمور عادة لا إلى معاليها.

على هذا الأساس، سنبيّن في هذا الفصل أهمّ آليات المنهج التربوي الإسلامي، التي ترسخ القيم بالنفوس بطريقة ذاتية وتلقائية، والتي تتمثّل في آليتي: العادة والالتزام.

## المبحث الأول: آلية العادة في ترسيخ القيم

إن اكتشاف المنهج التربوي الإسلامي أو البحث فيه بطريقة خاطئة، أو وجود خلل ما في تطبيقه، يعود عليه حتماً بشكل سلمي، في كل ميادين ومجالات المجتمع الإسلامي بشكل خاص، وعلى واقع الأمة الإسلامية بشكل عام، لذلك لا بدّ من النظر بطريقة صحيحة إلى المنهج التربوي الإسلامي، بنظرة متزامنة مع الأوضاع السائدة في الواقع، ليُشكّل الرّبط بين النظرية والتطبيق بما يوافق المنهج الرّبانيّ، توازناً سُنّيّاً يُسهّم في إنجاحه كل عملية تربوية صحيحة، تحاشياً لكل خلل وخطأ يُشكّل التربية الخاطئة ما أمكن.

لذلك، فإن دراسة هذا الفصل، تهدف إلى معرفة الآليات التربوية المساعدة على ترسيخ القيم الأخلاقية الإسلامية في النفوس، بغية تصحيح كل هذه الأخطاء السلوكية الواقعة، أو منع أسوأ التوقعات المستجدة منها، وذلك من خلال هذا البحث، علّنا نتوصّل من خلال منارة المنهج التربوي الإسلامي إلى سبيل يضمن الوصول إلى نتائج مرجوة، وحلول أكيدة لجُلّ المشاكل النفسية، والأخلاقية، والاجتماعية، التي نعاني منها، مع التقليل من نسبة الوقوع في الخطأ، لإنجاح العملية التربوية ما أمكن، \_طمعاً في التغيير، ودعوة للإصلاح \_ خاصة وأن دراسة هذه الآليات في اعتمادها الأساسي على الكتاب والسنة، وتوافقها مع المنهج الإسلامي، تُكسب الأفراد مناعة تربوية تنظّم سلوكهم، وتُربّخ القيم الإسلامية بنفوسهم، مع الأخذ بعين الاعتبار هذا الانفتاح الذي نحياه، وكذا تحدّيات العصر التي تكاد تمحي كل المبادئ الإسلامية، والقيم الأخلاقية الفاضلة، التي يسعى المرثون لغرسها في نفوس المتربّين، خاصة وأن لفظ المرثين اليوم لا يقتصر على الوالدين والمعلمين والدعاة فحسب، ولكن ما يُبثّ على الفضائيات، وما يُتداول على الأنترنت، بات له السبق إلى التربية ولكن بشكل سلمي.

هذا ما يجعلنا نتساءل عن المقصود بالقيم عموماً، والقيم التربوية بصفة خاصة، وهل القيم في شكلها العام، بمجرد تقبّل الناس لها، لاستحسانها في أنفسهم، أو تسليمها لها بمجرد الحكم عليها بما يوافق مصالحهم العامة في بيئة ما، تُعدّ قيماً وإن خالفت القيم الإسلامية؟ وما هي القيم الإسلامية الصحيحة التي نسعى لترسيخها في النفوس؟

هذا ما سنعرفه من خلال القيم التي يسعى المنهج التربوي الإسلامي لترسيخها في نفوس المتربّين.

## المطلب الأول: القيم التي يسعى المنهج التربوي الإسلامي لترسيخها

القيم عموماً كما مرّ معنا في التعاريف اللغوية، والتي يُقصد بها: ثمن الشيء بالتقويم، أو قدره، فهذا يفيد بأننا عندما نُطلق لفظ القيمة، فإن المتبادر إلى الذهن مباشرة أن قيمة شيء أو أمر ما، هو ما رآته النفس ثمينا وغالياً، بحيث تختلف منزلة هذه القيمة وتتفاوت عند كل إنسان، بحسب نظره إلى هذا الشيء أو الأمر، وهذا المعنى قد يقرب المراد الذي نسعى من أجل توضيحه، لكن ليس بالقدر الذي نحتاجه لبيان القيم الخاصة بالمجال التربوي، والتي تُخدم بحثنا هذا، أي: "لا نقصد إلى الحديث عن القيم في مفهومها العام، أو في دلالاتها التي تربطها بالماديات، كالثمن والنفعة وما إليهما مما يتعلق بالمعاملات المالية، وما هو شبيه بها من مبادلات مصلحة؛ ولكننا نقصد إلى تناولها في بعدها الخلقي .. بكل ما يشكل هذا البعد من عناصر تتدخل لتنتج صفات شخصية تحمل الفرد والجماعة، وتحمدهما حين يتحليان بها ويدركان سموا ورفعة في ذاتهما، وإكباراً وتقديراً عند الغير."<sup>1</sup>

نستنتج من هذا التعريف أن القيم أخلاق أو صفات حميدة تتشكّل بفعل عدّة عناصر، إذا تحلّى بها الشخص بثّت في نفسه السموّ والرفعة، وبعثت غيره على تقديره والإكبار به.

في حين، نجد الدكتور صالح الدقلة<sup>2</sup> في بيانه للقيم ضمن دورة تدريبية، تدور حول أساسيات بناء القيم، ذكر بأن القيم ليست شيئاً ولا موضوعاً ولا شخصاً، وإنما هي المعاني التي تربط بين الإنسان والأشياء والأشخاص والمواضيع وغيرها، كما أن هذه المعاني تُبنى في الإنسان، لتنمو في نفسه كلما زاد إدراكه، وتقلّ فيها كلما قلّ هذا الإدراك، ثم يوضّح بأن من سمات القيم أنها غائية، لأنها تجد قبولاً لدى الناس لكونها مُثلٌ عند الجميع، لذلك كانت الدعوة الإسلامية في بدايتها تهدف إلى مكارم الأخلاق\_ لأنها مقبولة ومثالية، كما تجد صدى في نفوس الناس، وتحقيقها تطمئنّ النفوس وترتاح، كانتشار الفضيلة والعدل والأمانة، وغيرها، فالإنسان لا يستطيع إلغاء القيم من نفسه أو الاستغناء عنها، سواء طبّقها وعاشها أم

<sup>1</sup> - عباس الجراري، قضايا للتأمل برؤية إسلامية، 2/156 .

<sup>2</sup> - د. صالح الدقلة، دورة تدريبية بعنوان: أساسيات بناء القيم .

لا، لعلمه بأن الحياة لا تستقيم بدون قيم تحكمها، كما أن المجتمع لا يمكنه أن يُبنى بعيداً عن القيم، كونها معياراً يرينا الصحيح من الخطأ في سلوكياتنا، وبعدها يُعرّف القيم على أنّها:

معياري يحكم السلوك، أو هي غاية معنوية نسعى لتحقيقها، كالحرية والاجتماع والاتحاد والنصر...، وتحقيق هذه القيم تجد النفوس راحتها.

يتبيّن لنا من خلال هذا التعريف، بأن القيم معانٍ في النفس تربطنا بالأشياء، لتُصبح معياراً يتحكّم في منع السلوك، أو تشجيعه، أو تهذيبه نحو الأحسن، لتحقيق الراحة النفسية.

ولكن من خلال هذان التعريفان للقيم نتساءل:

على أي أساس بُنيت هذه القيم لتكون صفات حميدة تبعث السموّ والرفعة في النفس، وتُحدث فيها ارتياحاً عند تحقيقها؟ وعلى أيّ أساس تُعدّ معياراً يتحكّم في السلوك بالردّ أو القبول؟

لقد وردت عدّة آراء حول مصدر القيم، ولكل رأي منها اتجاهه الذي اعتمده، فكان كما يلي:

"الرأي الأول: يرى أن مصدر القيم هو الإنسان، فهو مقياس كل شيء، وهو الذي يحدّد الخطأ من الصواب، والقبيح من الجميل،..الرأي الثاني: يرى أن مصدر القيم هو الطبيعة وقوانينها، التي تتطلب أن تكون هناك قيم تتفق مع العقل، ومع طبيعة الأشياء،.. أما في الإسلام، فإن مصدر القيم هو الدّين، الذي هو مصدر كل القيم، لأنه دستور المسلمين، الجامع والشامل لكل القضايا التي تتعلق بحياة الإنسان."<sup>1</sup>

إن كان الإنسان، أو الطبيعة وقوانينها، هما مصدر القيم، فهذان الرأيان لا يستندان على أصل ثابت، لأن العقل لا يُحتكم إليه في الحكم على صحة القيم أو خطئها، لما فيه من نقص وقلة حكمة، فقد يصحّ أحياناً، كما يُخطئ في أحيان أخرى، ولأن الكمال لله تعالى، فإن أصحّ مصدر للقيم كلها، هو الإسلام.

ولزيادة البيان أكثر، علينا بالرجوع إلى التعاريف التي أوردها العلماء للقيم الإسلامية، لنذكر بأن الأساس الذي بُنيت عليه هذه القيم هو الإسلام، فهو من جعلها تتميز بكل هذه السمات، وهو من أكسبها هذه

<sup>1</sup> \_ صبحي حمدان أبو جلاله، ومحمد حميدان العبادي، أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة، ص 275، 276.



الصلاحية للحكم على السلوك، لذلك نجد الدكتور محمد أمين الحق، يُعرِّف القيم الإسلامية بعد عرضه لعدد من التعاريف والتصوّرات لها بقوله:

"القيم الإسلامية هي (مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة)<sup>1</sup>، ومن التصورات الأخرى لمفهوم القيم الإسلامية، ما ذكره بعض الباحثين عندما قال: (القيم الإسلامية حكم يصدره الإنسان على شيء ما، مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك)<sup>2</sup>، فيتضح لنا أن القيم هي تلك المعايير الأخلاقية الإسلامية التي تسير عليها حياة الفرد والمجتمع، ويمكن باتباعها أن يصل إلى درجة الكمال.<sup>3</sup>"

كما يشير الدكتور عباس الجراري إلى القيم الإسلامية في قوله: "وحين نتأمل هذه القيم - كما يراها الإسلام - نجد أن هذه الرؤية تبدأ من اعتبار القيمة خلقًا يتجسم في كل ما هو خير وما هو حسن، مما ترقى به الصفات إلى درجة الصلاح والكمال، في مقابل كل ما هو شر وما هو قبيح، مما لا يفضي إلى غير الفساد والنقصان، والأمر في الحالين - أي في حال الخير أو الشر - لا ينشأ عن الطبع أو الفطرة، ولكن ينتج عما يكون تربي عليه الإنسان وتكون في أحضانه، وما اكتسبه في الأسرة والمدرسة والمجتمع والبيئة عامة، بالتعلم والتثقف والاحتكاك والتعامل والممارسات المختلفة وما يرتبط بها من تقليد ومحاكاة، وإن كان للجيلة - حين تكيف كما سنرى - أثر في التهيؤ والاستعداد، وفي إبراز الميول والدوافع للاختيار.<sup>4</sup>"

<sup>1</sup> - علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، بيروت، دار طيبة، ط1، 1980م، ص34 .

<sup>2</sup> - صالح بن عبد الله وآخرون، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، د.ت، 81/1، لم أتمكن من الرجوع إلى أصل هذه التعاريف.

<sup>3</sup> - محمد أمين الحق، القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، ديسمبر 2012م، ص337 .

<sup>4</sup> - عباس الجراري، قضايا للتأمل برؤية إسلامية، 156/2 .

يرى صاحب هذا التعريف أن القيم الإسلامية، تتجسّم في كل ما يوافق الفطرة السليمة من خير وُحُسْن، لترقى بصاحبها بفضل التربية والممارسة العملية إلى درجة الصلاح والكمال، وذلك بضبط وتهذيب ما في الإنسان من قوة أودعها الله فيه، دون إلغائها، أو الدعوة إلى التجرّد من فعل الذات، وهذا ما أورده حين قال بأن "القيم بطبيعتها توافق السجية في حال سلامتها واستوائها، إن لم تكن هي هي، والقيم بهذا إدراك معرفي وإرادة نفسية يتدخل فيهما العقل والشعور، ليتبلور في ممارسات يجليها الواقع، عبر السعي إلى تحقيق غايات معينة، وفي معايير ثابتة ومقاييس موضوعية تحكمها تعاليم ملزمة، وتوضحها تطبيقات منضبطة، وترسخها تقاليد متداولة ؛ لكن دون التجرد من فعل الذات، بكل ما يعمل فيها من مؤثرات تتدخل في التمييز، ثم في توجيه الرغبات، مما يعكس مدى الالتزام بما تفرضه تلك المعايير والمقاييس وما لها من سلطة، كما يعكس رد فعل الآخرين تجاه هذا السلوك، ومما يثير في النهاية معادلة ثنائية بين ما هو فردي وما هو جماعي، ثم بين ما هو ظاهر وما هو باطن، وكذا بين ما هو صواب وما هو خطأ".<sup>1</sup>

لجمع بين التعاريف السابقة، نستطيع القول بأن:

القيم عبارة عن معاني تربط بين الإنسان والأشياء، إذا ارتقت هذه القيم من بسطة إلى قيم أعلى موافقة للمنهج التربوي الإسلامي، أصبحت مبادئ ومعايير تتحكّم في الأشياء من حيث المنع أو التشجيع أو التهذيب، ليرقى سلوك الإنسان بذلك من خلال التربية والتوجيه، إلى درجة الكمال والصلاح.

ولما كان الأخذ بالقيم الإسلامية والالتزام بها، اتّباع للحق وفق ما أمر الله تعالى به، كان الأخذ ببعض القيم بما يوافق المصالح والأهواء وترك ما يخالفها، يُعدّ غلقاً لباب الاستمساك بالحق والثبات عليه.

## المطلب الثاني: مفهوم العادة كآلية في ترسيخ القيم

بالعودة لمعاجم اللغة العربية، نجد بأن الزبيدي، يعرّف العادة على أنها "تكرير الشيء دائماً، أو غالباً على نهج واحد بلا علاقة عقلية، وقيل: ما يستقرّ في النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عند الطباع السليمة، ونقل شيخنا عن جماعة أن العادة والعرف بمعنى، ..وتعوّده ..وعاوده، ..واعتاده، ..كل ذلك بمعنى: جعله من عاداته، وفي اللسان: أي صار عادة له، ..وعوّده كذا فاعتاده، أي: صيرّته له عادة".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ عباس الجارري، المرجع نفسه، 157/2 .

<sup>2</sup> \_ الزبيدي، تاج العروس، 443/8، 444 .

ويعرّف الراغب الأصفهاني العادة في كتابه المفردات، فيقول: "والعادة: إسم لتكرير الفعل والانفعال، حتى يصير ذلك سهلاً تعاطيه كالطبع، ولذلك قيل: العادة طبيعة ثانية، .. وإعادة الشيء كالحديث وغيره: تكريره."<sup>1</sup>

يقول الدكتور عباس الجراري: "أما العادات، فهي التي اعتاد الناس عليها وكرروا ممارستها، إلى حد أصبحت تقاليد يتبعونها، ويتداولونها جيلاً إثر جيل بعفوية وتلقائية، في استسلام لا واعٍ في الغالب، لما توحى به أو تدعو إليه من قول أو فعل، إذ تكون امتزجت بوجودهم، وخالطت حياتهم، وتحكمت بذلك فيما يصدر عنهم من فكر وسلوك، وإنها لتجلى في كل المناسبات التي تصاحب أطوار الإنسان، وفي جميع مظاهره الحيوية ومعاملاته، وكذا في علاقته بالأرض وما فيها من كائنات حيوانية ونباتية."<sup>2</sup>

يرى صاحب هذا التعريف بأن الناس إذا اعتادوا على أمر ما، بفعل ممارستها المتكررة له، فإنه يصبح بذلك تقاليد راسخة تُمارس بعفوية وتلقائية، أما إذا مورست بعفوية كاملة، وباستسلام تامّ وبلا وعي ولا إدراك يُذكر، فهذا ما أشار إليه محمد قطب رحمه الله بقوله: "العادة .. تؤدّي مهمة خطيرة في حياة البشرية، فهي توفر قسطاً كبيراً من الجهد البشري، بتحويله إلى عادة سهلة ميسرة، لينطلق هذا الجهد في ميادين جديدة من العمل والإنتاج والإبداع، ولكنها على عظم مهمتها في حياة الإنسان، تنقلب إلى عنصر معوّق معطل، إذا فقدت كل ما فيها من (وعي) وأصبحت أداءً آلياً لا تلتفت إليه النفس، ولا ينفعل به القلب."<sup>3</sup>

إن غياب عنصر الوعي والإدراك أحياناً عند ممارسة قيمة ما، فيما اعتيد عليه الإنسان، حتماً يعود إلى عدم فهم هذه القيمة أو هذا الخلق المعتاد عليه، لأن أي قيمة إذا لم يشعر الإنسان بأهميتها، ولم يفهم معناها الحقيقي، لم يتذوّق حلاوتها ولا الإحساس بها عادة، وهذا ما نلاحظه بيننا كثيراً، إذ معظم العادات والتقاليد التي تُمارس، بل حتى الشعائر الإسلامية قد تُؤدّى بلا روح ولا إحساس، إما بحكم الوراثة، أو البيئة، أو التنشئة، فلو وعينا بقلوبنا ووجداننا أهمية كل ما نقوم به، وما نمارسه بمقتضى هذه الحقيقة، ولو عملنا بما علمنا وأدركنا الحقائق المحيطة بنا، لتغيّر حالنا، ولكانت نظرتنا للأشياء أبعد، ولأصبحت حياتنا

<sup>1</sup> \_ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 457/2 .

<sup>2</sup> \_ عباس الجراري، قضايا للتأمل برؤية إسلامية، 95/2 .

<sup>3</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 200/1 .

بذلك أسعد، وهنا يتجلى دور المرّي في ترسيخ القيم الإسلامية في نفوس المترّين، ببيان حقائق الأشياء ومعانيها، دون تقديم لها جاذبة وفارغة، ليتمّ بذلك تحقيق الهدف الذي يرنو إليه المنهج التربوي الإسلامي.

وإذا كان الوعي والإدراك هو الهدف المراد من العادة، فإن "الإسلام يستخدم العادة وسيلة من وسائل التربية، فيحوّل الخير كله إلى عادة، تقوم بها النفس بغير جهد، وبغير كدّ، وبغير مقاومة، وفي الوقت ذاته يحول دون الآلية الجامدة في الأداء بالتذكير الدائم بالهدف المقصود من العادة، والربط الحيّ بين القلب البشري وبين الله، ربط تسري فيه الإشعاع المنيرة إلى القلب، فلا ترين عليه الظلمات."<sup>1</sup>

يرى سيد قطب بأن الإسلام يسعى لتحويل كل خير إلى عادة، عملاً بما يهدف إليه المنهج التربوي الإسلامي، وإذا كان هدف التربية الإسلامية الصحيحة يسعى إلى تحقيق الإصلاح والخيرية في نفوس الأفراد والأمة، من خلال ترسيخ القيم الإسلامية بها، "وإذا كانت القيم أخلاقاً تنشأ في الإنسان وتنمو معه لتصبح عادة راسخة، عنها تصدر جميع أفعاله، فإن هذه الأخلاق لا تكون حميدة، أي لا تكون قيماً إيجابية إلا حين تقرن بالفضائل التي هي موقف بين رذيلتين، وقد جمعها كثير من الفلاسفة وعلماء الأخلاق في أربع خصال:

1\_ العدالة: وهي بين الإفراط والتفريط، وقد اعتبرها البعض جماع الفضائل.

2\_ الشجاعة: وهي بين التهور والجن.

3\_ العفة: وهي بين الشره وحمود الشهوة.

4\_ الحكمة: وهي بين الخبث والبلاهة .

هذا، مع العلم أن الوسط في كل تصرف كيفما كان هو الخير، إذ (خير الأمور أوسطها)، وأنه هو روح الإسلام الحق: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة)، وحين تقترن القيم بفضائل تكتسب على هذا النحو وفي هذا السياق، فإنه يكون من السهل على المرء أن يأتي بفعل حسن دون تكلف، طالما أنه قد نشأ وترى عليه واقتنع به، وغدا عنده مراسا عفويا وتلقائياً لا يهدف منه إلى التفاخر والمباهاة، وما

<sup>1</sup> \_ محمد قطب، المرجع نفسه، 200/1 .

يغذي الأنانية أو العصبية الجنسية أو القبلية، على نحو ما كان معروفا في المروءة عند عرب الجاهلية، ولكن تقربا إلى الله وزلفى، وتحقيقا للأهداف النبيلة التي أناطها بالإنسان وحمله من أجلها الأمانة.<sup>1</sup>

والذي يؤكّد صحة هذا القول هو حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي يرويه يونس بن ميسرة بن حلبس، قال: "سمعت معاوية بن أبي سفيان يُحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنّه قال: {الخير عادة، والشرّ لاجحة، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين}.<sup>2</sup>

لقد خلق الله تعالى عباده وجبلهم على الخير لموافقته للفطرة الإنسانية، وجعل النفس الإنسانية تألف الخير وتميل إليه، وتحرص عليه وتدعو إليه، وهذا ما يجعلها تعتاد على الخير ببسر وسهولة وبدون تكلف، ليصير طبعها بها وسجية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الروم)، يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "والفطرة، أصله اسم هيئة من الفطر، وهو الخلق مثل الخلقة كما بيّنه قوله ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، أي: جبّل الناس وخلقهم عليها، أي متمكنين منها، .. ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف، أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين وجعل تعاليمه مناسبة لخلقهم غير مجافية لها، غير نائين عنه ولا منكرين له، مثل إثبات وحدانية الله، لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح حتى لو تُرك الإنسان وتفكيره، ولم يلقن اعتقاداً ضالاً لاهتدى إلى التوحيد بفطرته.<sup>3</sup>

من خلال هذين التعريفين نستطيع القول بأن:

- 1\_ التربية بالعادة تُرسّخ القيم الإسلامية بالنفس، إذا صاحبها الوعي والإدراك.
- 2\_ لتصبح القيم عادة راسخة بالنفس، لا بدّ من ممارستها بالتكرار والمدوامة عليها.
- 3\_ العادة إذا رسخت بالتربية، أصبحت تُمارَس بعفوية وتلقائية وبدون تكلف.

<sup>1</sup> \_ عباس الجراري، قضايا للتأمل برؤية إسلامية، 157/2، 158 .

<sup>2</sup> \_ أخرج ابن ماجة في سننه، المقدمة، باب: 17، ح 221، 210/1، إسناده صحيح ورجاله ثقات .

<sup>3</sup> \_ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 90/21 .

4\_ القيم تنمو إذا صاحبها الإدراك، وتخبو إذا قلّ هذا الإدراك.

5\_ القيم إذا تحوّلت إلى عادات، فإن السلوك الصادر عنها يكون موافقا لها من حيث الردّ أو القبول.

6\_ القيم تتحوّل إلى عادات حسنة إذا اقترنت بالفضائل.

وإذا كانت التربية على ترسيخ القيم بالعادة تبقى قائمة وغير نهائية، فلا بدّ إذا من العمل على إيجاد البدائل لمحو الرذائل، ولا بدّ من زرع الهمم لبلوغ القمم \_ كما يُقال \_، لذلك، "فالحق أن هذه العادات والتقاليد تصاحب الإنسان في مختلف مراحل حياته، بدءاً من ميلاده إلى وفاته؛ مع عناية خاصة بالآداب السلوكية التي تقوم عليها تربية الأولاد، بهدف ترسيخ العقيدة في نفوسهم، وإثبات الحضور الديني في الأسرة والمجتمع، .. وذلك ما يستدعي الحفاظ على هذه العادات والتقاليد وتهذيبها إن اقتضى الحال، والعمل على تكييفها مع العصر ومتطلباته، وإخضاعها للبحث والدرس والنقد، لمزيد من الاستفادة منها في كل المجالات الحيوية. ولن تتسنى هذه المحافظة ما لم تقم بها كل الجهات المعنية بالتربية والتعليم والتوجيه والتكوين؛ وفي طليعتها: الأسرة والمجتمع، والمسجد والمراكز الدينية، والمدرسة والجامعة، والإعلام بجميع وسائله، والسلطة بأجهزتها المختلفة."<sup>1</sup>

ولتكون التربية على العادة آلية من آليات ترسيخ القيم، لا بدّ من إبراز الجانبين المساعدين لها على تحقيق هذا الترسّخ، واللذان قد نعتبرهما أيضاً آليتين، باعتبار ما يحققانه من نجاح في ذلك، والمتمثلين في عنصري التربية بالتكرار والاستمرار (التلقين النظري)، والتربية بالتكرار والاستمرار (الممارسة العملية)، إذ يستوجب العنصر الأول منهما، بيان كيفية ترسيخ القيم من خلال الجانب النظري، كما يستوجب العنصر الثاني، جانب التطبيق العملي على أرض الواقع، استناداً على المعاني والمفاهيم التي ترسخت نظرياً من قبل، ليكون بيان كل ذلك وفق ما يأتي:

<sup>1</sup> \_ عباس الجراري، قضايا للتأمل برؤية إسلامية، 2 / 117، 118، 127..

### المطلب الثالث: التربية بالتركرار والاستمرار (التلقين النظري)

لا يخرج لفظ التكرار في اللغة على إتيان العمل مرارا، وإعادته أكثر من مرّة، وهذا ما ورد في لسان العرب، بمعنى: "كّر الشيء: ..أعاده مرّة بعد أخرى، ..ويقال: كّرت عليه الحديث.. إذا ردّته عليه."<sup>1</sup> وعلى هذا الأساس، يُعدّ التكرار من الأساليب التربوية الناجحة جدا، والمساعدة على تكوين العادة التي بدورها تُسهّل عملية ترسيخ القيم، لذلك، وضمن هذه الدراسة، سيكون التكرار من بين آليات المنهج التربوي الإسلامي، التي سنسعى لبحثها وفهمها، واستخلاص أهم ما فيها من النظريات، ليتسنى للمرتين الأخذ بها كقاعدة تربوية، يسهل عليهم من خلالها ترسيخ القيم في المترين أثناء تطبيقهم لها، كما يؤكّد استخدام هذه الآلية إنجاحا لعمليتهم التربوية، خاصة إذا قورن هذا التكرار بالاستمرار والدوام. وإذا ما رُبيحت قيمة ما بالنفس، كالعدل، والوفاء، والأمانة، والصدق، والمحبة، والعطف، والإيثار، والبذل، وغيرها، فإن المتبادر إلى الذهن مباشرة، أن ترسيخها تمّ عن طريق التكرار والاستمرار، حتى اعتادها العقل وألفها .

عندئذ نقول بأن هذا هو نهج النبيّ صلى الله عليه وسلم، الذي اتّخذه في تربية أصحابه رضوان الله عليهم، فقد كان صلى الله عليه وسلم يعيد عليهم الكلام مرارا وتكرارا، بغية إيصاله لمسامع الحاضرين، ليفهموه، ويعقلوه، ويرسخ في قلوبهم، وما غايته من هذا التكرار، إلا للتنبيه على أهمية أمر ما، أو التأكيد على وعد أو وعيد، أو غير ذلك، حتى يعتاد المترين على هذا الأمر فلا ينساه، ويرسخ في قلبه وعقله على الدوام.

فقد أورد البخاري حديثا "عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه رضي الله عنهما، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: {ألا أنبئكم بأكبر الكبائر} (ثلاثا)، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: {الإشراك بالله، وعقوق الوالدين}، وجلس وكان متكئا، فقال: {ألا وقول الزور}، قال: فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت."<sup>2</sup> وفي صحيح البخاري أيضا، ما ورد "عن أنس رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، أنّه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا، حتى تُفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم، سلم عليهم ثلاثا."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> \_ ابن منظور، لسان العرب، 135/5 .

<sup>2</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشهادات، باب: 10، ح 2654، 251/2 .

<sup>3</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: 30، ح 95، 51/1 .

كما رُوي "عن عبد الله بن عمرو قال: تخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر سافرنا، فأدركنا وقد أرهقتنا<sup>1</sup> الصلاة، صلاة العصر ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: {ويل للأعقاب من النار}، مرتين أو ثلاثا."<sup>2</sup>

إن المتربّي إذا لم يعهد عادة سيئة، سهل على المربّي تلقينه القيم الإسلامية، وترسيخها في نفسه، لكن لو أن عادة سيئة قد رسخت في نفس المتربّي وتمكّنت منه، أتى للمربّي تغييرها أو إزالتها؟ وما هي الآلية الناجحة التي يعمل على تطبيقها، ليحصل هذا التغيير؟ كما يحصل ترسيخ القيم وتثبيتها، لتصبح عادات نفسية سليمة؟

يقول محمد قطب رحمه الله:

"بدأ الإسلام \_ وهو ينشأ في الجاهلية \_ بإزالة العادات السيئة التي وجدها سائدة في البيئة العربية، وأخذ لذلك إحدى وسيلتين: إما القطع الحاسم الفاصل، وإما التدرج البطيء، حسب نوع العادة التي يعالجها، وطريقة تمكّنها من النفس،.. فكل عادة تتصل بأصول التصوّر والعقيدة والارتباط المباشر بالله، فقد قطعها قطعاً حاسماً من أول لحظة،.. الشرك بكل عاداته وتصوّراته،.. كل ذلك قطعه من أول لحظة،.. وكذلك العادات النفسية، من كذب وغيبة ونميمة وغمز ولمز وكبر.. كان لا بدّ من مواجهتها بمواجهة حاسمة، وإن كانت الوسيلة إلى ذلك هي التوجيه المحيي للقلب،.. وكلها عادات يمكن أن تنتقل فيها النفس \_ باللمسة الموحية \_ في لحظة واحدة من أقصى الشمال، لأقصى اليمين، دون تدرّج ولا إبطاء."<sup>3</sup>

إذا كانت إزالة العادات السيئة في بداية الإسلام، وخاصة العادات النفسية، تُزال بالقطع النهائي، فلأن ذلك كان طوعاً لا كراهية فيه، لأن الإسلام بنوره ودلائله وبراهينه، جعل كل من عاش شقوة الكفر، من جهل وظلم وضلال، يدخل في الإسلام راغباً، وهذا ما أحدث في النفوس آنذاك نقلة نوعية، أحيا فيها التغيير قلوباً لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، حيث أدّى تأثر النفوس بالتوجيهات التربوية الإسلامية، إلى تغيير

<sup>1</sup> \_ الإرهاق: الإدراك والغشيان .

<sup>2</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: 30، ح96، 51/1 .

<sup>3</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 201/1 .



الأفكار والتصوّرات، والسلوك والعادات، نتيجة الإزالة التامة للعادات النفسية الجاهلية، والترسيخ التام للمبادئ والقيم الإسلامية .

ولكن نحن الآن كوننا نعيش في أمة إسلامية، وندين بدين الإسلام، هل ترسيخ القيم الإسلامية فينا، وإزالة العادات السيئة منّا، ينطبق علينا مثل ما حدث في بداية الإسلام مع أهل الشرك والكفر؟ مع العلم أننا بأفكارنا وتصوّراتنا وسلوكياتنا التي بعُدت عن الإسلام، بفعل التحديات والفتن والمغريات، نسير نحو الجاهلية الأولى؟ فما الحل إذا؟

للإجابة على هذه الأسئلة، يجب أن نقول، ونحن على يقين تامّ وأكيد، بأن الإسلام هو الدين الباقي إلى يوم القيامة، لعلم الله تعالى بأن هذا الدين، هو الأصلح لكل زمان ومكان، مهما ظهر من مشاكل، وما سيظهر من تحدّيات أكثر في المستقبل، وأنه لا سبيل لإنجاح العملية التربوية، وإحداث التغييرات النفسية والاجتماعية، إلا بالعودة إلى التربية الإسلامية الصحيحة، المستقاة من مصادرها الأصلية، من قرآن وسنة.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء). ذكر ابن كثير في تفسيره لمعنى هذه الآية بقوله: "يقول تعالى مخبرا عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ (فصلت)، أنه: ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يُذهب ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق، وشرك وزيف وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله، وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقته واتبعه، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وتكديبا وكفرا، والآفة من الكافر لا من القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِدَاهِ ءِإِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة).<sup>1</sup>

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 70/9 .

من تفسير هذه الآية، وغيرها كثير، نستطيع القول بأنه: من غير دين الإسلام "ما من دين استطاع أن يقدم للمؤمنين ما به سكينه النفس وطمأنينة القلب، ويحجب عنه الانحراف والاضطراب والتمزق والضياع، وتلك أبلغ مطالب الإنسان وأقوى تطلعاته، بل إن رفاهية الإنسان الحققة هي في إيمانه وسكينته وطمأنينة قلبه، وكرامته المثلى في أن يكون زاكياً فوق مطالب الأديان ودوافع الغرائز، وإذا كان هذا هدف الحضارة الحققة وأمل البشرية الأكبر، فإنه لن يتحقق إلا بالدين والإيمان واليقين، وكل سبب من أسباب الطمأنينة والأمن والرضى منتزع من الإنسان بانتزاع نفسه من الدين، .. ولقد جعل الإسلام للقيم سُلماً وأوليات وحصصاً، وجعل ترتيب هذه القيم حسب أهميتها، هذه الأوليات والنسب تظل ثابتة، فإذا تغيرت فسدت المجتمعات وأصابها الاضطراب، فلقد جعل التوحيد والعمل والجهاد والزكاة والعبادة في مقدمة سُلّم القيم، وجعل للجسم والمال والزينة والمتاع حصصاً أيضاً فلم يغفلها، ولكنه وضع لها مقاديرها وضوابطها، فإذا ذهبنا نقدم الرغبات والأهواء ضعفت نسبة الأعمال الكبرى وقلّ قدرها، وهنا تحدث الأزمات، أزمت النفس والمجتمع، فإذا عاد المسلمون إلى سُلّم القيم مرة أخرى عادت إليهم القوة والكفاءة."<sup>1</sup>

وعلى هذا الأساس، نستطيع القول بأن المشاكل الأخلاقية، والعادات النفسية السيئة وإن تعددت وتعددت، فلا بدّ من وجود حلّ وعلاج لها، يجب بحثه واستخلاصه من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ليتم من خلاله إحداث التغييرات النفسية والاجتماعية اللازمة، وليشكل بذلك تطبيقه حصانة أخلاقية لأبناء الأمة الإسلامية، ولكن ليس بالقطع الحاسم كما رأينا، وإنما نحن الآن في أمسّ الحاجة إلى مرحلة تكون التربية فيها بالتلقين والتدرّج شيئاً فشيئاً، لإنجاح العملية التربوية التوجيهية في ترسخ القيم الإسلامية، وفي إزالة العادات النفسية السيئة.

ولما كانت القيم عبارة عن معاني تربط الإنسان بالأشياء وغيرها \_ كما أشرنا إلى ذلك سابقاً \_ فإن هذه المعاني والمفاهيم، لكي تتكوّن عند المتربّي بالتلقين المتكرّر والمستمرّ، ولكي تصبح عادة بفضل القناعات المغروسة بالنفوس، ولتنسخ كل ما سبقها من معاني خاطئة \_ لأن العادة إذا رسخت نسخت \_ كما يُقال \_ أي: إذا ما استقرّت في الإنسان عادة ما، أزلت ما كان عليه قبلاً، سواء الخير أو الشر، فإننا نحتاج إلى جانب إنجاز العملية التربوية في غرس القيم وترسيخها، إلى اتّباع عدّة أمور، نذكر من أهمّها ما يأتي:

<sup>1</sup> \_ أنور الجندي، دراسات في الإسلام، ص 15، 17 .

## — إشعار المترّي بأهمية القيمة:

لا بد للمترّي قبل أن يريّ على قيمة ما، أن يبيّن معناها ومفهومها للمترّي حتى يُحسّ بها بعد أن يفهمها، إضافة إلى أهمية هذه النقطة، يشير الدكتور صالح الدقلة<sup>1</sup> إلى أمر آخر في نفس السياق، وهو أن يُعطي المترّي نسخة من المعاني المرتبطة بشيء ما، أو القيمة التي يريد أن يرسخها في المترّي، ليشاركه الاهتمام بها، والشعور بأنّها ذات قيمة وأهمية، فإذا ما رأى المترّي تعامل المترّي مع هذه القيمة، والاهتمام المتكرّر والدائم بها، فإنه مباشرة يهتم ويشعر بشعوره، كأن يُكثر المترّي الحديث عنها، ومدحها، أو ذكر محاسنها وفوائدها، وأفضالها وغير ذلك، ممّا يُورث في المترّي تأثراً بها كلّما ورد ذكرها، ليُحدث في نفسه قناعة وجدانية اتجاهها، وبهذا التكرار والاستمرار تُرسخ القيمة في النفس مباشرة، بحيث تصبح عادة مألوفة مسلّم بها، تُطبّق آلياً وبلا تفكير، وبدون إنفاذ لأي مجهود، إضافة إلى بلوغ الوعي والإدراك لها.

فإذا تضخّم الجانب المعرفي لدى المترّي، دون حدوث الفهم واليقين، والاهتمام والتبيين، أثناء التربية والتلقين، ودون حصول القناعة الوجدانية، أو بلوغ الوعي والإدراك لها، ناهيك عن مباشرة السلوك العملي لهذه القيمة، فإنّها لا محالة تفقد مكانتها في نفس المترّي، وسرعان ما تُنسى.

لذلك، يجب على المترّي أن يكون:

— حكيماً في نظره للأشياء، وفي دعوته إليها، عند بيانه للمعاني والمفاهيم المراد تأصيلها في المترّي، أثناء العملية التربوية والتوجيهية.

— متفنّناً في الأساليب التربوية، ليفتح المجال للمترّي، في مشاركته فهم القيمة المراد ترسيخها، والشعور والاهتمام بها.

— حاذقاً في بثّ التأثير بنفس المترّي تجاه هذه القيمة، وذلك بمراعاته للفوارق العمرية والفكرية.

— ملازماً للتكرار والاستمرار، لتنمية المعاني المبتوثة في النفوس، ليتّم بذلك تثبيتها.

— ماهراً في إحداث قناعات المترّي الوجدانية تجاه قيمة ما، وتحويلها إلى عادات نفسية راسخة.

<sup>1</sup> — د. صالح الدقلة، دورة تدريبية تدور حول أساسيات بناء القيم .

## الصبر:

إن "الصبر خلق نفسي فطري أو مُكتسب، من آثاره: القدرة على الدأب في الأعمال الظاهرة أو الباطنة، وعلى تحمّل المشقّات النفسية والجسدية، ممّا يخالف أهواء النفس وشهواتها ورغباتها، في فعل ما تكره فعله، أو ترك ما تحبّ فعله، .. والصبر من أجلّ الصفات النفسية ذوات الأثر في السلوك الظاهر والباطن، وذوات القيمة الثمينة ممّا يتحلّى به العقلاء ذوا الإرادات القوية، والأنفس العالية الركيّة".<sup>1</sup>

ولذلك، يُعدّ الصبر زاد الأنبياء والدعاة، خاصة وأن رحلتهم الدعوية في الإصلاح والتوجيه تحتاج لزمان طويل، ولكون التربية فريضة دينية، وضرورة حتمية، كان لزاما على المرّي أثناء العملية التربوية، أن يسير على خُطى الأنبياء والدعاة، في تحلّيه بالصبر الدائم، والأناة والمعاناة، دون غضب منه ولا تعنيف للمترّي، لأن غرس القيم يحتاج إلى زمن طويل، ودوام أطول، والمرّي الذي لا يملك المهارات اللازمة في استيعابه للمترّي وفهمه، واستغلاله للمواقف التي تعينه على اختيار أنسب الطرق في تربيته، ثم يستعجل القطاف، فلا شك من أن هذا المرّي سيفشل مع أول عملية تربوية، "فقد يبذل المرّي جهدا كبيرا، ثم لا يرى نتائج مرضية، فعليه أن يصبر، لأن من طبيعة التربية أنّها لا تؤتي ثمارها عاجلة، وقد يُجارب المرّي ويؤذى، فعليه أن يصبر، لأن هذا الصبر هو عدة التغيير الذي يبتغيه، ونحن إذا رجعنا إلى سيرة المرّي الأعظم صلى الله عليه وسلم، نرى أنه عليه الصلاة والسلام كان العلم المرفوع في الصبر، صبر على أذى قومه له في بدنه، وعلى أذاهم له في نفسه، حتى اتّضحت لهم الأمور، وتبيّن لهم نبل مقصده، فانقلب بغضهم له إلى حبّ، وأذاهم إلى إيثار".<sup>2</sup>

ففي كتاب الله تعالى، استيعاب تامّ لصبر الأنبياء والرسل عليهم السلام، أثناء دعوتهم لأقوامهم مرارا وتكرارا، والصبر على تربيتهم وتوجيههم وهدايتهم، رغم المعاناة التي يلاقونها منهم، فهذا النبيّ نوح عليه السلام، الذي صبر على مخالفة قومه له، واستهزائهم بدعوته ألف سنة إلا خمسين عاما، رغم ذلك لم يتوان ولم يملّ من دعوته لهم، ولم يدع عليهم، حتى علم ﴿ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ آمَنَ فَلَا تَبْتِئِيسَ

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن حبنكة الميداني، فقه الدّعوة إلى الله، ص125.

<sup>2</sup> \_ يوسف خاطر حسن الصوري، أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتربية، ص 15 .

يَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ (هود)، فقال فيه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (العنكبوت).

كما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم، بالصبر كما صبر الأنبياء قبله، فقال: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْزِ مِنَ الرُّسُلِ ﴿٣٥﴾﴾ (الأحقاف).

ولما كان ثبوت الأنبياء على حجتهم مهما خالفهم أقوامهم، وصبرهم عليهم فرض، كان لزاما على المرتين الالتزام بتربية من يتولون تربيتهم، والصبر عليهم أثناء توجيههم وإصلاحهم، وتصحيح المعاني الخاطئة في أفكارهم، وتهذيب سلوكهم، وترسيخ القيم الإسلامية في نفوسهم، تحقيقا لما يهدف إليه المنهج التربوي الإسلامي في ذلك.

وما دام المتربي لا يتلقى تربيته من المرربي فحسب، بسبب تعدد منابع التلقين المتكررة والمستمرة، من وسائل الإعلام والتكنولوجيا، وصحبة السوء، وما يجرّ للأسوأ عادة، كان لزاما على المرربي ليكسب هذا المتربي، أن يلتزم الصبر ليتمكن من غرس وترسيخ القيم الإسلامية في نفسه، وليستمرّ بذلك العطاء التربوي الإيجابي، من خلال اتباع أهم الخطوات الناجحة الآتية:

1\_ مدّ جسر التواصل بين المرربي والمتربي، ولا يحصل ذلك إلا بالمصادقة والمصاحبة، والنقاش والحوار الذي تملؤه الألفاظ اللينة والمؤثّرة بدل الصراخ، والحركات الرحيمة بدل الضرب والتعنيف، كل ذلك يتطلب من المرربي أن يكون الصبر المتكرّر والمستمرّ، سجية وعادة له، يستطيع بها إكرام المتربي بتربيته على القيم الإسلامية الصحيحة، حتى إذا ما أشعره بالأمان والاطمئنان، كان ترسيخ القيم في نفسه سلسا وناجحا.

2\_ أن يُبدي المرربي بعض التغافل عن أخطاء المتربي بين الحين والآخر، لأن ذلك يبعث على التخفيف من حدّة الغضب والشدة في المحاسبة، ولا يتأتّى ذلك إلا بالصبر الدائم، كي يُجنّب المتربي النفور والعقوق والمخالفة، فلقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يتحمّل هفوات الصغار ولا يعاتبهم، "فعن أنس رضي الله عنه قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ليس له خادم، فأخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنّ أنسا غلامٌ كيسٌ فليخدمك، قال: فخدمته في السفر والحضر، ما قال لي لشيءٍ صنعته: لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيءٍ لم أصنعه: لم لم تصنع هذا

هكذا<sup>1</sup>، مع أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان صغيراً، ولقد كان يصدر منه ما يصدر عن كافة الصغار، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعاتبه، كما كان يعض الطرف عمّا يصدر عنه.

3\_ أن يكسب المريّ ثقة المترّي، حتى يكون له المرجع الأول والأخير عند حدوث المشاكل والأزمات، وهذا ما يُعين عند حلّها، على ترسيخ القيم الصحيحة، والعادات السليمة.

4\_ الصبر في إنصات المريّ للمترّي، واحترامه له، بعدم قطع كلامه، واستشارته، وإشراكه في إبداء الرأي مراراً وتكراراً، يبعث ذلك في نفسه شعوراً بقيمته أمام المريّ، ما يساعده على ترسيخ كل ما يتلقاه عنه من المبادئ والقيم .

5\_ تجنّب الإفراط أو التفريط في العملية التربوية، فلا يكن المريّ بذلك شديداً بلا رحمة، ولا ليّناً لدرجة الإهمال، بل يلتزم في تربيته الطريقة الوسط الممزوجة بالصبر، والتي تعلوها الرحمة الباعثة على زرع المحبة في القلوب، والحزم الذي يبعث على الاحترام والتقدير، وهذا ما يولّد التأثير في المترّي، ويساعد على تثبيت القيم وترسيخها فيه، اقتداءً بنبيّ الرحمة، الذي جعل منه الصبر أعظم نبيّ وخير مربّ، فصلوات الله وسلامه عليه، وهو الذي يقول: {إنه من لا يرحم لا يُرحم}<sup>2</sup>.

6\_ صبر المريّ على أن يكون القدوة الحسنة أمام المترّي، وأن يحرص على أن لا تُخالف أفعاله أقواله.

7\_ صبر المريّ على الاستمرار في الدعاء للمترّي، لإعانتته على تعوّد نهج سبيل الصلاح والرشاد، والثبات عليه.

وبعد بيان كل ذلك، فإن التربية بالتكرار المستمرّ بغية ترسيخ القيم، إذا كانت المداومة عليها بنفس الوتيرة من ألفاظ وجمل معهودة من المريّ، فهذا يبعث المترّي على الملل والسامة لا محالة، كون الإنسان مجبول على صعوبة تقبّل الدروس التلقينية المستمرة مراراً وتكراراً، لذلك يجب على المريّ أن يتفنّن في اختيار الأساليب التربوية بحسب اختلاف الوقائع والأحداث، وبحسب المستويات الفكرية والمراحل العمرية، ليجد

<sup>1</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الوصايا، باب: 25، استخدام اليتيم في السفر والحضر...، ح 2768، 296/2.

<sup>2</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: 18، ح 5997، 91/4، ومسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل،

باب: 15، ح 65، 1095/2، والترمذي في الجامع الكبير، كتاب: البرّ والصلة، باب: 12، ما جاء في رحمة الولد،

ح 1911، 474/3، راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه .

المتربّي ميلا لسماعها وتقبّلها، وحبًا للإقبال عليها وعملها، خاصة إذا تميّز الأسلوب بالتحديد في الألفاظ، والسلاسة في الطرح، ليتّم عندها ترسيخ أهم القيم وتثبيتها في النفس، كما يتمّ إحداث التغيير النفسي والاجتماعي، وإنجاح العملية التربوية، وهذا ما نستخلصه من تكرار ورود القصص في مواطن عدّة من القرآن الكريم، إذ في كل موضع تُطرح بشكل غير الشكل الذي سبقها، وبأساليب مختلفة، إما من ناحية البيان، أو الزيادة والنقصان، أو التقديم والتأخير، أو غير ذلك.

وأخيرا، ما دام تلقين المرّي للقيم الإسلامية نظريا، بالصبر على بيان معناها للمتربّي، وتمكينه من إدراك حقيقتها، والمداومة على تكرارها عليه، يجعل منها عادة نفسية راسخة، تتحكّم بأفكاره وسلوكه، بحيث تصبح ممارسته لها بطريقة آلية وتلقائية، من غير جهد ولا مقاومة.

ولجعل القيم تُحدّث تغييرا في النفس، لا بدّ من اتّباع آلية العادة لترسيخ هذه القيم، بالمداومة على التكرار التربوي والتوجيهي في غرسها، ومن أهمّ ما يجب على المرّي غرسه في نفس المتربّي:

1\_ غرس قيمة الحفاظ على الوقت بالتكرار المستمر، والتعوّد على تقديم الأولويات دائما.

2\_ غرس الإرادة والطموح والهمّة في المتربّي، فإذا ما دفعته التربية بالتكرار والاستمرار على حبّ الإرادة والتعوّد عليها، بذل بذلك إلى بذل الشجاعة والإقدام على العمل المنتج بما يوافق منهج الله تعالى، كون "منهج التربية الإسلامية يُربيّ التربية الإنسانية عن طريق إشعار المتعلّم بضرورة التقيّد بعهد الله، والالتزام بكل ما فيه من المبادئ والأوامر والنواهي، فبغير التقيّد بفعل ما أمر الله به، والانتهاؤ عمّا نهى عنه لا تنبت الإرادة،.. فالإرادة هي مفرق الطريق بين عالم الإنسان وعالم الحيوان"<sup>1</sup>، كما أن "الإرادة الصلبة والهمم العالية، تدفع إلى العمل الجاد والإنتاج المثمر البناء،.. وهذه الهمّة وهذه الإرادة لا تتوقّف عن عجز، ولا تتردّد عن إقدام، لأن التوقّف ليس من سماتها،.. وإن ارتباط المحبّة بالإرادة، يؤكّد أن التربية الإسلامية تسعى إلى تحقيق الشخصية المتكاملة من جميع الجوانب، العاطفية والإرادية وغيرها."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في تصوّر الإسلامي، ص 260 .

<sup>2</sup> \_ حسن بن علي الحجاجي، الفكر التربوي عند ابن رجب الحنبلي، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ط1،

1417هـ\_1996م، ص 189، 190 .

3\_ غرس روح المبادرة مهما كانت الظروف، حتى إذا تعود المتربّي على ذلك، أقبل على الممارسة الذاتية، لتُرسّخ فيه روح التجربة وتحمل أعباء المسؤولية.

4\_ غرس روح التميّز والإبداع في المتربّي، وذلك بالتذكير كل وقت ببطولات عظماء الإسلام، وما حقّقه من إنجازات إسلامية خلفها التاريخ، حتى يحفظها ويعمل جاهدا للسّير على خطاها، ويستخلص منها العبر كل حين.

5\_ غرس الثبات في المتربّي، حتى يُكسبه التعود عليه، رسوخ التوازن الفكري والنفسي والسلوكي معا.

6\_ غرس مجاهدة النفس وتقييمها بالمحاسبة باستمرار، ليكون ذلك للمتربّي عون على القيام بالفضائل وترك الرذائل.

7\_ تكرار عبارات التحفيز المستمرّ على هدف معيّن للمتربّي، مما يجعل ترسيخ هذه الفكرة في نفسه دافعا قويا لهمّته، ما يجعله يسعى جاهدا للعمل على تحقيق هذا الهدف.

8\_ تلقين المتربّي كيفية القدرة على التأقلم مع الظروف، وحسن التعامل مع الآخرين، بكيفية غرس محبتهم، وتفهمهم قبل أن يفهموه، والعمل على تقبّل أعدائهم، والتجاوز عن سيئهم، والتعاون معهم عند تحقيق الإنجازات، وذلك لتكثيف المهارات الفردية، وكسبا للوقت، وتقليل الجهد.

9\_ غرس روح الإصلاح والتمكين في المتربّي، تلقينا متكرّرا، يساعد على ترسيخ هذه القيمة في نفسه. لا بد من استخلاص الاستراتيجيات الدعوية والتربوية من القرآن والسنة ما أمكن، لاستخدامها كآليات تربوية، تعين المرّبين على ترسيخ المبادئ والقيم الإسلامية في نفوس المتربّين، عن طريق إدراكهم لحقيقة المعاني التي يتلقونها، والتي يجب أن يشعروا بها ويتحمّسوا قيمتها، وذلك بالتعود عليها من خلال التربية بالتكرار والاستمرار.

### المطلب الرابع: التربية بالتكرار والاستمرار ( الممارسة العملية)

بعد أن بيّنا التلقين النظري للتربية بالتكرار والاستمرار، نأتي هنا لبيان الممارسة العملية للتكرار، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (البقرة).



يفسّر الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله، كلمة التثبيت في هذه الآية، فيقول: "والتثبيت: تحقيق الشيء وترسيخه، وهو تمثيل يجوز أن يكون لكبح النفس عن التشكك والتردد، أي أنهم يمنعون أنفسهم من التردد في الإنفاق في وجوه البرّ، ولا يتركون مجالاً لخواطر الشحّ، وهذا من قولهم: ثبت قدمه، أي: لم يتردد ولم ينكص، فإن إرضاء النفس على فعل ما يشقُّ عليها، لها أثر في رسوخ الأعمال حتى تعتاد الفضائل، وتصير لها ديدناً، وإنفاق المال من أعظم ما ترسخ به الطاعة في النفس، لأن المال ليس هيناً على النفس، .. ويجيئ على الوجه الأول في تفسير التثبيت، معنى أخلاقي جليل أشار إليه الفخر، وهو ما تقرّر في الحكمة الخلقية أن: تكرّر الأفعال هو الذي يوجب حصول الملكة الفاضلة في النفس، بحيث تنساق عقب حصولها إلى الكمالات باختيارها، وبلا كلفة ولاضجر، فالإيمان يأمر بالصدقة وأفعال البرّ، والذي يأتي تلك المأمورات، تثبت نفسه بأخلاق الإيمان، وعلى هذا الوجه، تصير الآية تحريضا على تكرير الإنفاق"<sup>1</sup>.

ما نستنتجه من تفسير ابن عاشور رحمه الله، أن التثبيت: هو ترسيخ الشيء، وعدم التردد في الإقبال عليه. وما دامت النفس أمارة بالسوء، وأن ما تدعو إليه الفضائل يشقّ عليها، فإن ترسيخها بها، لا يتم إلا بترويضها عليها، حتى تصير ديدناً وعادة لا تنفك عنها، وأن تثبيت الفضائل والقيم يُعدّ معنى أخلاقياً، لا يتم حصوله إلا بتكرار الأفعال، والاستمرار عليها، حتى إذا اعتادت عليه النفس، وصار حصول هذا الفعل بلا كلفة ولا ملل، صار للنفس ميل لاختيار فعله.

وبذلك يتمّ تثبيت وترسيخ كل المبادئ الإسلامية، "وكذلك كل العادات النفسية، من صدق ووفاء، ومحبة، وعطف، وبذل، وإيثار، .. والإسلام يلجأ في ذلك أولاً إلى إثارة الوجدان، وإنشاء الرغبة في العمل، ثم يُحوّل الرغبة إلى عمل واقعي، ذي صورة محدّدة واضحة السمات، فيلتقي الظاهر والباطن ويتطابقان ويتكافآن: رغبة وسلوكاً، ثم يُحوّل الرغبة والعمل من مسألة فردية إلى رباط اجتماعي، .. وكذلك كل عادة من عادات الإسلام، تبدأ باستحياء الرغبة، ثم تتحوّل إلى عمل حيّ، لا يُكلّف أدأؤه شيئاً من الجهد، وهو مع ذلك رغبة واعية، لا أداءً آلياً مجرداً من الشعور."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 51/3، 52 .

<sup>2</sup> \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 204/1 .

إذ "يُحْصِلُ التَّعَلَّمَ وَيُصِلُ قِمَّةَ الفَهِمِ، حينَ يطبَّقُ الفِردَ ما يَحْفَظُهُ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ (النساء)، ولقد كان هذا المبدأ أساسياً في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ذكره ابن مسعود رضي الله عنه، فقال: كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يُجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ، والعمل بهنّ، وذكره أبو عبد الرحمن السلمي، فقال: (حدّثنا الذين كانوا يُقرؤوننا أنّهم كانوا يستقروّون من النبيّ صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا تعلّموا عشر آيات، لم يخلّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً).<sup>1</sup> 2

إنّ العادة الإسلامية إذا رُسِّخت بالتلقين تكراراً واستمراراً، تثير الوجدان، الذي بدوره يُحوّل هذه الرغبة إلى عمل تطبيقي على أرض الواقع، لا يُكلّف شيئاً من الجهد أو الململ، لكون كلّ من الرّغبة والعمل قد بُنِيَ على أهمّ أساس، وهو الإدراك والوعي لهذه القيمة، والإحساس والشعور بمعناها.

إضافة إلى هذه الأقوال، فإنّ "التربية الإسلامية تمثّل المنهج الذي يحقّق التطبيق الفعلي للتشريع الإسلامي، لأنّ الإسلام ليس جانباً علمياً معرفياً فقط، بل يهدف إلى التطبيق العملي، والعلم وسيلة لتحقيق الجانب التطبيقي الصحيح، الذي يرسم للإنسان سبيل الهدى، الذي جاء به جميع الأنبياء عليهم السلام، وآخراًهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم،.. وبهذه البعثة النبوية المباركة، وبالمنهج التربوي النبوي، الذي تربيّ عليه الصحابة رضي الله عنهم، تغيّر مجرى التاريخ وحياة البشرية، وأنقذ الله على يديه أمماً ومجتمعات."<sup>3</sup>

وعلى هذا الأساس، نستطيع القول بأنّ القيمة الإسلامية، إذا تلقّاها الإنسان، وشعر بمعناها، وأثارت وجدانه، فقد آمن بها، وترجمان ذلك كلّهُ هو العمل، والدليل على رسوخ هذه القيمة، هو تلازم الفعل بما وقر في النفس، لأنّ البدن يُصدّق ما ثبت في القلب، ويتحرّك وفقه، وأما إذا انتفى التلازم بين الظاهر والباطن، فذلك ادّعاء، لأنّ الأصل في اقتران الإيمان في القلب بالعمل الصالح، يستوجب الملازمة بينهما، ودليله ورود تكرار ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ في القرآن الكريم.

<sup>1</sup> \_ تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/1 .

<sup>2</sup> \_ ماجد عرسان الكيلاني، تطوّر مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ص56، 57 .

<sup>3</sup> \_ خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص5 .

كما أن اقتران العلم بالعمل يستوجب الملازمة بينهما، لأن "العلم في المنهج الإسلامي يقصد به المنهج العلمي، ولا يوجد في الإسلام إلا منهج علمي واحد، وإن اختلفت تقنياته وأساليبه، فالعلم له رجلان هما: النظرية والتطبيق، أو التفكير والعمل بلا انفصال بينهما، وبناءً على هذه النظرية لا يوجد علم نظري وآخر عملي أو تطبيقي، وليس هناك صراع بين النظرين والتطبيقيين،.. إن الأمة الإسلامية عندما كانت تحافظ على هذا الدستور، وعلى الروح الإسلامية الحقيقية، كانت أعظم الأمم إنتاجاً، وأعظمها خبرة وإتقاناً، فلما انحرفت عن مفهوم العمل هذا، كما انحرفت عن غيره من المفاهيم، ضعف الإنتاج وضعفت الأمة كلّها."<sup>1</sup>

لذلك، فالمنبع الحقيقي للتربية لا يقوم على الأفعال، وإنما يقوم على ما ثبت في النفس من معاني ومفاهيم، قد ترسخ أثناء التلقين بالتكرار والمداومة عليها لتصبح عادة راسخة، وهذا يفيد بأن السلوك عادة ينتج عن المعاني الراسخة في القلب لتُترجمها، فإذا صحّت المفاهيم، نتجت عنها سلوكيات سويّة وموافقة للمنهج التربوي الإسلامي، وإذا حدث خلل في المفاهيم، فالأفعال تَبَع لها، "لذلك فالعلم وحده لا يكفي، فلا بدّ من تربية الإنسان لنفسه، ليطبّق ما تعلّمه بالاتباع والامتناع، باتّباع المنهج الإسلامي، والامتناع عن كل ما هو ضدّه، وكذلك ليربّي من هو مسؤول عن تربيتهم بوسائل التربية الشرعية المختلفة."<sup>2</sup>

وهذا ما أشار إليه الدكتور صالح الدقلة<sup>3</sup>، حين بيّن بأن للقيم نوعين: قيم سلوكية، وقيم أخلاقية.

أما القيم السلوكية: فمتغيّرة ومرتبطة بالسلوك .

وأما القيم الأخلاقية: فثابتة، وتحكم القيم السلوكية، لكونها أعلى وأعمق .

كما يرى بأن الأصل في التربية الصحيحة يقوم على القيم الأخلاقية، لأن القيم السلوكية تتأثر بها، وما فهم المربّي لقيم المتربّي السلوكية، إلا لمعرفة كيف يفكّر وماذا يريد، حتى إذا أراد أن يزيل منه سلوكاً، ذهب لمعالجة المعنى الذي يجعله يرتكب هذا السلوك، لأن هذا السلوك يوجد طالما هناك معنى يدفعه لذلك، فإذا أُزيل المعنى زال السلوك، وأن المربّي إذا تابع سلوك المتربّي ليُغيّره، يتعب ولا ينجح في عمليته التربوية، على

<sup>1</sup> \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في تصوّر الإسلامي، ص 278 .

<sup>2</sup> \_ خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص 28 .

<sup>3</sup> \_ د . صالح الدقلة، دورة تدريبية بعنوان: أساسيات بناء القيم .

عكس لو بيّن له المعنى من الفعل أو الترك، هذا المعنى هو الذي يجعله يفعل أو لا يفعل، فهو بمثابة معيار حكم للسلوك.

ثم يقول: أبنائنا يفهمون النهاية، ولكن لا يفهمون البداية، يعرفون نهاية المخدرات مثلا، ونهاية كل سلوك خاطيء، ولكن لا يعرفون البداية لهذا السلوك، كما لا يميّزون بعد.

بعد قوله هذا، يشير إلى أن الحل الأمثل لإزالة هذه العادات الراسخة أو القيم الخاطئة، والتي تشكّلت منها السلوكيات الغير سوّية، هو زعزعتها بتعريضها للنقاش، ولا شيء كالحوار التربوي الهادف، أي أن المعنى الذي تكون جذوره ضاربة في النفس، بمجرد أن يُناقش، لكون هذا النقاش قابلا للأخذ والعطاء، تُصبح هذه العادة الخاطئة والراسخة في قبضة المترّي، إذ لا مجال لها في التحكّم أو السيطرة على النفس أو الأفعال والسلوكيات كما كانت سابقا، لتُصبح عندها قابلة للتغيير والنسخ، وهنا ستزول شيئا فشيئا حتى تتلاشى، ويختفي مفعولها وتأثيرها، وفي هذه الحالة يستطيع المرّي بعدها أن يغرس القيم الإسلامية الصحيحة بسهولة في نفس المترّي، وأن يرسخها فيه بطريقة أسهل .

نلاحظ من كل ذلك، أن الذي يجب أن يُرسخ في نفوس الأبناء خاصة، هو القيم الأخلاقية، التي منها تنبثق القيم السلوكية، وهي التي يجب التركيز عليها، والعمل على التربية وفقها.

وهذه تُعدّ قاعدة أو نظرية تربوية مهمّة، يلجأ من خلالها المرّون إلى تغيير السلوك، لكن ليس عن طريق السلوك في حدّ ذاته، لأن السلوكيات لا تُعدّ ولا تُحصى، وإنما عن طريق تغيير المعنى الذي اعتاد عليه المترّي، والذي يُعدّ أصل هذه المشاكل الناتجة عن هذا السلوك الخاطيء، لتبدأ العملية التربوية بإبراز وبيان المعنى الصحيح، والموافق للمنهج التربوي الإسلامي، ثم ترسيخه في النفوس عن طريق التكرار والاستمرار، حتى يتحوّل هذا المعنى إلى عادة نفسية ثم عملية سوّية، وبهذه الطريقة تُنسخ المعاني والمفاهيم الخاطئة وتُزال من جذورها، ليحلّ محلّها المعاني السليمة، بوقت قصير، وبمجهود أقلّ.

هذه النظرية أو القاعدة التربوية، تفضي إلى بيان أمر آخر مهم، وهو آلية تربوية لا محالة تُهدف إلى إرساء قواعد التغيير التربوي نحو الأفضل إن طُبقت، وهي:

إذا تعدّدت سلوكيات المترّي غير المرغوب فيها واختلفت، وأراد المرّي تغييرها فيه أو إزالتها منه، فلا بدّ له من التركيز على الخُلُق المهّم والأساسي، أو المعنى الذي كان سببا في إصدار هذا السلوك الخاطيء ليُغيّره

لأحسن، فإذا ما تمّ تغيير هذا المعنى، فإن هذا السلوك وغيره من السلوكيات المتعلقة به تتغيّر تبعاً نحو الأصلح، كما يؤدي ذلك أيضاً إلى تغيير معاني أخرى لم يقصد المرئي إصلاحها، أو لم يُلق لها بالا، وهكذا يتم التغيير التربوي بتسيخ القيم الإسلامية الصحيحة، اعتماداً على التكرار والاستمرار، مع بذل الكثير من الجهد والوقت، إضافة إلى إضفاء الكثير من الصبر أيضاً على ذلك، لأنه من غير الممكن للمرئي أن يُقبل على تغيير جميع السلوكيات في آن واحد، لذا فتركيزه على تغيير سلوك واحد، ينتج عنه تغيير لباقي السلوكيات المرغوب تغييرها، وقد تكون قيمة واحدة في مقدورها حلّ آلاف المشاكل السلوكية.

ولذلك أكّد النبي صلى الله عليه وسلّم على تعليم الصلاة للأبناء وهم بسن السابعة من العمر، كما أكّد على ضربهم عليها إذا لم يؤدّوها وهم أبناء عشر سنين، لفضلها العظيم عند الله تعالى، ومكانتها التربوية الفضلى خاصة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ﴾ (العنكبوت)، والحكمة من صبر المرئي على المترئي كل هذه السنين في تربيته على الصلاة بالتكرار والاستمرار في صغره، بغية ترسيخها في قلبه والمداومة على آدائها، يوقّر عليه ذلك جهداً عظيماً إذا ما أصبح كبيراً، كون الصلاة كفيلة بتحصينه من إتيان الفواحش والمنكرات، كما تكسبه شخصية سويّة وسليمة، تجعله متّزناً نفسياً وسلوكياً واجتماعياً وروحياً.

إذ "الصلاة هي الأساس الأول في التربية الإسلامية، وعندما ارتدّ العرب بعد الإسلام، لم يقبل أبو بكر أيّ تهاون في وقف الصلاة والزكاة أو تخفيفهما، بل دفع جيوش المسلمين إلى حرب المرتدّين حتى يذعنوا لأمر الإسلام، ويقبلوا أداء فروضهما أنزلت، ومن ذلك الوقت حتى اليوم، لا يزال المسلمون يأخذون أولادهم بالصلاة، فينشأون بذلك على تربية إسلامية في جميع مشارق الأرض ومغاربها، فإن شئنا أن يستمرّ الإسلام على مكانته، فعلياً أن نحفظ هذه القاعدة الأولى في التربية الإسلامية، وهي أمر أبنائنا بالصلاة حتى يألفوها."<sup>1</sup>

فإذا كان المترئي على وعي وإدراك تامين، أثناء تعلّمه قيمة الصلاة عند الله تعالى، وقيمتها وفضلها في حياته، فهذا يجعل من الإقبال والمداومة عليها عادة راسخة فيه، لا يحسّ بالراحة والسعادة إلا إذا أداها، جاء في حديث "عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {أرأيتم لو

<sup>1</sup> \_ أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، ص 10 .

أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول ذلك يُبقي من درنه؟}، قالوا: لا يُبقي من درنه شيئاً، قال: {فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا.} "1

إضافة إلى ما جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري في صحيحه: "عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته.} "2

ولأجل ذلك كانت "العبادة خير وسيلة لتربية ضمير الإنسان ومشاعره، بما في ذلك الشعائر المفروضة، من صلاة وصيام وزكاة وحج، وكذلك كل عمل أو فكر أو شعور طيب يتوجه به الإنسان إلى الله، وكل عمل أو فكر أو شعور طيب يتوجه به الإنسان إلى الله، وكل عمل أو فكر أو شعور خبيث، يتركه الإنسان تقرباً إلى الله واحتساباً. "3

فالتربية على فعل الفريضة والعبادات، والسنن والطاعات، من صلاة وصيام وصدقات وغيرها، إذا رسخت بالنفس واعتادت عليها، صارت سجية وطبيعة بها، تُؤتى دون تكلف ولا شدة، لتُخلف بالنفس راحة تُحسُّها وتندوّقها كلما تحققت هذه الأفعال الطيبة، كما تُحسّ النفس أيضاً بانقباض داخلي في حالة تخلف عن تحقيقها لعذر أو نسيان.

وإن التربية على التكرار والاستمرار على فعل الشيء حتى يرسخ في النفس، والمداومة على فعله، من عمل النبي صلى الله عليه وسلم، الذي دعا إليه وأكد عليه في أحاديث عديدة، فمن بينها، ما أخرجه البخاري في صحيحه، "عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتجر بالليل فيصلي، ويبسطه

1 \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المواقيت، باب: 6، الصلوات الخمس كقارة، ح528، 184/1، والنسائي في سننه،

كتاب: الصلاة، باب: 7، فضل الصلوات الخمس، ح319، 204/1 .

2 \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: 38، التواضع، ح6502، 192/4 .

3 \_ علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، ص260، 261 .

بالنهار فيجلس عليه<sup>1</sup>، فجعل النَّاس يثوبون إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فيُصلُّون بصلاته حتى كثُرُوا، فأقبل فقال: {يا أيُّها النَّاس، خذوا من الأعمال ما تُطيقون، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإن أحبَّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قلَّ}.<sup>2</sup>

كما أكَّد النبيُّ صلى الله عليه وسلم على المداومة في فعل الشيء الذي يستوجب اعتياده، والتي تكون بالتكرار والاستمرار، فقد رُوي عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: "لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم يصوم شهراً أكثر من شعبان، وكان يصوم شعبان كلّهُ، وكان يقول: {خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا}، وأحبَّ الصلاة إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ما دووم عليه وإن قلَّت، وكان إذا صلَّى صلاة داوم عليها."<sup>3</sup>

إذن، فالمثابرة والمداومة بترويض النفس على العبادات والطاعات والقربات، تبعث فيها العزيمة والهمة والتطلُّع لحبِّها ثم فعلها، لتُشكِّل بذلك عادات حسنة ثابتة في الإنسان، بها تُرسِّخ القيم السامية، والأخلاق الحسنة، والمبادئ الإسلامية الفاضلة، والتي بها يتحقَّق اتزانُه النفسي والروحي والجسدي والسلوكي، كما تمكَّنه من اكتساب شخصية سويّة، تجعله يتأثّر بغيره، ويؤثّر فيهم بما يوافق المنهج الربّاني، ولأجل ذلك "كانت القيم في الرؤية الإسلامية تشكل فلسفة سلوك عملي يتبلور في التطبيق، ليكون الوسيلة إلى كمال الشخصية وبلوغها أعلى مراتب السمو، في نطاق جماعة بشرية ينعكس عليها هذا السلوك، إذ يحمل صاحبه داخلها وبالتعايش معها مسؤولية خلقية، وإن الشعور بهذه المسؤولية هو الذي يجعل القيم أساس قيام المجتمع السليم، لأنها تقتضي إرضاء الفرد وإشباع مصالحه، في سياق رضى الآخرين وتوافر مصالحهم. وهذا ما يجعله يجتهد للابتعاد عن نزعاته ونزواته، والتخلي عن بعض منافعه ورغباته، لكي يضمن لهم ما ينبغي لهم منها، في توازن بين ما لكل طرف من حقوق وما عليه من واجبات."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> \_ وذلك في حجرته، وهي متّصلة بالمسجد النبوي، ويحتجر الحصر: أي يتّخذ حجرة لنفسه.

<sup>2</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: اللباس، باب: 43، ح 5861، 67/4، ومسلم في صحيحه، كتاب: المسافرين، باب: 30، ح 215، 353/1، 354.

<sup>3</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصوم، باب: 52، ح 1970، 50/2، ومسلم في صحيحه، كتاب: الصيام، باب: 34، ح 177، 513/1.

<sup>4</sup> \_ عباس الجراري، قضايا للتأمل برؤية إسلامية، 158/2.

وإذا كان تثبيت وترسيخ القيم الإسلامية في النفس، يحصل بالتدرّج في التلقين التربوي شيئاً فشيئاً، مع التكرار المستمرّ في التعليم الذي يكون مقروناً بالفهم والمعرفة، حتى إذا استقرّ معنى هذا الشيء في النفس وثبت، يأتي العمل والممارسة التطبيقية تصديقاً لهذا المعنى الذي وقر في القلب، خاصة إذا تمكّن المرّي من تثبيت أمرين هامّين وأساسيين بنفس المترّي، ألا وهما الإحسان والإخلاص، ليكونا تعزيزاً لهذا الترسّخ، الذي تكون القيم به أعمق بالنفس أثناء العملية التربوية، وأدعى لجعل الأفعال الحسنة عادة سهلة المراس، ويكون بيان هذان الأمران وفق ما يأتي:

### الأمر الأول: غرس المراقبة في النفس

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل)، إن بثّ المرّي قيمة الإحسان في نفس المترّي، ببيانه مفهوم استشعار معية الله تعالى، وأنه يراقبه في حركاته وسكناته، وسرّه وعلنه، لقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد)، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ (التوبة)، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف).

إن الآلية التربوية الصحيحة لإيصال هذا المعنى للمترّي، ليعيه بقلبه ويدركه بوجدانه، هي تثبيته وترسيخه فيه من خلال المداومة عليه بالتكرار والاستمرار، في جميع عباداته، وأفعاله وانفعالاته، وخلوته بنفسه، ومخالطته لغيره، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإِنَّه يراك} <sup>1</sup>.

<sup>1</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: 37، ح 50، 33/1، راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: 1، ح 1، 23/1، والترمذي في الجامع الكبير، كتاب: الإيمان، باب: 4، ح 2610، 355/4، 356، 357، وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب: 9، ح 63، 48/1، 49، راوي الحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذا ح 64، 50/1، 51، من المقدمة لابن ماجه، راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه .



لذلك، فإن التربية على استحضار مراقبة الله تعالى عند كل فعل وترك، رغبة فيما عند الله تعالى، ورهبة منه، يستوجب العمل بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل).

إن التربية على قيمة المراقبة في النفس، والعمل على تطبيق ذلك باستشعار معية الله تعالى، وفق ما يهدف إليه المنهج التربوي الإسلامي، وتثبيتها بالتكرار والاستمرار عليها، واجب على المربي تحقيقه أثناء العملية التربوية، بكل ما أوتي من طرق ووسائل تربوية، لإعمار الأرض، وبناء الحضارة الإسلامية، وهذا يستوجب " بأن يقوم الإنسان بالخلافة في الأرض على أساس الإحسان في العمل، ولكن ما المقصود بالعمل في التصور الإسلامي؟ العمل صورة من صور العبادة، ويتضح ذلك من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف).

فالحضارة في التصور الإسلامي لا تقوم على مجرد العمل، بل تتطلب ضرورة الإحسان في العمل، .. وهو التوجه بالعمل إلى الله تعالى، فالعمل عبادة، والإحسان في العمل مرتبط بمفهوم الإحسان في التصور الإسلامي، وهو {أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك} <sup>1</sup>، .. والأصل في هذا هو أن الإنسان خليفة الله في الأرض، والعمل من أهم وسائل الإنسان لتحقيق مقتضيات الخلافة، ألا وهي عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله تعالى. <sup>2</sup>

نحن بحاجة إلى تربية مجتمع يتقي أفراده الله تعالى في أقوالهم وأفعالهم، ويستشعرون حبه وخوفه، ويطمعون في رحمته ويخشون سخطه، فإذا تم ترسيخ كل ذلك بالتدرج والاستمرار، والمداومة والتكرار في نفوسهم، فإن حضارة إسلامية لهذا المجتمع ستقوم لا شك في ذلك، لأن "الحضارة .. هي عمارة الأرض، وترقية الحياة على ظهرها إنسانيا وخلقيا وعلميا وأدبيا واجتماعيا، وفق منهج الله وشريعته، وعندما يصل المجتمع المتحضر الإسلامي إلى هذه الدرجة، ويضلّ مستمسكا بمقومات حضارته، وهي: أفراد الله بالعبودية، ومن ثمّ بالحاكمية، واعتبار العقيدة هي آصرة التجمّع الرئيسية، واعتبار إنسانية الإنسان هي القيمة العليا في المجتمع، واعتبار الأسرة هي قاعدة البناء الاجتماعي، وقيام الإنسان بالخلافة في الأرض على أساس الإحسان في

<sup>1</sup> - تمّ تخريجه في الصفحة السابقة .

<sup>2</sup> - علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، ص 249 .

العمل ... عندئذ يتبوأ المجتمع المتحضّر الإسلامي مكانته اللاتقة به في تربية الإنسانية وقيادتها إلى الحقّ والعدل الأزليين الكامنين في بنية الكون، وفي فطرة الإنسان، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿١٦﴾﴾ (الأعراف).<sup>1</sup>

إن غرس الإحسان والمراقبة في المتربّين عن طريق التكرار والاستمرار، والموجب لخشية الله تعالى، وسيلة يحتاج إليها المريّي اليوم أكثر من أي يوم مضى، خاصة وأن الوسائل التكنولوجية من شبكات الإنترنت والقنوات اللا أخلاقية، التي غزت العقول والقلوب، وأصبحت متاحة لكل واحد بلا استثناء، والتي يعدّ ضررها أكبر من نفعها بالنسبة لمن لم يتمكنّ الدّين من قلبه، ولم تتشربّ نفسه التربية الإسلامية الصحيحة لتحصيله، ففي هذه الحالة يجب مداومة المريّي على تلقين المتربّي استشعار خشية الله تعالى، وأنه مطّلع على ظاهره وباطنه، وأنه يعلم سرّه وجهره، فإذا ما استحباب المتربّي وعمل بذلك، ورسخت في نفسه هذه القيمة، فحتمًا سيعينه ذلك على:

أن يكون من المحسنين الصادقين مع الله تعالى، في أقواله وأفعاله، وفي سرّه وعلايته، بعيدا عن المعاصي والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وإن خلا بها لا ينتهك حرّمات الله تعالى، ففي الحديث "عن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: {لأعلمنّ أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تامة بيضاء، فيجعلها الله هباءً منثورًا}، قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا، جلّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: {أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام، إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها}."<sup>2</sup>

أن يكون من الصادقين مع نفسه، فلا يجرؤ على فعل المعاصي في سرّه، لاستحضاره معية الله تعالى له، كما يبرأ من دخوله ضمن من قال الله تعالى فيهم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٧٨﴾﴾ (النساء).

<sup>1</sup> \_ علي أحمد مدكور، المرجع نفسه، ص 250 .

<sup>2</sup> \_ أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: الزهد، باب: 29، ذكر الذنوب، ح 4345، 489/4 .

أن يكون صادقا مع الآخرين، لعلمه بأن {الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة} <sup>1</sup>، وهذا ما يجعل منه أمينا، ومن أفلح عن الكذب والخيانة، وتحلّى بقيمة الصدق والأمانة، وصار في هذا المقام اقتداءً منه بالصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، فهو من المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، "قال عبد الله بن مروان، ينصح مؤدّب ولده: علّمهم الصدق كما تعلّمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، .. واضربهم على الكذب، إن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار." <sup>2</sup>

أن يكون صريحا مع نفسه وغيره، وهذا ما يكسبه الثقة بنفسه، ويكسب غيره الثقة به.  
أن يكون من المسارعين إلى طاعة الله تعالى.

### الأمر الثاني: غرس الإخلاص في العمل

لا بدّ للمربيّ عند ترسيخ المتربّي للقيم، عند تلقّيه حقيقة هذه القيمة في نفسه بالتكرار والاستمرار، أن يعلمه كيف يعمل وفقها تحقيقا لانضباط سلوكه بالأخلاق الحميدة، مخلصا بها لله تعالى دون غيره، إذ "الأخلاق المحمودة: هي كل صفة حسنة، بنية حسنة، وفق منهج الله تعالى، .. وبنية حسنة: احترازا من أي خلق محمود في ذاته، وصحبته نيّة محرّمة، أو مكروهة، مثل: الرياء والسمعة، وليقال: فلان كريم، وفلان شجاع، ونحو ذلك، .. ولذلك لا بدّ أن يكون السلوك الخلقى صوابا خالصا، أما إذا كان الخلق صوابا ولم يكن خالصا، فإن هذا السلوك يُعتبر محمودا في ذاته، لا في المتخلّق به، إلا بحسب نيّته، فالشجاعة الحربية من مكارم الأخلاق، ولكنها مرتبطة بباعثها، مفتقرة للنيّة، كما جاء في الحديث، أنه (جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: الرجل يُقاتل للمغنم، والرجل يُقاتل للذكر، والرجل يُقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: {من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله} <sup>3</sup>، وقال صلى الله عليه

<sup>1</sup> \_ أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، كتاب: القيامة، باب: 60، ح2518، 286/4، راوي الحديث الحسن بن علي رضي الله عنه، فعن أبي الحوراء السعدي، قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: {دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنّ الصدق طمأنينة، وإنّ الكذب ريبة}.

<sup>2</sup> \_ سعيد عبد العظيم، الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، ص91.

<sup>3</sup> \_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: 15، من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح2810، 309/2، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: 42، من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح149، 919/2 .

وسلم: ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِرَبِّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ لِرَبِّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ﴾<sup>1</sup> .<sup>2</sup>

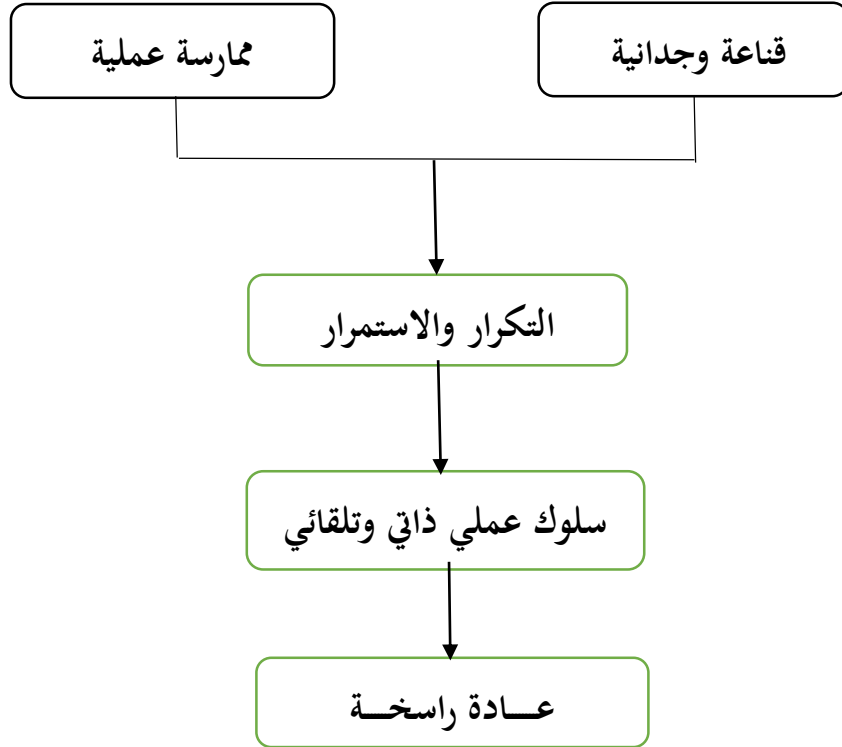
إذا كان التطابق كما ذكرنا سابقا، يكمن بين النظرية والتطبيق، وبين ما وقر في القلب من علم وصدقه العمل، فالنية الصادقة أيضا تفضي إلى صدق القلب، وصدق القلب يفضي إلى صلاح العمل، ولأن صلاح العمل أو فساده مرهون بإخلاص النية في القلب أو عدمها، فإن بين صلاح العمل والنية تلازم وتطابق، وإن توفيق الله تعالى للعبد في عمله يكون على قدر نيته، لذلك لا بد للمربي أن يسعوا لتثبيت هذه القيمة في نفوس المتربيين، بالصبر والمداومة على تلقينهم لها، حتى تصبح عادة راسخة فيهم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمُورٌ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥٠﴾﴾ (البينة).

لندرك بأن تربية الجانب النظري والمتمثل في تلقين المفاهيم والمعاني القيمة للشيء، تلقينا متكررا ومستمرًا يُكوّن القناعة الوجدانية، هذه القناعة إذا تحوّلت إلى سلوك عملي تطبيقي مداوم عليه، يُشكّل بالتربية عادة راسخة بالنفس، لتصبح ممارستها حينئذ آلية وتلقائية، غير موجهة ولا مقصودة، أي: بدون توجيه شعوري، ولا استجابة لمؤثر خارجي.

ويكون بيان ذلك، من خلال هذا المخطط المبسّط لآلية العادة في ترسيخها للقيم، كما يأتي:

<sup>1</sup> \_ أخرج البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: 1، ح 1، 13/1، وكتاب: الإيمان، باب: 41، ح 54، 35/1، وكتاب: النكاح، باب: 5، ح 5070، 355/3، 356، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: 45، قوله صلى الله عليه وسلم، إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، ح 155، 920/2 .

<sup>2</sup> \_ خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص 137 .



مخطط توضيحي لآلية ترسيخ القيم بالعادة

## المبحث الثاني: آلية الالتزام في ترسيخ القيم

إننا نحيا في زمن تتخبّط فيه الأفراد والجماعات، فلا تجد السبيل والحل لما هم فيه، وما سبب ما هم فيه إلا بعدهم عن منهج الله تعالى، وافتقارهم إلى الالتزام بالمبادئ الإسلامية، يقول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم) فإذا أتينا نعدّد الفساد الحاصل بيننا، لا نكاد نخصيه، لكثرتّه وتعدّده، ولا سبيل لخلاصنا من كل هذا، إلا بسعي الأفراد والجماعات نحو تطبيق الأساليب التربوية الموافقة للمنهج الإسلامي، والالتزام بها بغية ترسيخها في النفوس، علّنا نردّ بعض المؤثرات الخارجية والثقافات الغريبة عن ديننا، والوافدة إلينا عن طريق وسائل الإعلام والتكنولوجيا.

فإذا ضُربنا في مبادئنا وقيمنا وأخلاقنا، وزُعزع أمننا النفسي والاجتماعي، وأُلق بنا الضرر بسبب أنواع الفساد الذي طال الجميع، هنا ندرك أهمية هذه المبادئ والقيم في حياتنا، وأنها هي سرّ أمننا وسعادتنا، وهنا نبدأ في البحث عن الآليات المساعدة على ترسيخ القيم، بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، فكان هذا البحث سببا في بيان هذه الآليات، التي لو تمّ فهمها وتطبيقها على النحو الصحيح، لآتت التربية على القيم أكلّها، وللاقت العملية التربوية نجاحها.

وعلى هذا الأساس، سيكون سعينا في هذا المبحث حول دراسة آلية الالتزام في ترسيخ القيم الإسلامية، والتي يعتمد تحقيقها على عنصرين هامّين، ومساعدتين على ترسيخ المبادئ والقيم في النفوس، ألا وهما: التربية على النظام، والتربية بالعقوبة، واللذان سيكون بيانهما وفق ما يهدف إليه المنهج التربوي الإسلامي. وقبل الخوض في بيان هذين العنصرين، سننظر إلى بعض إبراز بعض التوضيحات في هذا المبحث، والتي سيكون بيانها كما يأتي:

لمكانة المبادئ والقيم في حياة الإنسان، "حظيت الأخلاق في الإسلام عناية فائقة، تضمّنتها آيات القرآن الكريم، ونصوص الأحاديث النبوية، ووضعت لها الضوابط التي إذا تمسّك بها الأفراد والجماعات فازوا ونجوا من التيارات الهدّامة، وتجنّبوا ويلات الدمار الخُلقي، والصراع الاجتماعي والنفسي الذي تُعاني منه بعض المجتمعات، ولكن هناك مفاهيم تربوية خاطئة لمعنى الأخلاق عند الأفراد والجماعات، فالبعض

يُدخِل في الفضائل ما ليس منها، لسوء الفهم والبُعد عن ينبوع الأصيل للتربية الخُلُقِيَّة، والبعض يُخرِج من الأخلاق الإسلامية بعض خصاها بحجج ذوقية واهية، فأفرزت هذه المفاهيم الخاطئة سلوكيات لا تتوافق مع المنهج الإسلامي، بل إنها مناوئة للتربية الإسلامية، كالاختلاط والسفور، والغش والخداع، والتقليد غير البصير للعادات والتقاليد الأجنبية، التي ما أنزل الله بها من سلطان.<sup>1</sup>

ما دام أصل المبادئ والقيم الإسلامية هو القرآن والسنة، وما دام الإسلام يربط بين الأقوال والأعمال والقيم والسلوك، فإن ترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة، من أهم ما يدعو إليه المنهج التربوي الإسلامي، ويهدف إلى تحقيقه، وما دام الالتزام بالقيم الأخلاقية، آية من آيات المنهج التربوي الإسلامي التي يتم بفضلها ترسيخ هذه القيم، فإن هذا الالتزام هو الأصل الذي تُقام على أساسه المسؤولية، كونه من أهم وأبرز القواعد التي يدعو إليها الإسلام، في كافة المجالات السياسية، والاقتصادية، والمهنية، والتعليمية، والاجتماعية، وغيرها، إذ ضيِّع الالتزام بالقيم - خاصة الأساسية منها والثابتة - انعدمت المسؤولية، وضاعت الحقوق والواجبات، وحلّت الأخطاء والمشكلات.

لذلك، فإن "منهج التربية الإسلامية يُربِّي التربية الإنسانية عن طريق إشعار المتعلّم بضرورة التقيّد بعهد الله، والالتزام بكل ما فيه من المبادئ والأوامر والنواهي، فبغير التقيّد بفعل ما أمر الله به، والانتهاز عمّا نهى عنه لا تنبت الإرادة،.. فالإرادة هي مفرق الطريق بين عالم الإنسان وعالم الحيوان."<sup>2</sup>

إن الإرادة في التقيّد بالأوامر والنواهي، هي التزام بالقيم الأخلاقية، وهذه الإرادة هي من تبني تحمّل المسؤولية، ولا يتحقّق ذلك إلا بالتربية وفق المنهج التربوي الإسلامي.

وعلى هذا الأساس، بيّن الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي بأن للتربية ثلاثة أساليب تعتمد عليها في الإرشاد والتوجيه، فذكرها قائلاً:

"وهكذا نرى أن الشريعة الإسلامية تربِّي الناس بثلاثة أساليب:

<sup>1</sup> \_ خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص 135 .

<sup>2</sup> \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص 260 .

1\_ أسلوب تربوي نفسي، ينبع من داخل النفس، ضابطه الخوف من الله ومحبتة، وتطبيق شريعته، اتقاءً لغضبه وعذابه، ورغبة في ثوابه، وهذا الأسلوب قد تحبو جذوته أحياناً عند بعض الناس، أو يفقده من لم يتمكن الإيمان من قلبه ..

2\_ التناصح الاجتماعي، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فالجتمع الغيور على شريعة الله وحرماته لا يدع منكراً، ولا يُقرّ على ترك أصل من أصول الإسلام، كالصلاة والزكاة والصوم، والجهاد، بل يأمر المقصّر ويأخذ بيده، ليعينه على نفسه أو على تربية أولاده.

3\_ وازع السلطة التنفيذية، أي الدولة المسلمة التي تنفذ أحكام الشريعة، فيستتب الأمن، ويسود سلطان الشرع، وينعم الناس بعدل الشريعة.

وهذه الأساليب الثلاثة تتعاون على تحقيق المعاني الإسلامية، وتطبيقها في حياة الفرد والجماعة والدولة، فتصبح هذه الحياة أقرب ما تكون إلى الكمال والسعادة، والحضارة والرّخاء، والتكافل والطمأنينة والاستقامة.<sup>1</sup>

أما الأسلوب الأول الذي ذكره الأستاذ النحلاوي، والذي يهتم بتربية الجانب النفسي والعملي للفرد، والمتمثل في تعليم شريعة الله تعالى تلقينا في القلوب، ثم ترسيخها فعلياً بتطبيقها على أرض الواقع، عملاً بإخلاص النيّة لله تعالى، رجاء ثوابه وخشية غضبه، فقد تمّ تناول هذا العنصر ضمن آلية العادة في ترسيخ القيم الإسلامية الصحيحة، والتي اعتمدت على عنصري التكرار والاستمرار أثناء العملية التربوية بالتلقين والممارسة العملية.

أما ما أشار إليه من الأسلوبين الباقيين، ممّا تعتمده التربية في تحقيق المعاني الإسلامية وتطبيقها، وبالتالي ترسيخها، فسوف نُدرجهما ضمن آلية الالتزام، باعتبارهما عنصريين هامين في ترسيخ القيم الإسلامية، ألا وهما: التربية على النظام، والتي يدور معناها حول ما أشار إليه الأستاذ النحلاوي من التناصح الاجتماعي، ثم التربية بالعقوبة، والتي سيندرج ضمنها وازع السلطة التنفيذية في تنفيذ الأحكام الشرعية، كما تمّ الإشارة إليه أيضاً.

<sup>1</sup> \_ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 68 .



## المطلب الأول: التربية على النظام

إن الإسلام دين منظم، اهتم بالنظام ودعا إليه، فما من أمر من أمور الدنيا، ولا جانب من جوانب الحياة إلا وسطر الله له نظاما وقانونا يسير وفقه، كما جعل لهذه الأنظمة أصولا ثابتة لا تتغير ولا تبدل، وجعل لبعض الأمور الفرعية اجتهادات بشرية بحسب الظروف والمصالح العامة، إلا أن هذه الاجتهادات لا يجب أن تخرج عن الأصول الثابتة، بل تستند إليها.

قال الله تعالى: ﴿صَبَّحَ لِلَّهِ الَّذِي آتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (النمل)، وقال تعالى:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٩١﴾﴾ القمر، وقال أيضا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

(الفرقان)، يقول الزمخشري في تفسيره: "المعنى، أنه أحدث كل شيء إحداثا مراعيًا فيه التقدير والتسوية، فقدّره وهيأه لما يصلح له، مثاله: أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر السسوي الذي تراه، فقدّره للتكاليف والمصالح المنوطة به، في بابي الدين والدنيا، وكذلك كل حيوان وجماد، جاء به على الجبلّة المستوية المقدّرة بأمثلة الحكمة والتدبير."<sup>1</sup>

لو أمعنا النظر إلى كل ما خلق الله في هذا الكون، وكيفية نظامه، لأدركنا بأن دقة هذا النظام الكوني، لا تكون إلا لله تعالى، وأنها دليل على وجوده، وقدرته، وحكمته تعالى، وعلمه بمخلوقاته، وهو الذي يقول: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ أَلِيلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يس).

لقد خلق الله تعالى هذا الكون وفق نظام معيّن، بحيث لا يمكن لعنصر أن يحمّد عمّا خلّق لأجله، كما لا يمكن لأيّ عنصر أن يخرج عن هذا النظام، وإلا حدثت الفوضى، بل كل العناصر منتظمة وفق حركة منسجمة ومتناغمة، يرسمها النظام الحاصل بين جميع العناصر المتعدّدة في هذا الكون.

<sup>1</sup> \_ الزمخشري، الكشاف، 331/4 .

هذا الانسجام وهذا التناغم الذي يتسم بالدقة في الصنع، والحكمة في النظام، ليس خاصًا بالكون فحسب، بل هو شامل لجميع مخلوقات الله تعالى، وهو يشبه الانسجام الحاصل بين الأفراد والمجتمعات، التي يسودها النظام والانضباط في أوساطها .

لذلك، جعل الله تعالى لعباده منهجا تربويا إسلاميا متبعا، لا يتم تحقيق أهدافه إلا عن طريق النظام المتمثل في تطبيق المبادئ والقيم الإسلامية، تطبيقا يضمن ترسيخ هذه القيم عن طريق الالتزام بما أمر الله تعالى به ونهى عنه، لأن الله تعالى خلق "الإنسان لعبادته، في إطار إعمار الأرض واستثمار خيراتها، وحسن استخدامها، والعدل في توزيع خيراتها وعطاءاتها، ولكنه لم يتركه يتخبط في عشواء، محاولا أن يعبد ربه وفق ما يخترعه من طرق، أو ما يستحسنه ويروق له من أساليب، فأرسل له الرسل مبشرين ومنذرين، وختمهم بالرسول العظيم صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين، الذي أوتي القرآن ومثله معه، .. القرآن العظيم، والسنة المطهرة، وهما البرنامج العام للعقل الإنساني، فهو على الصراط المستقيم ما دام منفذا ما أمرا به، مبتعدا عما نهيها عنه، لأن الله تعالى هو الذي خلق بعلمه وقدرته، وأرشد وهدى بلطفه ورحمته، فأرسل إلى الإنسان ما يحقق إنسانيته، ويرشده إلى قيمة القيم في السلوك الإنساني، والحياة البشرية بامتدادها الأفقي، وعمقها الشاقولي، .. ومن المسلّم به أن صانع الحاجة أعلم بما يصونها ويحفظها من التلف، وهو الأدرى بتصحيحها إن أصابها شيء من عطب، فالله هو الخالق، والله هو الهادي، والله تعالى على كل شيء قدير.<sup>1</sup>

ليس لنا نظام يضبط أفعالنا وانفعالاتنا، وينظّم أنفسنا وحياتنا، كالذي جاء به المنهج التربوي الإسلامي، لأنه لا يُصدر منهجا تربويا قيما، ولا يوجّه لأفضل الأخلاق وأصحّ القيم إلا الله، "فالله وحده هو الذي يعلم، والله وحده هو الذي يرتّب النتائج على الأسباب، يرتّبها بحكمته سبحانه، وبقدرته سبحانه، ولا يملك البشر أن يرتّبوا شيئا على شيء، ولا أن يجزّموا بنتيجة شيء عن شيء، أو يعرفوا على وجه اليقين أين يكمن الشرّ، وأين يكمن الخير، إنّما هو الله المدبّر، وهو القادر، وهو الفعّال لما يريد"<sup>2</sup>، لقوله تعالى:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك).

1 \_ الدارمي ، مسند الدارمي، مقدمة التحقيق، 6/1 .

2 \_ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، 61/1 .

لكي تستقيم الحياة في شتى مجالاتها، ولكي لا يظلم أحد أحدا، كان لزاما وجود نظام مُتَّبَع، وموافق للمبادئ والقيم الإسلامية، ليتَّخذ المرَبُّون أثناء مباشرة عمليتهم التربوية، ولإنجاح تطبيق هذا النظام لا بدَّ من معاينة مستوى المرَبِّين من ناحية، وتعصيد هذا النظام المتَّبَع باختيار أصحَّ الأساليب التربوية من ناحية أخرى، إضافة إلى المتابعة المتكرِّرة والمستمرَّة، مع الدوام على الصبر والمجاهدة، لأن "معرفة الأحوال الإنسانية وفهمها، تساعد في معرفة التعامل مع النَّاس والتأثير عليهم، كما تعين على وضع المناهج المناسبة المتوافقة مع مستوى المرَبِّين الزمَّني والإدراكي، وتساعد في عملية التوجيه والإرشاد، كما أن معرفة الوسائل التربوية المناسبة، تساعد المرَبِّي على التطبيق العملي والتأثير السريع،.. ولذلك فإن العلم وحده لا يكفي لسلوك طريق الخير والصلاح، فلا بدَّ من تربية النفس بالمجاهدة، والنصح والتذكير، والترغيب والترهيب، وبوسائل التربية الأخرى، حتى يسلك الإنسان الطريق النافع."<sup>1</sup>

إن تميَّز المنهج الإسلامي بنظامه التربوي الفريد، جعله يحوز المرتبة العليا بين كل المناهج الوضعية، إذ كان له السبق في إعداد الأفراد الصالحين، بتكوين شخصياتهم السوية والقوية، من خلال التزامهم بالمنهج التربوي الإسلامي الشامل، بحيث لا يقف عاجزا أمام ما تفرضه التحديات والتغيرات المؤثرة في شخصية الأفراد وسلوكياتهم، والتي تؤثر بدورها في المجتمعات بصفة عامة.

لا يستطيع الإنسان أن يضع نظاما تربويا لنفسه دون الاعتماد على ما وضعه الله تعالى، ضمن منهجه التربوي الإسلامي، وذلك لعجز إمكاناته وقدراته، ولفرط شهواته الخاضعة لهواه، كل هذه الأسباب كافية لمنعه من تحديد نظام يكون صالحا لكل زمان ومكان، أو يشمل مصلحة جميع البشرية، في كل الجوانب والمجالات.

وعلى هذا الأساس، نستطيع القول بأنه "من الضروري أن يفهم الإنسان المتعلم مجموعة القيم الأساسية التي يقوم عليها نظام الحياة الإنسانية الراقية، فالعلم واستخدامه في إعمار الحياة وترقيتها لا في خرابها، والإحسان والدقة في العمل، والنظام، والنظافة، وصدق الشعور في القول والعمل،.. كل هذه قيم ثابتة، لا يمكن أن يقوم نظام إنساني راق \_ في أي وقت \_ على وجه الأرض بدونها."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ص 27 .

<sup>2</sup> \_ علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، ص 85 .

إذا تعود الإنسان على نظام ما واحترمه، رسخ هذا النظام في نفسه، وأصبح ملتزما به لا يجيد عنه، وإذا ما التزم معظم الناس بالنظام الإسلامي وانضبطوا عليه، زُفِعَ الظلم، وحلَّ محلَّه السلام، لأن "الحق سبحانه يريد في الكون حركة السلام والأمن والاطمئنان، وهذه لا تتم إلا إذا التزم كل إنسان بمنهج الله، حينئذ يوجد سلام دائم، ومستوعب شامل، مستوعب لسلام الإنسان الذي خلقه الله مختيرا، وأنزل له المنهج بالتكليف، في إمكانه أن يُطِيع هذا المنهج أو أن يعصيه، وإن عصى الإنسان المنهج، فهو يُفسد في الأرض، وينشر فيها الظلم والفساد،.. وإذا سألنا أحد: لماذا نتبع هذا المنهج؟ نقول: إنه سبحانه قد أمرنا باتباعه، وهذا هو الإسلام الحقيقي، أن تُسلم اختيارك في الحياة لمرادات الخالق الأعلى، فالدين معناه الالتزام والانقياد لله، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (ذلك الدين القيم)، أي: قِيم على كل أمور حياتنا،.. فما دام الله سبحانه وتعالى قد قال، فنحن نفعل، إذن: فالدين قِيم علينا، والدين قِيم أيضا على غيره من الرسالات السماوية، أي مهيمن عليها."<sup>1</sup>

فلقد شرع الله تعالى في الإسلام، قواعدا وأحكاما تنظّم للإنسان كل أعماله وعلاقاته، وتكسبه توازنا نفسيا وسلوكيا، سواء في علاقته بنفسه أو بربه، أو بأخيه الإنسان، أو علاقته بالكون والحياة، تنظيما إسلاميا، شاملا وكاملا من جميع الجوانب الإنسانية، وجميع المجالات الحياتية، وعلى جميع الأصعدة، سواء الدينية منها أو الاجتماعية، أو الاقتصادية والسياسية، وغيرها، والتي سيكون بيان أهمها كما يأتي:

## 1\_ النظام الأسري:

لقد أولى الإسلام اهتماما كبيرا بالأسرة، باعتبارها اللبنة الأولى لبناء المجتمع، والركيزة الأساسية في بناء الشخصية الإنسانية، التي يستمر تأثيرها إلى ما بعد الطفولة، بسبب ترسب العادات والأخلاق، التي تبرز ولو بطريقة غير شعورية، نظرا لهذه الأسباب وغيرها، وضع الإسلام تشريعات وقوانين ونظم تؤكد على ضرورة التكوين القويم للأسرة، كما تؤكد على حمايتها من كل ما يؤثر على سلامة ومتانة أسسها

<sup>1</sup> \_ متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 5072/8، 5091.

واستمراريتها، نظرا لأهمية دورها في تربية الأجيال، وإعدادهم إعدادا سليما يؤهلهم ليكونوا نافعين لدينهم ومجتمعهم.

يعدّ مبدأ التوازن الأسري، من أهم العوامل المساعدة على استمرارية الأسر، هذا التوازن يخضع لقوانين وقواعد متبعة، تضمن حسن العلاقة بين أفرادها، ومن بين أهم هذه القوانين، هو التحوار الذي يمدّ جسور المحبة، والتفاهم، والطاعة، والمعاملة الجيدة، المبنية على القيم والأخلاق الفاضلة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم)،

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية: "وقال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، ويأمرهم به، ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية قدعتهم عنها (ردعتهم)، وزجرتهم عنها."<sup>1</sup>

وهذا أمر يشمل الوالدين، نظرا للدور الذي رسمه الله لهما، والأمانة التي أوكلهم الله لتحملها، باعتبارهما القائمان على إدارة هذه الأسرة، والمسؤولان على إنجاحها، عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: {كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته}.<sup>2</sup>

تحتاج الأسرة إلى نظام يديرها، حتى يتسنى لجميع أفرادها معرفة مسؤولياتهم طبقا لهذا النظام، الذي يتفاوت بحسب اختلاف الأسر والمجتمعات، ولما كان الوالد هو ربّ الأسرة، والمنقذ لهذا النظام، والقُدوة لمن هم تحت رعايته، فإن حمايته لمصالح هذه الأسرة، يفرض عليه إطلاع أفرادها على ما ينصّ عليه هذا النظام، من تعاليم وتوجيهات وقرارات مناسبة، وحثّهم على رعايتها وتطبيقها، ومن بين المهام الموكلة إليه

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 59/14 .

<sup>2</sup> \_ تمّ تخرّيج الحديث، ص 180.

من خلال هذا النظام، الذي يتحوّل اعتياده والالتزام به، إلى آلية من آليات ترسيخ القيم في النفوس، ما يأتي:

1\_ الاهتمام ببناء الأسس الدينية، والفكرية، والخلقية الصحيحة، والالتزام بها، لقول الله تعالى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه).

2\_ الاهتمام بإعداد الأفراد إعداداً سليماً، في ظلّ نظام يعمل على غرس العادات الحسنة، وإزالة العادات السيئة، كما يضمن من خلاله تكوين شخصية قوية وسوية، تمكّن الأفراد من تحمّل أعباء المسؤولية، والقدرة على خوض غمار الحياة الاجتماعية، من خلال اكتساب مهارة الحفاظ على الوقت، وترتيب الأولويات.

3\_ الاهتمام بتعزيز قوّة الإرادة، والثقة بالنفس، للمثابرة نحو المضيّ في تحقيق الأهداف، والنجاحات، والإبداع والتميّز .

4\_ الاهتمام بتحديد المسؤوليات، وتقسيم الوظائف والمهامّ بما يناسب الجنس والعمر، وتنظيم مختلف الأمور، التي تُعدّ العلاقات الخاصة بين أفراد الأسرة، والعامّة مع الآخرين، من بين هذا التنظيم.

5\_ إحقاق العدل بين أفراد الأسرة، ورفع الظلم والتجاوزات من فرض الرأي، والعنف فيما بينهم، بنشر روح المحبة والودّ.

6\_ اختيار نظام ناجح، يمكن الأسرة من تحقيق استقرارها، وتوازنها، وتحقيق مصالحها، كما يلبيّ جميع حاجيات أفرادها، للتمكّن من توفير الظروف المساعدة على زرع الحبّ والثقة، والتفاهم بينهم.

7\_ اختيار نظام تربوي يعتمد على المبادئ والقيم الإسلامية، يوجب احترام أفراد الأسرة لهذا النظام، ويبعث على حبّ تطبيقه والالتزام به، وهذا من أعظم الأسباب التي تساعد على ترسيخ القيم الإسلامية في النفوس، وتحقيق الهدف الذي يسعى إليه المنهج التربوي الإسلامي .

من بين الأهداف التربوية التي يسعى النظام الأسري إلى تحقيقها، من خلال آلية الالتزام في ترسيخ القيم، هي:

1\_ كبح جماح الدوافع والغرائز النفسية، المنتجة للعادات السيئة، لدى المترين على النظام في الوسط الأسري، وتثبيت العادات الطيبة فيهم، لجعل الأفراد صالحين مصلحين.

2\_ تعزيز قوة الإرادة في النفوس، وبناء العزيمة فيها عن طريق النظام الأسري، وهذا يبعث على ترسيخ الثقة بالنفس، كما يزرع فيها الإحساس بالمسؤولية وتقلدها.

3\_ العمل على إكتساب المهارات، بغية الإبداع والتميز، وهذا يرسخ في النفس حب تحقيق النجاحات، وترتيب الأولويات، من خلال تحديد الأهداف التي لا تتأتى إلا عن طريق الالتزام بالنظام داخل الأسرة.

## 2\_ النظام التعليمي:

لقد اهتم الإسلام بالعلم والتعلم، اهتماما كبيرا لكون طلبه فرض على كل مسلم، لأن أول ما نزل من كتاب الله تعالى، هو الأمر بالقراءة، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (العلق)، يقول ابن كثير: "فأول شيء نزل من القرآن، هذه الآيات الكريمة المباركات، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقه، وأن من كرمه تعالى، أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرّفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة."<sup>1</sup>

إذا كانت القراءة فرض، والتعلم لا يتم إلا بها، فإن التعلم فرض أيضا، لأن القاعدة تنص على أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: {طلب العلم فريضة على كل مسلم}.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 398/14 .

<sup>2</sup> \_ أخرجه ابن ماجه في سننه، ح 224 .

كما أمرنا الله تعالى بالاستزادة من طلب العلم، فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝﴾ (طه)، كما بين لنا تعالى أيضا الفارق بين من عرفوا العلم وطلبوه، وبين غيرهم ممن لم يعلموا، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ (الزمر).

كل هذه الأدلة من الكتاب والسنة، والتي تدعو إلى طلب العلم، والسعي في تحصيله، لم تُترك هملا دون نظام يُذكر، سواء التعليم في المساجد، أو المدارس، أو غيرها، بدءا من الطور الابتدائي وصولا إلى الطور الجامعي .

فما من مؤسسة تعليمية إلا وتعتمد أنظمة تُلزم طلابها بالانضباط وفقها، بغية ترسيخ القيم الفاضلة فيهم، ليكونوا أفرادا نافعين لأنفسهم وأوطانهم، فمن بين هذه الأنظمة ما يأتي:

**\_ النظام على مراعاة الوقت:** لا يحافظ على الوقت إلا من تربي على النظام، ولا يترقى على النظام إلا من عرف قيمته، لأن التربية بالمداومة على النظام، تُكسب المترقي التزاما بهذه القيمة العظيمة، لأن الالتزام بالوقت "يدل على أن صاحبه دقيق في عمله، ملتزم بأدائه في وقته، صادق في وعده، حريص على كسب ثقة الآخرين، وأخيرا ، يعرف قيمة الوقت واستغلاله فيما ينفع، وضرره إن لم يستفد منه"<sup>1</sup>، وهذا نجده عادة عند المنظمين، الجادّين والمجتهدين دون غيرهم.

فإذا ما التزم الطلاب بالوقت، بدافع انضباطهم بنظام الحضور والانصراف، كان هذا الالتزام بالوقت آلية ترسخ فيهم قيمة الوقت.

**\_ النظام على التزام النظافة:** إن التزام نظام المحافظة على نظافة الجسم واللباس، ونظافة مكتسبات المدارس، يرسخ قيمة النظافة في النفس، ما يجعل الطالب محافظا عليها داخل المدرسة وخارجها، لأن التزام الطلبة بنظام واحد، يكسبهم قيم الأخوة، والانتماء المدرسي والمجتمعي، ويرسخها في نفوسهم.

<sup>1</sup> \_ عثمان قدرى مكاسي، من أساليب التربية في القرآن الكريم، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1،

1422هـ\_2001م، ص 337 .



\_ النظام على احترام مواعيد الامتحانات: وهذا يبعث في الطلاب، الالتزام الذاتي، من خلال تشجيعهم وتحفيزهم المادي والمعنوي، على الاجتهاد والتميز، لكي تتوسّع آفاقهم المعرفية، ويواكبوا تطورات العصر، وهذا ما يرسّخ في نفوسهم قيمة العلم، ليصبح الإقبال على طلبه صفة ذاتية وتلقائية فيهم.

\_ النظام على احترام المعالم الوطنية: إن نظام رفع العلم لتحيته صباحا، ومساءً، والتعود على ذلك كل يوم، يجعل من الالتزام بذلك، ترسيخا لمبدأ حب الوطن، وحب معلمه وسيادته، وتاريخه وآثاره، وغيرها.

من بين الأهداف التربوية التي يسعى النظام التعليمي إلى تحقيقها، من خلال آلية الالتزام في ترسيخ القيم، هي:

1\_ إزالة المفاهيم الخاطئة لدى الطالب، وترسيخ المفاهيم الصحيحة فيه، عن طريق الالتزام بالنظام التعليمي داخل المؤسسات التعليمية.

2\_ تنمية الثقة بالنفس لدى الطالب، لتشجيعه على إبداء الرأي الذي يُكسبه حرية التعبير، والتعود على النقد البناء بطريقة تربوية، كل ذلك لسلبه عقدة الخوف والخجل، بغية إعداده ليكون عضواً فعالاً في مدرسته ومجتمعه، وكل ذلك يتم عن طريق الالتزام بما تفرضه المؤسسات التعليمية من نظام.

3\_ التربية على مبدأ المساواة والإخاء، ونبذ العصبية والظلم، ضمن إطار الالتزام بالنظام داخل المؤسسات التعليمية، ترسيخا لقيمة الاحترام المتبادل بين الطلاب، وتحقيقا لهذه القيمة خارج هذه المؤسسات.

4\_ إن الالتزام بالنظام التعليمي داخل المؤسسات التعليمية، يُعدّ سببا في ترسيخ القيم الإسلامية، في النفوس والتصرفات داخل المدرسة وخارجها.

### 3\_ النظام الاجتماعي:

من حكمة الله تعالى، أنه لم يخلق الإنسان وحيدا ومنفصلا، بل جعل تواجهه في هذه الحياة على شكل جماعات، ولكن اقتضت الحكمة في اختلاف طبائعهم، فكان لزاما لكي يتعايشوا، أن يتحاكموا إلى نظام

يبيّن لهم ما لهم من حقوق، وما عليهم من واجبات، ليتحقّق العدل، ويُرفع الظلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات).

لذلك اهتمّ الإسلام بالنظام الاجتماعي اهتماما كبيرا، يجعل من الالتزام بالنظام بغية تنظيم حياة الأفراد فيما بينهم، هدفه الذي يسعى من خلاله إلى ترسيخ القيم الإسلامية فيهم، خاصة وأن الأفراد يتأثرون بما يسود مجتمعهم، من قيم وأخلاق اجتماعية مختلفة، وبقدر صلاح المجتمع أو فساده، تتشكّل شخصيات أفراد.

وإن الالتزام بالنظام الاجتماعي، الذي يبعث على ترسيخ القيم في نفوس أفراد المجتمع، يضمن حياة منتظمة، تكون قد أُسست على نمط تربوي صحيح، يقلّص كل ضغوطات الحياة.

وعلى ذلك، فإن الهدف الذي يسعى الالتزام بالنظام الاجتماعي إلى تحقيقه، بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، يكون كالآتي:

عند تطبيق النظام، يتحقّق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع، وذلك بحفظ حقوقهم، وحماية ضعيفهم، ومنع الفوضى في المجتمع، ولا يتأتّى ذلك إلا بترسيخ القيم الإسلامية في نفوس الأفراد، بفعل الالتزام بهذا النظام. يهيء الالتزام بالنظام، جوا من الاجتهاد، ووقتا في اكتساب المهارات، وذلك بفتح مجال الإبداع والتميّز بين أفراد المجتمع، وما تميّز المجتمع إلا بتميّز أفراد.

### المطلب الثاني: التربية بالعقوبة

يكون الانضباط بنظام ما، موافقا لقواعد وشروط يلزم اتباعها ومراعاته، والعمل وفقها، وأن أي خروج عنها أو إهمالها يُعدّ حرقا لهذه القواعد، التي يتمّ بعدها الانتقال إلى الردع والتحذير ثم العقوبة، لأن "العقوبة مهما كانت، سواء أكانت عقوبة قصاص، أو عقوبة تعزير، فهي العلاج الحاسم الحازم لمعالجة الشعوب، وإصلاح الأمم، وتثبيت دعائم الأمن والاستقرار في ربوع الإنسانية جمعاء، والأمة التي تعيش

بلا عقوبة لمجرميها، فهي أمة منحلّة، متميّعة، متفككة الكيان، .. تعيش في فوضى اجتماعية دائمة، وفي تحبّط من الإجرام مستمر.<sup>1</sup>

وبهذا نستطيع القول بأن للعقوبة نوعان: مادية ومعنوية

## 1/ العقوبة المادية:

تتولى السلطة أمر العقوبة، وتنفيذها على كل من ارتكب أخطاءً، لذلك، "فعندما تتولّى السلطة تنفيذ أوامر الشريعة، تصبح تعاليم الشريعة، سلوكا سياسيا تسلكه الدولة مع جميع رعاياها، فتقطع يد السارق، وترجم الزاني، وتمنع الخمر، والتبرّج، والخلاعة، والظلم، والبغي بغير الحق، وتراقب الباعة، فتمنع الغشّ والاحتكار، وتحيط المدارس بعناية وتوجيهات دينية خاصّة، وترسل الدعاة إلى الله، وترفع راية الإسلام، وتوجّه وسائل الإعلام توجيهها إسلاميا.<sup>2</sup>"

قد يرى البعض بأن العقوبة ظلما في حق مرتكبيها، لكن الله سبحانه وتعالى "حين سنّ لعباده قانون العقوبات، هو أعلم بما سنّ لهم، فلولا يعلم أن العقوبة تحقق للفرد الأمن، وللمجتمع الاستقرار، لما شرع لهم هذه الحدود، .. وفي تطبيقات الخلفاء لقانون العقوبات الإسلامية عبر العصور، أكبر شاهد على انحسار الجرائم الاجتماعية، .. والمجرم الذي يريد أن يرتكب الجريمة، إذا لم يكن عنده من الإيمان الذي يردع، والخشية من الله التي تزجر، فإنه كان يحسب ألف حساب للعقوبة الزاجرة التي فرضها الإسلام، فكان يكف عن القتل لعلمه أنه سيقتل، ويكف عن السرقة لعلمه أنه سيقطع، ويكفّ عن الفاحشة لعلمه أنه سيرجم أو يُجلد، .. وهكذا يكفّ عن جميع الجرائم الاجتماعية، لما يتحسّب من عقوبة رادعة، وأخذ بالذنب كبير.<sup>3</sup>"

وعلى هذا الأساس تُعدّ العقوبة المادية، رادعا لارتكاب الأخطاء، وهذا يجعل صاحبها ملتزما بالقيم الإسلامية، إما حبا، أو كرها.

## 2/ العقوبة المعنوية:

وهي العقوبة التي تُطبّق عادة على من أعمارهم لا تتجاوز مرحلة الشباب، وهي تلك (العقوبات التي

1 - عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ص 757 .

2 - عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 67 .

3 - عبد الرحمن النحلاوي، المرجع السابق، ص 758 .

ينتهجها المرتبون في البيت أو المدرسة، فإنها تختلف كما وكيفية وطريقة، عن عقوبات عامة الناس.<sup>1</sup>

نستخلص مما مرّ، أن العقوبة، سواء المادية منها أو المعنوي، لما كانت أسلوبا تأديبيا لكل المخطئين، فإنها تُعدّ آلية من آليات المنهج التربوي الإسلامي في ترسيخ القيم، ولا يتحقق ترسيخ القيم في النفوس إلا بدافع الخوف.

### خلاصة الفصل:

وأخيرا، نخلص إلى أن العادة كآلية تربوية في ترسيخ القيم بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، تكمن في كيفية إيصال المعاني والمفاهيم الصحيحة للأشياء، لتثبيتها في نفس المتربي، وذلك عن طريق التركيز عليها بالتكرار والاستمرار، حتى إذا أكسبتها المداومة عليها تعودا نفسيا ثم عمليا على أرض الواقع، صار آداؤها آليا وتلقائيا، دون بذل لأي مجهود أو تفكير، نظرا لامتزاج الجانب النظري والتطبيقي، ولاستحضار الوعي والإدراك لها أثناء ممارستها.

كما نخلص إلى الالتزام كآلية تربوية في ترسيخ القيم بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، تكمن في عملية الانضباط بالنظام، وسواء أكان هذا النظام أسريا، بحيث يهتم بتوجيه شؤون أفراد الأسرة، وإعدادهم إعدادا صحيحا وفق نظام متّبع، أو النظام التعليمي، الذي يهدف إلى تطوير العلوم، والخبرات المعرفية لدى طلاب المدارس والمؤسسات التربوية، أو النظام الاجتماعي، الذي يهدف إلى تحقيق الأمن بين أفراد المجتمع، أو التربية بالعقوبة المادية أو المعنوية، التي تُعدّ عاملا مهما، وأسلوبا جيّدا في الالتزام بالقيم، وبالتالي رسوخها في النفس، بدافع الخوف من هذه العقوبة، التي تؤول بالسلوك في الأخير إلى أن يصطبغ بصبغتها.

1 - عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ص 759 .

خاتمة

## خاتمة

بعد هذه الجولة العلمية في ميدان البحث، تمت دراسة موضوع يُعدّ من أبرز المواضيع المعاصرة، والذي يهتمّ بقضية من أكبر القضايا المصيرية للأمة الإسلامية، ألا وهو موضوع: ”المنهج التربوي الإسلامي، وآلياته في ترسيخ القيم“، الذي تمّ التوصل في دراسته إلى عدّة نتائج رئيسية، تندرج ضمنها نتائج جزئية، مستخلصة من جملة من التساؤلات المطروحة خلال هذا البحث، والمستوحاة من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ليتولّى هذان المصدران من حيث الاستدلال والاستنباط منهما، الإجابة الصحيحة عن كل الأسئلة ما أمكن.

وعلى هذا الأساس، ندرج كل عنصر تمّت دراسته، لنبيّن ما خلص إليه من نتائج أثناء البحث، كما يأتي:

### أولاً: حقيقة المنهج التربوي الإسلامي

من بين النتائج الرئيسية المتوصل إليها لحقيقة هذا المنهج:

أنه منهج ربّانيّ في سعيه لتربية الأفراد تربية سليمة ومتّزنة، لموافقته الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي يدعو من خلالها إلى مراعاة جميع جوانب الحياة الماديّة والمعنوية، وفي جميع المجالات الاجتماعية.

إن منهجا تربويا إسلاميا كهذا، لا يتخلّى عنه ويتطلّع لغيره من المناهج، إلا غافل عن دينه، أو جاهل بحقيقته الإنسانية، وغاية وجوده في هذه الحياة.

وقد تضمّن هذا القسم بيان أسس المنهج التربوي الإسلامي، وأهدافه، فكان لكل منهما جملة من النتائج، نبيّنهما كما يأتي:

— أسس المنهج التربوي الإسلامي: وتتمثل نتائجه فيما يأتي:

إن إدراك الإنسان لحقيقة ذاته الإنسانية، وغايته الوجودية، يعدّ دافعا له للانضباط بمنهج الله تعالى، وأن بلوغه درجة السموّ والرفعة عند الله، لا يكون إلا بالتربية الروحية، والفكرية، والنفسية، والجسمية، والإيمانية الصحيحة، وفق المنهج التربوي الإسلامي.

إن إدراك حقيقة الألوهية، من أعظم الأصول التي يقوم عليها صلاح الإنسانية جميعا، فإذا أدرك الإنسان بقلبه وعقله حقيقة لا إله إلا الله، عرف غاية وجوده، ومنهج في هذه الحياة، واستطاع أن يميّز بين منهج الله والمناهج البشرية الوضعية.

إن حقيقة الكون آثارا تربوية عظيمة في توجيه الإنسان وإرشاده، باعتبارها هاديا له إلى سواء السبيل، فالتفكر في خلق الله، والتدبر في آياته، جدير بهداية النفوس وتوجيهها لإخلاص العبودية لله، وتطبيق شريعته في أرضه، وهذا من أعظم الأسس التي يعتمدها المنهج التربوي الإسلامي، ومن أهم النتائج التربوية في عرض حقائق الكون بهذا الأسلوب التربوي.

إن حقيقة الحياة الدنيا آثارا تربوية على توجيه النفس وإصلاحها، إذ السعي للفوز بالحياة الآخرة، يوطن الإنسان على الالتزام بتطبيق منهج الله تعالى، لتتجلى عندها آثار المبادئ والقيم الإسلامية الراسخة في تصوراتها واعتقاداته، إلى أفعال وسلوكات سوية، تمنحه تحقيق العدل والإصلاح .

**ـ أهداف المنهج التربوي الإسلامي:** وتتمثل نتائجه فيما يأتي:

إن الهدف الذي يسعى إليه المنهج التربوي الإسلامي، هو توجيه الإنسان نحو تحقيق سعادتي الدنيا والآخرة وفق شريعة الله تعالى، وذلك بإكساب الفرد المسلم شخصية سليمة وسوية، من خلال تنمية كل جوانبه الجسمية، والعقلية، والفكرية، والنفسية، والأخلاقية، والروحية، والتي قد تمّ جمعها في هذا المبحث إلى ثلاثة عناصر مهمّة، وهي:

1\_ التنمية الجسمية: وهذا من أهم ما يقوم به المرّبيّ تجاه المتربّي، بهدف الحفاظ على صحة جسمية جيّدة، يستطيع من خلالها القيام بدوره الذي خُلِق من أجله.

2\_ التنمية الروحية: وهي الهدف الذي يسعى المنهج التربوي الإسلامي إلى تحقيقه، كون السلوك المختلّ دليل على حصول فتور في الإيمان، الذي لا تقوى جذوته إلا بالعودة إلى الله تعالى، ولا يتحقق السمو بالروح إلا بالتربية الإسلامية الصحيحة.

3\_ التنمية العلمية: إن الهدف من خلال تنمية الإنسان علميا، يكون بحثّه وتحفيزه على العلم والتعلّم، تحقيقا لما تفرضه الضرورة على كل إنسان من أن يكون على قدر كاف من الاطلاع على آخر الإبداعات والاختراعات، لبعث روح الإرادة في النفوس من جديد، تنمية للقدرات والمهارات، وتحقيقا للنهضة العلمية الشاملة لجميع المجالات، كما يفرض عليه الاستمرار الدائم في البحث العلمي، بهدف مواكبة التطورات العلمية الجارية، خاصة وأن التطبيق العملي لكل العلوم النظرية، هو ما يهدف إليه المنهج التربوي الإسلامي ويدعو إليه.

— إن خيرية الأمة الإسلامية لا تتحقق إلا إذا أُقيم فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم هذا الوصف إلا إذا تكوّنت جماعة أو طائفة تدعو أبناء جيلها إلى الخير وفق منهج الله تعالى، وتربّيهم على تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه، فإذا تحقّق فيهم هذا الوصف، تحقّقت خيرية هذه الأمة الإسلامية.

— إن الحضارة تقوم على أصلين هامّين، وهما: الجانب المادّي الذي يركّز على المادة والتنظيم، والجانب المعنوي الذي يركّز على القيم، هذا الأخير الذي يُعدّ الرّائد للحضارة الإسلامية، كون التمسك بالعبادات والتقاليد المحافظة، والحفاظ على الهوية والشخصية الأصيلة، بعيدا عن المفاهيم والتصوّرات الخاطئة، إضافة إلى العمل الجادّ بغية التقدّم والرقي المادي والتنظيمي، وتطوير المجالات الخاصة في جميع ميادين الحياة، هو ما يهدف إليه المنهج التربوي الإسلامي.

### ثانيا: خصائص المنهج التربوي الإسلامي

من بين النتائج الرئيسية المتوصّلة إليها لخصائص هذا المنهج، هي:

نستنتج بأن الرّبّانية من سمات وخصائص المنهج التربوي الإسلامي، لأن الله تعالى هو مصدر التشريع الإسلامي، الذي هو دين الله القيّم، وأن الإنسان قاصر عن التشريع لفرط عجزه عن ذلك، نظرا لقدراته المحدودة، وشهوته الممدودة.

إن أصول ودعائم المنهج التربوي الإسلامي، في إصلاحه وتوجيهه وتركيبته للإنسان، مستمدّ من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

كما نستنتج بأن الإحاطة من أهمّ ما يميّز به المنهج التربوي الإسلامي من خصائص، كونه تامّ في شموله وتكامله، وتامّ في توازنه واعتداله، مما يعني أنه محيط إحاطة بالغة وملّمة بأدق الأمور التي تهتمّ بالشؤون العامّة والخاصّة لهذا الإنسان، كما تهتمّ بالربط بين جميع الجوانب الإنسانية، من غير إفراط ولا تفريط. إن المنهج التربوي الإسلامي اهتمّ بتربية الإنسان النفسية، والتي تمثلت في الاهتمام بالجانب الجسمي، والعقلي، والرّوحي .

كما اهتمّ بالتربية الإيمانية للإنسان، فاهتمّ بإصلاحه من خلال العقيدة، والعبادة، والمراقبة. كما اهتمّ بالتربية الاجتماعية الخاصّة بالإنسان، وذلك بإرشاده، وتوجيهه، وإصلاح أفعاله وانفعالاته، من خلال ضبط سلوكه، أثناء معاملاته الاجتماعية مع غيره، إضافة إلى تنشئته على تحمّل المسؤولية.



### ثالثاً: أساليب المنهج التربوي الإسلامي

من بين النتائج الأساسية التي تمّ التوصل إليها من خلال أساليب المنهج هي: لإنجاح العملية التربوية، يجب أن تقترن أساليب المنهج التربوي بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال والتي هي أحسن.

إن أساليب المنهج التربوي الإسلامي، سواء القولية منها والمتمثلة في التربية بالتشويق، أو الفعلية والمتمثلة في التربية بالهداية والإرشاد، كلها لا تنفك عن الموعظة الحسنة لاقتراحها بها. إن التربية بالتشويق يعمد إليها المرّبون، بغية زرع الثقة بنفوس المتربّين لتحفيزهم وإيقاظ همهم وعزائمهم، من خلال تطبيق أسلوبي الحوار والترغيب والترهيب.

إن أسلوب الحوار وأسلوب الترغيب والترهيب والقصة والمثل، كلها أساليب تربوية قرآنية سنّية، تجعل من التشويق باعثاً على معرفة الحقائق من خلالها، والتطلّع إلى إدراك المجهول عن طريقها، هذه الأساليب التي تُؤثر في السامع والمتعلّم، وتجعله يتقبّل الحق ويُقبل عليه.

نستنتج بأن الحوار إذا دار بين اثنين بهدف تربية أحدهما للآخر، فإنه لا يخرج عن أمرين: إما عن طريق الدّعوة والتذكير، أو عن طريق الاستفسار والاستدلال.

إن التربية بالحرص على التوجيه الرّشيد، تهدف إلى الالتزام بما يوافق الفطرة الإنسانية، وبناء الشخصية السويّة، والحفاظ على الهوية الذاتية، والاعتزاز بالانتماء للأمة الإسلامية، تحقيقاً لتنمية المدارك الفكرية، وتعزيز الثقة النفسية.

إن أسلوبي القدوة الحسنة، والاهتمام بتربية ذوي الكفاءات والمواهب، أساليب تطبيقية، تفرض على المرّتين الاستعانة بكل الوسائل والتقنيات التربوية، كما تفرض عليهم حسن استعمال الأساليب التربوية والإصلاحية، بما يوافق متغيّرات العصر ومتطلّباته، وأن يتأقلموا معها أفراداً ومجموعات، كون التقدّم العلمي والصناعي لأي مجتمع أو أمة، مرهون بمدى تقدّمها التربوي الموافق للمنهج الإسلامي القويم.

### رابعاً: آليات المنهج التربوي الإسلامي في ترسيخ القيم

من بين النتائج الرئيسية المتوصّل إليها من خلال آليات المنهج، هي:

نخلص إلى أن العادة كآلية تربوية في ترسيخ القيم بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، تكمن في كيفية إيصال المعاني والمفاهيم الصحيحة للأشياء، لتشبيتها في نفس المتربّي، وذلك عن طريق التركيز عليها بالتكرار والاستمرار، حتى إذا أكسبتها المداومة عليها تعودا نفسيا ثم عمليا على أرض الواقع، صار آداؤها آليا وتلقائيا، دون بذل لأي مجهود أو تفكير، نظرا لامتزاج الجانب النظري والتطبيقي، ولاستحضار الوعي والإدراك لها أثناء ممارستها.

نستنتج بأن ترسيخ القيم يعتمد أساسا على التلقين النظري الذي يعتمد على إشعار المربّي بأهمية القيمة، والصبر على ترسيخها في المتربّي.

كما نستنتج بأن ترسيخ القيم يعتمد أيضا على الممارسة العملية، التي تعتمد أساسا على غرس المراقبة في النفس، والإخلاص في العمل لله تعالى.

كما نستنتج في الأخير، أن إحداث التغيير في أنفسنا وغيرنا نحو الأصلح، ضرورة حتمية، تستوجب الحفاظ على ثوابتنا، ومبادئنا، وقيمنا الإسلامية، وذلك بتقدير الفطرة الإنسانية حق قدرها، وتهيئة المناخ الصالح لنموها وازدهارها، والتي يكون ترسيخها في النفوس بتنوّع الأساليب التربوية.

وبالله التوفيق والسداد

## التوصيات:

- أوصي في ختام هذا البحث، بجملة من التوصيات التي أراها مهمّة، وأخصّها في النقاط الآتية:
- 1\_ الاهتمام بتربية أبناء الأمة الإسلامية من أطفال وشباب، تربية إسلامية على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مع مراعاة الفروق الفردية بينهم، وإعدادهم إعداداً روحياً سامياً، ونفسياً سليماً، وفكرياً أصيلاً، وأخلاقياً فاضلاً، وعلمياً عالياً، وثقافياً نبيلاً، واجتماعياً إيجابياً.
  - 2\_ إشغال الأبناء والشباب خاصة، بتعليمهم وملء وقت فراغهم بالنافع المفيد، ليكونوا يد عاون لبناء مجتمعهم، لا معاول هدم وفساد فيه.
  - 3\_ التخطيط لأي عمل تربوي قبل الشروع فيه، تجنّباً لإهدار الوقت وفوات الأوان.
  - 4\_ إنشاء دورات تدريبية توعوية، لمختلف شرائح المجتمع، ليتسنى للمربين كيفية التعامل مع من يتولّون تربيتهم، كما تكسبهم هذه الندوات والدورات، كإفادة المعارف والخبرات التربوية الصحيحة، وكيفية تطبيقها أثناء العملية التربوية لإنجاحها.
  - 5\_ إنشاء مكاتب خاصة بالاستشارات التربوية، لتثقيف المربين ومساعدتهم، على كيفية توجيه أبنائهم المنحرفين وتقويمهم.
  - 6\_ تربية الجيل المسلم على العلم الصحيح الذي يفرض على أهله القيم الأخلاقية ويلزمهم بها، ويدعو إلى إعمال العقل بما يوافق النقل الصحيح، وتخطّي الجمود الفكري، والتقليد والتبعية، الذي يسلب الحرية الفكرية، ويولّد الضغط والإكراه.
  - 7\_ استغلال التقدّم العلمي، والتكنولوجي، والثقافي، وتحويله بالعلم والعمل لصالح الإسلام والمسلمين.
  - 8\_ تربية الجيل المسلم على الإبداع والابتكار، واكتشاف المتميّزين، بتنمية مواهبهم وكفاءاتهم، وذلك بجعل ورشات للاختراعات والابتكارات، على جميع المؤسسات ومختلف المستويات، بدءاً بالمؤسسات التربوية والتعليمية، لأن وجود أبناء متميّزين في مجتمع ما، دليل على تميّز هذا المجتمع.

9\_ لا بدّ للأمة أن تعمل جاهدة، بمرئيتها ومعلميها وقوادها ومصليحيها، وغيرهم، على إعداد ذوي الكفاءات من أبنائها، ليتعلّموا تحمّل أعباء المسؤوليات الموكلة إليهم، وليكونوا مصدر بناء الصرح الحضاري لمجتمعهم ولأمتهم، وأن يتقلّدوا الصدارة، بجيازتهم مقدّمة الصفوف لا مؤخرتها، ولا يتحقّق ذلك إلا بالتوجيه الرّشيد وفق المنهج التربوي الإسلامي عملاً وتطبيقاً.

# الفهرس

\_ فهرس الآيات القرآنية

\_ فهرس الأحاديث النبوية

\_ فهرس المصادر والمراجع

\_ فهرس الموضوعات

\_ الملخصات

## فهرس الآيات القرآنية

### سورة البقرة

- ﴿الْم ١﴾ ... هَدَى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ..... 69
- ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٢٥﴾ ..... 168
- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ ﴿٣٠﴾ ..... 23
- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ﴿٣١﴾ ... تَكْتُمُونَ ﴿٣٢﴾ ..... 23
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ ﴿٣٤﴾ ..... 23
- ﴿بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴿١١٢﴾ ..... 125
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴿١١٩﴾ ..... 160
- ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرٰهٖمَ رَبُّهُ ﴿١٢٤﴾ ..... 183
- ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٨﴾ ..... 77، 65
- ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِم رَسُولًا ﴿١٢٩﴾ ..... 77، 74
- ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرٰهٖمَ ﴿١٣٠﴾ ..... 99
- ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ ﴿١٣٤﴾ ..... 65
- ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً ﴿١٤٣﴾ ..... 210، 95، 47
- ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴿١٥١﴾ ... تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾ ..... 103، 78، 77
- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴿١٦٤﴾ ..... 16
- ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا ﴿١٧٢﴾ ..... 112
- ﴿لَيْسَ إِلٰهٌ أَن تُولُوا وَجُوهَكُمْ ﴿١٧٧﴾ ..... 120

- 69 ..... ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي ﴿١٨٥﴾﴾
- 113 ..... ﴿وَلَا تَقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴿١٩٥﴾﴾
- 109 ..... ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي ﴿٢١٧﴾﴾
- 133 ..... ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿٢١٣﴾﴾
- 61 ..... ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴿٢١٦﴾﴾
- 195 ..... ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ﴿٢٤٧﴾﴾
- 196 ..... ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٢٥١﴾﴾
- 167 ..... ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ ﴿٢٦١﴾﴾
- 222 ..... ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ ﴿٢٦٥﴾﴾
- 193 ، 139 ..... ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴿٢٦٩﴾﴾
- 80 ..... ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴿٢٧٢﴾﴾
- 123 ، 120 ..... ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ ﴿٢٨٥﴾﴾
- 98 ، 25 ، 21 ..... ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا ﴿٢٨٦﴾﴾

### سورة آل عمران

- 38 ..... ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴿١٤﴾﴾
- 122 ..... ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿١٨﴾﴾
- 64 ..... ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿١٩﴾﴾

- 99 ..... ﴿وَيَذَرِكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴿٢٨﴾
- 104 ..... ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ﴿٣٠﴾
- 137 ، 19 ..... ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ ﴿٧٩﴾
- 137 ..... ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ ﴿٨١﴾
- 66 ..... ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعُونَ ﴿٨٣﴾
- 66 ، 64 ..... ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ ﴿٨٥﴾
- 58 ، 48 ..... ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴿١١٤﴾
- 58 ، 47 ..... ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ ﴿١١٥﴾
- 106 ..... ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴿١٣٥﴾
- 135 ، 129 ..... ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴿١٥٩﴾
- 80 ..... ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٤﴾
- 32 ..... ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ ﴿١٨٩﴾ ... النَّارِ ﴿١٩١﴾

### سورة النساء

- 230 ، 126 ..... ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴿١﴾
- 63 ..... ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴿٢٨﴾
- 113 ..... ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿٢٩﴾
- 28 ..... ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا ﴿٣٦﴾



- 168 ..... ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ٥٧
- 87 ..... ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ ٥٩
- 224 ، 141 ..... ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ﴾ ٦٦
- 87 ..... ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ﴾ ٨٠
- 232 ، 97 ..... ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ ١٠٨
- 143 ..... ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ﴾ ١٠٩
- 106 ..... ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ١١٠
- 87 ، 85 ..... ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ ١١٣
- 97 ..... ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ١١٦
- 120 ..... ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامَنُوا﴾ ١٣٦
- 160 ، 152 ..... ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ١٦٥

### سورة المائدة

- 94 ، 65 ..... ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ٢
- 69 ..... ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ ١٥
- 69 ..... ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ ١٦
- 109 ..... ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا﴾ ٣٢
- 170 ..... ﴿إِنَّمَا جَزَأُ﴾ ٣٣ ... ﴿رَّحِيمٌ﴾ ٣٤

- ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ ﴾ ٤٨ ..... 14، 3
- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ ﴾ ٦٦ ..... 167
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ ﴾ ٦٧ ..... 80
- ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ ﴾ ٨٣ ..... 83
- ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ ٨٨ ..... 112

### سورة الأنعام

- ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ ﴾ ٣١ ..... 38
- ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ٣٨ ..... 93، 72، 70
- ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا ﴾ ٤٨ ..... 165
- ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ ﴾ ٧٠ ..... 38
- ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ ﴾ ٨٢ ..... 165
- ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ ٩٠ ..... 176
- ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا ﴾ ١١٥ ..... 65
- ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ ﴾ ١١٨ ... بِالْمَعْتَدِينَ ﴿ ١١٩ ..... 113
- ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ ١٦١ ..... 143
- ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ ﴾ ١٦٥ ..... 66

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ ﴾ ١٥١ ..... 108

﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ ١٥٣ ..... 66, 59, 27

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي ﴾ ١٦٣ ... ﴿ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ١٦٣ ..... 57

## سورة الأعراف

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَجْشَةً ﴾ ٣٨ ... ﴿ لَهُ الدِّينُ ﴾ ٣٩ ..... 25

﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا ﴾ ٣١ ... ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ ٣٢ ..... 114

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي ﴾ ٣٣ ..... 60

﴿ كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ ﴾ ٣٨ ..... 46

﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ ﴾ ٥١ ..... 38

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ ﴾ ٥٥ ... ﴿ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٥٦ ..... 107

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ ٦٥ ..... 27

﴿ وَإِلَىٰ شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ ٧٣ ..... 27

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ ٨٥ ..... 28

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا ﴾ ٩٦ ..... 232

﴿ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ ١٥٧ ..... 160, 96

﴿ قُلْ يَتَّيْبُهَا النَّاسُ ﴾ ١٥٨ ..... 77, 65

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ ﴾ ١٦٤ ..... 152, 140

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا﴾ ..... ١٦٦ ﴿ 170 .....

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ ..... ١٧٩ ﴿ 117 ، 24 .....

﴿وَأَذْكُر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ ..... ٣٥ ﴿ 104 .....

### سورة الأنفال

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ﴾ ..... ٢ ﴿ 45 .....

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ﴾ ..... ٢١ ﴿ ... لَا يَعْقِلُونَ﴾ ..... ٢٢ ﴿ 116 .....

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ..... ٦٦ ﴿ 129 .....

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ..... ٦٠ ﴿ 127 .....

### سورة التوبة

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ..... ٣٦ ﴿ 68 .....

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ ..... ٧٨ ﴿ 230 .....

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ﴾ ..... ١٠٥ ﴿ 44 .....

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا﴾ ..... ١٢٤ ﴿ ... كَفُرْتُمْ﴾ ..... ١٢٥ ﴿ 215 .....

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ ..... ١٢٨ ﴿ 129 ، 75 .....

### سورة يونس

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ..... 37

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ ..... 64

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ﴾ ..... 105

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ ﴾ ..... 65

### سورة هود

﴿ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ ﴾ ..... 219

﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ﴾ ..... 162

### سورة يوسف

﴿ قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْضُصْ ﴾ ... ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ..... 155

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا ﴾ ... ﴿ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ..... 195، 137

﴿ يَصْلِحِ السَّجْنَ ﴾ ... ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ..... 156، 67، 52

﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ﴾ ..... 102

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ﴾ ... ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ..... 195

﴿ وَقَالَ يَتَّابِتْ هَذَا تَأْوِيلُ ﴾ ..... 156

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ ﴾ ... ﴿ مُشْرُكُونَ ﴾ ..... 33

### سورة الرعد

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ ..... 103

﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ..... 39

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ ..... 82

### سورة إبراهيم

﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ ..... 74، 69

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن﴾ ..... 78

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ ﴿٣٢﴾ ... كَعَمَّارٍ ﴿٣٤﴾﴾ ..... 24، 20

### سورة الحجر

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ ..... 81، 60

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا ﴿١٦﴾ ... الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ..... 31

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴿٣٨﴾ ... سَاجِدِينَ ﴿٣٩﴾﴾ ..... 119، 22

### سورة النحل

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴿٣٦﴾﴾ ..... 160، 27

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ ﴿٣٧﴾﴾ ..... 80

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴿٥١﴾﴾ ..... 169

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ ﴿٧٨﴾ ..... 100

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴿٨٩﴾ ..... 72 ، 70

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴿٩٠﴾ ..... 231 ، 98 ، 71

﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ ﴿٩٣﴾ ..... 81

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴿١٢٥﴾ ..... 143 ، 136

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴿١٢٨﴾ ..... 230

### سورة الإسراء

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي ﴿٩﴾ ..... 134 ، 70

﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي ﴿١٥﴾ ..... 99

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ ﴿٢٤﴾ ..... 19

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴿٧٠﴾ ..... 98 ، 92 ، 23

﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ ﴿٨٢﴾ ..... 215 ، 70

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا ﴿٨٥﴾ ..... 200 ، 194 ، 118 ، 63

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ..... 24

﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ﴿١٠٧﴾ ..... 83

### سورة الكهف

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ﴾ ..... 231

﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ ..... 150

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ ..... 150

﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ ﴾ ..... 37

﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ ﴾ ..... 143

﴿ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ..... 144

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ ﴿١١٣﴾ ... هُزُؤًا ﴿١١٦﴾ ..... 171

### سورة مريم

﴿ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بَجْدِ النَّخْلَةِ ﴾ ..... 71

﴿ وَذَكَرَ فِي الْكِتَابِ ﴿٤١﴾ ... بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ..... 153

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ..... 82

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ..... 26

### سورة طه

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ ..... 26

﴿ أَذْهَبًا إِلَى فِرْعَوْنَ ﴿٤٣﴾ ... أَوْ يَحْتَنِي ﴿٤٤﴾ ..... 152، 143

﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا ﴿٧٥﴾ ... تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ ..... 108، 26



- ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ١١٤ ..... 246 ، 194
- ﴿ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ١٢٣ ... ﴿ أَعْمَى ﴾ ١٢٤ ..... 25
- ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ ١٣٢ ..... 244
- ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَا هُم بِعَذَابٍ ﴾ ١٣٤ ..... 160

### سورة الأنبياء

- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ ﴾ ١٦ ... ﴿ فَعَلِينَ ﴾ ١٧ ..... 133 ، 34
- ﴿ أَمْ أَخَذُوا مِنَ اللَّهِ ﴾ ٣١ ... ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ ٣٢ ..... 21
- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ٤٥ ..... 124 ، 27
- ﴿ وَرَكَرَبًا إِذْ نَادَى ﴾ ٨٩ ... ﴿ خَشِعِينَ ﴾ ٩٠ ..... 161

### سورة الحج

- ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ ﴾ ٣ ... ﴿ السَّعِيرِ ﴾ ٤ ..... 145
- ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ ﴾ ٨ ... ﴿ الْحَرِيقِ ﴾ ٩ ..... 145
- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ ﴾ ١٨ ..... 31
- ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَتَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ٤١ ..... 57
- ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ ﴾ ٤٦ ..... 117 ، 116
- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ﴾ ٦٥ ..... 23

﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ ﴾ ٦٨ ..... 143

### سورة المؤمنون

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ ٢٣ ..... 28

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ٧١ ..... 63

﴿ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ ۗ ﴿١١٣﴾ ... رَبُّ الْعَرْشِ ۗ ﴿١١٦﴾ ..... 133, 39

### سورة النور

﴿ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ ۗ ﴿١٧﴾ ..... 141

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ٢١ ..... 103

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ ۗ ﴿٣١﴾ ..... 114

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ٥٥ ..... 167, 125, 20

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ٥٦ ..... 88

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ ﴾ ٦٣ ..... 88

### سورة الفرقان

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ ٢ ..... 239

﴿ وَيَوْمَ يَعْزُضُ الظَّالِمُ ﴾ ٢٧ ... خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ..... 191

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا ﴾ ٥٦ ..... 160

﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴿٧١﴾ ..... 26

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ ﴿٧٤﴾ ..... 183

### سورة الشعراء

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴿١٨﴾ ..... 19

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ ﴿١٣٦﴾ ..... 140

### سورة النمل

﴿ أَنَا أَنبِئُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ ﴿٣٩﴾ ..... 114

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ ﴿٦٠﴾ ... صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ ..... 29

﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ ﴿٦٥﴾ ..... 70

﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٨٨﴾ ..... 239

### سورة القصص

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَىٰ ﴿١٤﴾ ..... 195

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ ﴿٣٦﴾ ..... 195، 114

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي ﴿٣٤﴾ ..... 195

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿٥٦﴾ ..... 80

﴿ إِنَّ قَدْرُونَ ﴿٧٦﴾ ... يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ..... 199، 96، 94

## سورة العنكبوت

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ آلِهِ ﴿١٤﴾..... 219
- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴿٤٣﴾..... 163
- ﴿إِنِ الصَّلَاةَ تَنهَىٰ ﴿٤٥﴾..... 227
- ﴿وَلَا تُجَدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴿٤٦﴾..... 143
- ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا ﴿٦٤﴾..... 38

## سورة الروم

- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴿٣٠﴾..... 211 ، 67
- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿٤١﴾..... 236
- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴿٤٣﴾... الْكٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾..... 68
- ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ ﴿٥٨﴾..... 163

## سورة لقمان

- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ ﴿١٣﴾... الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾..... 194 ، 153 ، 140
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ﴿٢٠﴾... السَّعِيرِ ﴿٢١﴾..... 145 ، 23 ، 20
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴿٣٣﴾..... 38

### سورة السجدة

- ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ٧ ... ﴿تَشْكُرُونَ﴾ ٩ ..... 119 ، 100
- ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ ١٦ ..... 156
- ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾ ١٧ ..... 169

### سورة الأحزاب

- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ ١١ ..... 175 ، 76
- ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ٣٦ ..... 88
- ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ٤٥ ... ﴿كَبِيرًا﴾ ٤٧ ..... 165
- ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ٧١ ..... 88
- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى﴾ ٧٢ ..... 92

### سورة سبأ

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً﴾ ٣٨ ..... 77

### سورة فاطر

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ١ ..... 123

﴿ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ ﴾ ١٨ ..... 104

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ ﴾ ٤٦ ..... 45

### سورة يس

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَوْتَىٰ ..... مُعْرِضِينَ ۗ ﴾ ٣٣ ..... 239, 30

### سورة الصافات

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ ۗ ٥٠ ... مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۗ ﴾ ٥٧ ..... 190

### سورة ص

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ ﴾ ٢٨ ..... 26

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ۗ ﴾ ٢٩ ..... 152

### سورة الزمر

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ۗ ٢ ... الَّذِينَ الْخَالِصُونَ ۗ ﴾ ٣ ..... 66

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ ٩ ..... 246

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ ۗ ١١ ... الْمُمِينُ ۗ ﴾ ١٥ ..... 66

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ ۗ ﴾ ٢٢ ..... 67

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴿٢٣﴾ ..... 83

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ ﴿٢٧﴾ ... يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ..... 163، 70

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴿٤٢﴾ ..... 99

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴿٥٣﴾ ..... 106

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ ﴿٥٥﴾ ... الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ..... 104، 99

### سورة غافر

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ ﴿٣٨﴾ ... دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ..... 39

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي ﴿٦٠﴾ ..... 107

### سورة فصلت

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا ﴿٣٠﴾ ... الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ..... 166

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطِلُ ﴿٤٢﴾ ..... 215

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا ﴿٤٤﴾ ..... 215

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ط ﴿٤٦﴾ ..... 108، 99

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ ﴿٥٣﴾ ..... 29

﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ﴿٥٤﴾ ..... 97

### سورة الشورى

- 19 ..... ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (١٣)
- 144 ..... ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجْدِلُونَ﴾ (٢٥)
- 69 ..... ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ (٥٢)

### سورة الزخرف

- 138 ..... ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ (٤)
- 24 ..... ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ (١٥)
- 144 ..... ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ (٥٨)
- 190 ..... ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ﴾ (٦٧)
- 230 ..... ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ﴾ (٨٠)

### سورة الدخان

- 138 ..... ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (٤)

### سورة الجاثية

- 61 ..... ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ (١٨)
- 26 ..... ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ (٢١)
- 38 ..... ﴿ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ﴾ (٣٥)



### سورة الأحقاف

80 ..... ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٢٣)

219 ..... ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ﴾ (٣٥)

### سورة محمد

38 ..... ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ (٣٦)

### سورة الفتح

129 ..... ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (٢٩)

### سورة الحجرات

129 ..... ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (١٠)

248 ، 148 ، 129 ، 126 ..... ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ (١٣)

### سورة الذاريات

154 ..... ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ﴾ (٥٥)

124 ، 56 ، 32 ..... ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ (٥٦)

### سورة النجم

86 ..... ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ... يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾

### سورة القمر

137 ..... ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّدْرُوءَ ﴿٥﴾﴾

239..... ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾

### سورة الرحمن

173 ..... ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٦٩﴾﴾

### سورة الحديد

230 ..... ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴿٤﴾﴾

37 ..... ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ ﴿٢٠﴾﴾

### سورة المجادلة

150 ..... ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ﴿١﴾﴾

45..... ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ﴿١١﴾﴾

### سورة الحشر

﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ ٧ ..... 161 ، 88 ، 86

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ ٩ ..... 128

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ١٨ ... ﴿ الْفَاسِقُونَ ﴾ ١٩ ..... 104

### سورة الممتحنة

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ٤ ..... 176

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ ﴾ ٦ ..... 176

### سورة الصف

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ٢ ... ﴿ تَفَعَّلُوا ﴾ ٣ ..... 179

﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ ٦ ..... 75

### سورة الجمعة

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ ﴾ ٢ ..... 135 ، 104 ، 80

### سورة الطلاق

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ ١٤ ..... 97

### سورة التحريم

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ﴾ ..... 179، 201، 243

### سورة الملك

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ ۱) ... ۲) الْغَفُورُ﴾ ..... 35

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ ۱۰) أَوْ نَعْقِلُ﴾ ..... 85

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ ۱۴)﴾ ..... 14، 60، 240

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ ۲۳)﴾ ..... 115

### سورة القلم

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۴)﴾ ..... 74

### سورة الحاقة

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ ۱۸)﴾ ..... 105

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ۴۴) ... حَجْرَيْنَ ۴۷)﴾ ..... 87

### سورة نوح

167 ..... ﴿قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي ﴿٢﴾ ... تَعَلَّمُونَ ﴿٤﴾﴾

167 ..... ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ﴿١٠﴾ ... أَنهَرًا ﴿١٣﴾﴾

### سورة المزمل

81 ..... ﴿وَرَقِيلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾

### سورة المدثر

81 ..... ﴿إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ ... سَفَرًا ﴿٢٦﴾﴾

### سورة القيامة

101 ..... ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ ... اللَّوَامَةِ ﴿٢﴾﴾

81 ..... ﴿لَا تُخْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ ﴿١٦﴾ ... بَيَانَهُ، ﴿١٩﴾﴾

### سورة الإنسان

24 ..... ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾ ... كَفُورًا ﴿٣﴾﴾

### سورة النازعات

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ ﴿٤٦﴾ ... هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ ..... 109

سورة الانفطار

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ ﴿٧﴾ ... رَبَّكَ ﴿٨﴾﴾ ..... 111

سورة البروج

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٣٠﴾﴾ ..... 97

سورة الأعلى

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ... وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ ..... 108, 39

سورة الغاشية

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٦١﴾﴾ ..... 154

سورة الفجر

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ... مَرَضِيَّةٌ ﴿٢٨﴾﴾ ..... 101

سورة الشمس

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ ... دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ ..... 108 ، 85 ، 84 ، 25

### سورة الشرح

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ ... فَأَرْغَبْ ﴿٨﴾﴾ ..... 165

### سورة التين

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ ﴿٤﴾ ... مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ ..... 111 ، 24 ، 23

### سورة العلق

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ... يَعْلَمُ ﴿٥﴾﴾ ..... 245 ، 84

### سورة البينة

﴿فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ ... الْقِيمَةَ ﴿٥﴾﴾ ..... 234 ، 8

### سورة العاديات

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ ..... 24

### سورة العصر

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ ... وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ ..... 48 ، 26

## فهرس الأحادس

- 171..... {أأأرون من المفلس
- 28 ..... {أأأرى ما حق الله على العباد ؟
- 43..... {أأأ المأأرم أأأأ الناس
- 230..... {الإأسان أن أأأ الله كأأأ أراه
- 86..... {إذا أمرأكم بأمر فأأوا منه ما اسأأأتم
- 228..... {أأأأتم لو أن نأراً بأب أأأكم
- 198..... {أأأ أمأى بأأأى أبو بكر
- 45..... {أأأب الكسب عمل الرجل بأه
- 168..... {أأأأأ لأبأأى الصأأأن ما لا عأن رأأ
- 86..... {أأأ، فو الأأى نفسى بأه ما أأأ مأى إلا الأ
- 170..... {ألا أأأأكم بما هو أأأف علىكم
- 213..... {ألا أنأأكم بأأأر الكبأأر
- 90..... {ألا هل عسى رجل بأهه الأأأ عأى
- 119..... {ألم أروا الإنسان إذا مات أأأ بصره
- 232..... {أما إنهم من إأوانكم ، ومن أأأأكم
- 119..... {إن الرأأ إذا أأأأ أأه البصر



- 234 ..... {إنَّما الأعمال بالنيات
- 178..... {إنَّما أنا لكم بمنزلة الوالد، أعلمكم
- 41..... {إنَّما بُعثت لأتمَّ حسن الأخلاق
- 41..... {إن من خيركم أحسنكم خلقًا
- 177..... {إني لا أدري ما بقائي فيكم
- 220..... {إنه من لا يرحم لا يُرحم
- 177، 140، 89..... {أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة
- 120..... {الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته
- 122..... {الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان
- 129، 126..... {ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم
- 229..... {خذوا من العمل ما تطيقون
- 211..... {الخير عادة، والشرّ لِحاجة
- 154..... {الدِّين النصيحة
- 88..... {ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم
- 129..... {الراحمون يرحمهم الرحمن
- 191..... {الرجل على دين خليله
- 232..... {الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة

- 245..... { طلب العلم فريضة على كل مسلم }
- 107..... { قل اللهم عالم الغيب والشهادة }
- 88..... { كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي }
- 180..... { كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته }
- 104..... { الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت }
- 291..... { لا تُصاحب إلا مؤمنا }
- 128، 57..... { لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه }
- 185..... { لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر }
- 156..... { لقد سألت عن عظيم }
- 167..... { لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد }
- 36..... { اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا }
- 107..... { اللهم، إني أعوذ بك من العجز والكسل }
- 38..... { لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة }
- 37..... { ما أنا والدنيا؛ إنما أنا والدنيا كراكب استظلَّ تحت شجرة }
- 144..... { ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل }
- 166..... { ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله }
- 168..... { ما من عبد قال لا إله إلا الله }

- 180..... { ما من مولود إلا ويولد على الفطرة }
- 89..... { من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله }
- 186..... { من تشبه بقوم فهو منهم }
- 45..... { من سلك طريقا يلتمس فيه علما }
- 173..... { من سنّ في الإسلام سنة حسنة }
- 228..... { من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب }
- 233..... { من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا }
- 166..... { من قام رمضان إيمانا واحتسابا }
- 196، 187، 113، 44..... { المؤمن القوي، خير وأحبّ إلى الله }
- 113..... { نعم، يا عباد الله تداووا }
- 177..... { وقد تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده }
- 214..... { ويل للأعقاب من النار }
- 229..... { يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تُطيقون }
- 113..... { يا عبد الله، ألم أُخبر أنّك تصوم النهار وتقوم الليل }
- 154، 130..... { يا غلام إني أعلمك كلمات }
- 171..... { يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا }
- 198..... { يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله }

## فهرس المصادر والمراجع

\_ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

(أ)

- 1\_ الإبراهيمي أحمد طالب ، قام بجمع وتقديم، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م .
- 2\_ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1419هـ -1998م .
- 3\_ الاتحاد الأثمي للمجامع العلمية، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، ونشره، د. أ.ى ونسك، أستاذ العربية بجامعة ليدن، مكتبة بريل في مدينة ليدن، د.ط، 1936م.
- 4\_ أبو جلاله صبحي حمدان ، ومحمد حميدان العبادي، أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ\_2001م .
- 5\_ أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخين: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ \_ 1993م .
- 6\_ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار ابن حزم، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1418هـ\_1997م .
- 7\_ أبو الذهب طه ، المعجم الإسلامي \_الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ\_2002م .
- 8\_ أبو غدة عبد الفتاح ، الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم، د.دار النشر، الرياض، د.ط، 1416هـ.

- 9\_ ابن باديس عبد الحميد ، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار البعث للطباعة والنشر، ط1، 1402هـ \_ 1982م .
- 10\_ ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984م .
- 11\_ ابن عطية، القاضي عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م .
- 12\_ ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا ، مجمل اللغة، ، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ\_1986م .
- 13\_ ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ط ، 1399هـ - 1979م .
- 14\_ ابن قَيِّم الجوزية، بدائع التفسير، جمعه وخرَّج أحاديثه: يسري السيد محمد، وراجعته: صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، ط1، 1427هـ .
- 15\_ ابن كثير إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة للنشر، جيزة، ط1، 1421هـ - 2000م .
- 16\_ ابن كثير الحافظ، البداية والنهاية، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، جيزة، ط1، 1417هـ\_1997م .
- 17\_ ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي، المعروف بالسندي، وبجاشيته تعليقات: مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجة، للإمام البوصيري، حقق أصوله وخرَّج أحاديثه: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت .
- 18\_ ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: د. بشَّار عوَّاد معروف، دار الجيل بيروت، ط1، 1418هـ\_1998م .

- 19\_ ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت .
- 20\_ ابن هشام عبد الملك، السيرة النبوية، دار المنار، القاهرة، د.ط، 1410هـ\_1990م .
- 21\_ الأشقر عمر سليمان ، العقيدة في الله، قصر الكتاب، البلدة، د.ط، د.ت .
- 22\_ الأصفهاني أبو نعيم ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1416هـ\_1996م .
- 23\_ الأهواني أحمد فؤاد ، التربية في الإسلام، دار المعارف للطبع بمصر، د.ط، 1968م .

( ب )

- 24\_ باحارث عدنان حسن صالح ، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط10، 1426هـ\_2005م .
- 25\_ البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، شرح وتصحيح وتحقيق : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية، القاهرة، ط1، 1400هـ

( ت )

- 26\_ الترمذي محمد بن عيسى، الجامع الكبير، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م .
- 27\_ تيززي احمد ، بوفلحة غيات، وغيرهم، قراءات في الأهداف التربوية، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي، باتنة، ط1، 1994م .

( ج )

- 28\_ الجراري عباس ، قضايا للتأمل برؤية إسلامية، منشورات النادي الجزائري، الرباط، ط1، 1429هـ\_2008م .
- 29\_ جرنو الحسين محمود جلو، أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، دراسات تربوية إسلامية،

رسالة جامعية نال بها درجة الماجستير في التربية بدرجة امتياز، دون ذكر اسم الجامعة، مؤسسة الرسالة، دار العلوم الإنسانية، بيروت، ط1، 1414هـ\_1994م .

30\_ الجندي أنور ، دراسات في الإسلام، أحاديث إلى الشباب (عن العقيدة والنفس والحياة) في ضوء الإسلام، يصدرها: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، العدد165، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، 1394هـ\_1974م .

31- جودت سعيد، رياح التغيير، قضايا الإنسان والعلم والتأويل، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1416هـ\_1995م.

32\_ الجوهري، الصحاح\_ تاج اللغة وصحاح العربية\_ دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ\_1988م .

#### ( ح )

33\_ الحازمي، خالد بن حامد ، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط1، 1420هـ\_2000م .

34\_ الحازمي عبد الرحمن بن سعيد، التربية في القرآن الكريم، توجيهات تربوية لبعض آيات القرآن الكريم، دراسة موضوعية، د. دار النشر، د.ط، د.ت .

35\_ حبنكة عبد الرحمن حسن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط5، 1420هـ\_1999م.

36\_ حبنكة عبد الرحمن حسن الميداني، فقه الدعوة إلى الله، وفقه النصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دراسة استنباطية تشتمل على: بيان وجوبها، وأسسها، ومناهجها، وسبلها، ووسائلها، وآدابها، ونماذج من تطبيقاتها، دار القلم، دمشق، ط1، 1417هـ\_1996م.

37\_ الحجاجي حسن بن علي ، الفكر التربوي عند ابن رجب الحنبلي، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1417هـ\_1996م .

38\_ الحجاجي حسن بن علي ، الفكر التربوي عند ابن القيم، دار حافظ للنشر والتوزيع، ط1، 1408هـ\_ 1988م .

( خ )

39\_ خياط يوسف ، معجم المصطلحات العلمية والفنية \_عربي، فرنسي، إنكليزي، لاتيني\_ دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت .

( د )

40\_ الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المعني للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1421هـ – 2000م .

( ر )

41\_ الرازي فخر الدين ، مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1401هـ\_ 1981م .

( ز )

42\_ الزبيدي محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1415هـ\_ 1994م .

43\_ الزمخشري جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض، ط1، 1418هـ\_ 1998م .

( س )

44\_ سعيد إسماعيل، قواعد أساسية في البحث العلمي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1415هـ\_ 1994م .



45\_ سعيد إسماعيل علي، أصول التربية الإسلامية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1413هـ-1993م .

46\_ سعيد عبد العظيم، الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، إسكندرية، د.ط، د.ت .

( ش )

47\_ الشعراوي محمد متولي، تفسير الشعراوي، د. دار النشر، د.ط، د.ت .

48\_ الشهري صالح بن علي أبو عزّاد ، مقومات التربية الجسمية في الإسلام، دراسة تحليلية\_ ميدانية، بحث مكتمل لنيل درجة الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية، إشراف: د. السعيد محمود السعيد عثمان، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، كلية التربية بمكة المكرمة، قسم: التربية الإسلامية والمقارنة، الفصل الدراسي: 1420هـ\_2000م .

( ص )

49\_ الصوري يوسف خاطر حسن، أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتربية، صندوق التكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى، الكويت، د.ط، 1991م .

( ط )

50\_ الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1422هـ\_2001م .

( ع )

51\_ العيني بدر الدين ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبطه وصحّحه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ\_2001م .

( غ )

52\_ الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ومعه: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخرّيج ما في الإحياء من الأخبار، للعلامة زين الدين أبي الفضل العراقي، دار ابن حزم، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1426هـ\_2005م .

( ف )

53\_ الفرادي محمد نور ، أفضل أساليب التربية الحديثة، (رسالة)، الجمهورية التونسية، 2009م .  
54\_ الفيروزبادي محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1302هـ .

( ق )

55\_ القاسمي جمال الدين الدمشقي، جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت .

56\_ القاضي سعيد إسماعيل ، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط1، 2004م .

57\_ القرطبي أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط1، 1427هـ\_2006م .

58\_ قطب سيد ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق للطباعة، القاهرة، د.ط، د.ت .

59\_ قطب محمد ، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط14، 1414هـ\_1993م .

60\_ قطب محمد ، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1418هـ\_1997م .

( ك )

61\_ الكيلاني ماجد عرسان ، تطوّر مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية، دار ابن كثير، بيروت، ط2، 1405هـ\_1985م .

( م )

62\_ مجّع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 1425هـ\_2004م.

63\_ مذكور علي أحمد، منهج التربية في التصوّر الإسلامي، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ط1، 1422هـ\_2002م .

64\_ مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، المسمّى: المسند الصحيح المختصر من السنن، بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1427هـ\_2006م .

65\_ المعجم الوسيط، مجّع اللغة العربية، الإدارة العامّة للمعجمات وإحياء التراث، مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ - 2004م .

66\_ المصري محمد أمين ، لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، دار الفكر بدمشق، د.ط، د.ت

( ن )

67\_ ناصح علوان عبد الله ، تربية الأولاد في الإسلام، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط3، 1989م .

68\_ النحلاوي عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1991م، إعادة: 1420هـ\_1999م .

69\_ النسائي أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تقديم: د.عبد الله التركي، حققه وخرّج أحاديثه: حسن

عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1421هـ\_2001م .

70\_ \_ الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم، إصدارات موقع نصرّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، على

الرابط: [www.rasoulallah.net](http://www.rasoulallah.net)

## فهرس الموضوعات

أ	مقدمة .....
1	مدخل مفاهيمي .....
11	الفصل الأول: أسس المنهج التربوي الإسلامي وأهدافه .....
13	المبحث الأول: أسس المنهج التربوي الإسلامي .....
13	المطلب الأول: تميّز المنهج التربوي الإسلامي عن المناهج التربوية الوضعية .....
22	المطلب الثاني: حقيقة الإنسان .....
26	المطلب الثالث: حقيقة الألوهية .....
29	المطلب الرابع: حقيقة الكون .....
35	المطلب الخامس: حقيقة الحياة .....
41	المبحث الثاني: أهداف المنهج التربوي الإسلامي .....
43	المطلب الأول: إعداد الفرد المسلم .....
46	المطلب الثاني: تحقيق الخيرية للأمة الإسلامية .....
50	المطلب الثالث: بناء الحضارة الإسلامية .....
54	الفصل الثاني: خصائص المنهج التربوي الإسلامي .....
56	المبحث الأول: الربانية .....
56	المطلب الأول: الإيمان برؤية المنهج التربوي الإسلامي .....
69	المطلب الثاني: الربانية في القرآن الكريم .....

72	المطلب الثالث: الربانية في السنة النبوية الشريفة .....
92	المبحث الثاني: الإحاطة .....
92	المطلب الأول: مفهوم خاصية الإحاطة .....
98	المطلب الثاني: التربية النفسية .....
119	المطلب الثالث: التربية الإيمانية .....
126	المطلب الرابع: التربية الاجتماعية .....
131	الفصل الثالث: أساليب المنهج التربوي الإسلامي .....
133	المبحث الأول: الحكمة من تنوع الأساليب التربوية .....
136	المطلب الأول: الدعوة بالحكمة .....
140	المطلب الثاني: الدعوة بالموعظة الحسنة .....
143	المطلب الثالث: الدعوة إلى الجدل والتي هي أحسن .....
146	المبحث الثاني: التربية بالتشويق .....
148	المطلب الأول: أسلوب الحوار .....
160	المطلب الثاني: أسلوب الترغيب والترهيب .....
173	المبحث الثالث: التربية بالحرص على التوجيه الرشيد .....
174	المطلب الأول: أسلوب القدوة الحسنة .....
193	المطلب الثاني: الاهتمام بتربية ذوي الكفاءات والمواهب .....
202	الفصل الرابع: آليات المنهج التربوي الإسلامي في ترسيخ القيم .....

204	المبحث الأول: آلية العادة في ترسيخ القيم
205	المطلب الأول: القيم التي يسعى المنهج التربوي الإسلامي لترسيخها
208	المطلب الثاني: مفهوم العادة كآلية في ترسيخ القيم
213	المطلب الثالث: التربية بالتكرار والاستمرار (التلقين النظري)
222	المطلب الرابع: التربية بالتكرار والاستمرار (الممارسة العملية)
236	المبحث الثاني: آلية الالتزام في ترسيخ القيم
239	المطلب الأول: التربية على النظام
248	المطلب الثاني: التربية بالعقوبة
251	خاتمة
256	التوصيات
259	فهرس الآيات
286	فهرس الأحاديث
290	فهرس المصادر والمراجع
298	فهرس الموضوعات

تمت بحمد الله تعالى

# الملخصات

## الملخص

إن موضوع المنهج التربوي الإسلامي، من المواضيع الهامة التي تمس بحاجيات الأمة الإسلامية اليوم أكثر من أي يوم مضى، وذلك اعتباراً لما تعانیه من اختلاط في المفاهيم، وانحراف عن منهج الله القويم، فانحرفت بذلك التربية عن مسارها الصحيح، فانتشر الافتقار إلى المبادئ والقيم الإسلامية، مما أدى إلى تفاقم المشاكل الأخلاقية والاجتماعية، التي باتت تهدد الأمن بين الجميع.

على هذا الأساس، كان الغرض من هذه الدراسة هو محاولة فهم المنهج التربوي الإسلامي فهماً صحيحاً، يجعلنا نؤمن به ونطبّقه في حياتنا الخاصة بكل جوانبها، وحياتنا الاجتماعية في كل مجالاتها، وأن نعدل عن كل الأفكار والمناهج المستوردة والمتبّعة، التي لا تمتّ لديننا الإسلامي بصلة، وإن اعتقد واضعو هذه الأفكار والمناهج صلاحها وصلاحيتها لأبعد مدى متوقع، إلا أن الجهل بنتائج التصرفات ومصير الأعمال \_لقصر النظر واحتمال الخطأ\_ يجعل من حال الأمة والوضع الذي آلت إليه، دليل واضح على نقصها، واختلافها عن المنهج الرباني الكامل الذي لا يشوبه عجز ولا قصور.

نظراً لأهمية هذا الموضوع في واقعنا المعاصر، تمّ تناوله بالدراسة الموضوعية، التي كان الاعتماد فيها أساساً على الآيات القرآنية العظيمة، والأحاديث النبوية الشريفة، استقراءً لها واستشهاداً بها، بغية الوصول إلى معرفة الرؤية الإسلامية الصحيحة لهذا الموضوع، إضافة إلى تحقيق التوصل إلى أصحّ النتائج المرجوة، ليكون عنوان الموضوع بعد البحث والدراسة: **”المنهج التربوي الإسلامي وآلياته في ترسيخ القيم في ضوء الكتاب والسنة“**

بعد عرض المقدمة التي تناولت موضوع البحث، وإشكاليته، وأهميته، ودوافع اختياره، وأهدافه، والمنهج المتبع في عرض البحث وعرض المادة العلمية، والدراسات السابقة له، وأهم الصعوبات التي واجهت الباحث أثناء بحثه، ثم عرض خطة البحث، تمّ بيان المدخل الذي تضمن عرض المفاهيم الأساسية، اللغوية منها والاصطلاحية الخاصة بالموضوع، ثم الخروج في الأخير بمفهوم مستخلص من المفاهيم الأساسية، بعد التوفيق بينها.



من الفصل الأول الذي بدأت رحلة البحث منه، والذي تمّ فيه بيان حقيقة المنهج التربوي الإسلامي، وأنه منهج ربّاني موافق للفطرة الإنسانية، ومصالح للحياة البشرية، وصالح لكل زمان ومكان، لم تعرف البشرية منهجا مثله، لا قبله ولا بعده، ولما كان إصلاح الإنسان هو غاية هذا المنهج، وهدفه، كان من أهم الأسس التي اعتمدها، هو إدراك هذا الإنسان لحقيقة ذاته، ووجوده في هذا الكون، وفي هذه الحياة، والغاية من وجوده، بمعرفة مُوجد هذا الكون والحياة، وفهم العلاقة التي تربطه بهم جميعا، وبذلك يتحدّد منهج حياته، والنظام الذي يحقق هذا المنهج.

كما أن المنهج التربوي الإسلامي يهدف إلى إعداد هذا الإنسان، إعدادا سليما، يؤهله للقيام بدوره المنوط به، من تحقيق الخيرية للأمة الإسلامية، وبناء حضارتها.

وأما الفصل الثاني، فقد تمّ فيه بيان خصائص المنهج التربوي الإسلامي، فكانت أهمّ خاصيّة له تميّز بها، هي الربّانية، والتي تمثّلت في كتاب الله تعالى، وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم الخاصيّة الثانية التي تمثّلت في الإحاطة، التي كانت جامعة لشمول هذا المنهج وتكامله، وتوازنه وتعادله، في تربية الإنسان النفسية، والإيمانية، والاجتماعية .

وأما الفصل الثالث، وقد تمّ فيه تناول أساليب المنهج التربوي الإسلامي، المستفّاة من الكتاب والسنّة، والتي تعتمد على الحكمة والموعظة الحسنة، والبعيدة عن الخصومة والغلظة في المعاملة، وإن تعدّدت هذه الأساليب وتنوّعت، فقد اختير منها ما يحقّق إنجاح العملية التربوية أكثر، ويحقّق هدف المنهج التربوي الإسلامي، من بناء الشخصية السويّة، والحفاظ على الهوية الذاتية، والاعتزاز بالانتماء للأمة الإسلامية، فتّم بذلك تقسيم هذه الأساليب إلى قسمين:

أما القسم الأول الذي اتّسم بالتربية بالتشويق، فقد اهتمّ بالأساليب التربوية القولية، التي كان منها أسلوب الحوار، والترغيب والترهيب.

وأما القسم الثاني الذي كان بعنوان التربية بالحرص على التوجيه الرشيد، فقد اهتمّ بالأساليب التربوية الفعلية، والتي تمثّلت في أسلوب القدوة الحسنة، والاهتمام بتربية ذوي الكفاءات والمواهب، كل ذلك لتحقيق تنمية المدارك الفكرية، وتعزيز الثقة النفسية، وتحفيز الهمم، وإيقاظ العزائم.

وأما الفصل الرابع والأخير، فتناول آليات المنهج التربوي الإسلامي في ترسيخ القيم، فكان من أهمها: آلية العادة، التي تعتمد تثبيت ما صحّح من المفاهيم والقيم في النفوس، عن طريق التركيز والمداومة على التكرار والاستمرار، حتى إذا امتزج الجانب النظري للقيمة، مع الجانب التطبيقي لها على أرض الواقع، رسخت هذه المفاهيم والقيم بالنفس، لتصبح عادة تؤدّي تلقائيا بدون أي جهد أو تفكير .

كما تناول آلية الإلتزام، التي تعتمد التربية فيها بما يوافق المنهج التربوي الإسلامي، على اتّخاذ نظام معيّن في كافة الميادين والمجالات، بحيث يفضي هذا النظام بالمداومة عليه إلى الإلتزام به، وبذلك يتم ترسيخه، كما تؤدّي التربية بالعقوبة -المادية منها والمعنوية- عند تطبيقها أيضا، إلى الإلتزام بالقيم وترسيخها في النفوس.

وأخيرا عرض الخاتمة، التي تمّ فيها ذكر كافّة النتائج الواردة في البحث، والتي تمّ التوصل إليها من خلاله.

**Abstract:**

The subject of the Islamic educational curriculum is, today, among the most important subjects that the Islamic nation needs, because of the confusion in concepts and deviation beyond the correct way of the god, and consequently the Education has deviated from its good track which has caused the deficit in Islamic principles and the aggravation of moral and social problems that threaten the security of individuals.

On this basis, the purpose of this study is to try to understand the Islamic educational curriculum in a correct way that allows us to believe and apply it in our personal lives in all its sides, as well as in our social life in all its stolen, and refusing all ideas and curriculums imported and applied that have no relation to our Islamic religion. Those who imposed these ideas and curricula were convinced of its very great validity, but unfortunately the ignorance of the prevention of the results of the acts - seen the underestimation and the probability of error - provoked the current state of the nation, this proves the non-feasibility of these ideas and its deviation from the perfect curriculum of the god.

The importance of this subject in our present life; it has been studied objectively, based on the sacred Koranic verses; and noble Hadiths of the prophetic, by induction and testimony. This in order to achieve a true Islamic vision on this subject and to have the desired results; so, the title of this subject after reflection and study is THE ISLAMIC EDUCATIONAL CURRICULUM AND ITS MECHANISMS TO FIX THE VALUES - OBJECTIVE STUDY ON THE LIGHT OF EL KITTAB AND EL SOUNA-.

After the introduction, of which we have cited the object of this research, its problematic, its importance, the justifications of the choice of the subject, its goals, the approach followed in the presentation of the research and the scientific subject, the bibliographic study, the different constraints encountered by the researcher during his research and the presentation of the research methodology. Then, the exhibition of a preamble whose basic, linguistic and conventional concepts relating to the subject we have presented, and finally; go out with an induced concept of the latter after a readjustment between these concepts.

The first chapter, from where the journey of research began; we have defined the meaning of the Islamic educational curriculum, and that it is a curriculum of the god, and is in harmony with human nature, he is a corrector of human life, valid in time and in all places, and humanity has never experienced such a curriculum, either before or after. And since the reform of the human being is the objective and the goal of this curriculum, it is based essentially on the

knowledge of the true reality of the human being and his existence in this universe and in this life, the purpose of its existence, knowing the creator of this world and this life, and understanding the relationship that binds it to all these things, so the curriculum of his life and the process of its realization will be delimited. The Islamic educational curriculum also aims to train the human perfectly, to enable it to play its proper role, which is the realization of the beneficence of the Islamic nation as well as build it of its civilization.

As for the second chapter, the characteristics of the Islamic educational curriculum have been determined; hence, the most important characteristic is that of the god, presented in the book of ALLAH TAALA and SOUNNAT the prophet -Sala Allah Alih Wa Salam-. The second characteristic is that it encompasses all human sides; it has been generalized to the entire curriculum and its integration, as well as its equilibrium and equality in psychic, moral and social education.

As for the third chapter, we have presented the processes of the Islamic educational curriculum, induced by EL KITAB and EL SOUNNA. They rely on wisdom, good sermon, avoiding conflict and aggression. And since there are several different processes we have chosen those which verify the objectives of the Islamic educational curriculum, which are the construction of the right personality; the preservation of personal identification and the pride of belonging to the Islamic nation. To this end, these processes have been divided into two parts: the first part consists of education by promise; we have been interested in oral educational processes among which: process of dialogue and persuasion and intimidation. On the other hand, the second part, from which the title was education, emphasized the good orientation, or we were interested in the educational processes represented by: a process of good example, and the development of talents and skills, in order to succeed to the development of intellectual gifts, to improve self-confidence, and to motivate inspirations and awaken endurance.

As for the fourth and last chapter, the mechanisms of the Islamic educational curriculum have been presented in the setting of values. Among the most important; the mechanism of Habitude, which is based on the fixation of good concepts and values in the human being, based on repetition and continuation, then when the theoretical side conforms with the practical side; concepts and values are fixed, and it has become a habit that automatically applies effortlessly and without reflection.

Finally, a summary of the main conclusions reached that can be concluded from this work.

## Résumé :

Le sujet du curriculum éducatif islamique est, aujourd'hui, parmi les sujets les plus importants dont la nation islamique a besoin, à cause de la confusion dans les concepts et la déviation au-delà de la voie correcte du dieu, et par conséquent l'éducation a dévié de sa bonne voie ce qui a provoqué le déficit en matière de principes islamiques et l'aggravation des problèmes moraux et sociaux qui menacent la sécurité des individus.

Sur cette base, l'objet de cette étude est d'essayer de comprendre le curriculum éducatif islamique d'une façon correcte qui nous permet d'y croire et de l'appliquer dans notre vie personnelle dans tous ses côtés, ainsi que dans notre vie sociale dans tous ses volés, et en refusant toutes les idées et les curriculums importés et appliqués qui n'ont aucune relation avec notre religion islamique. Ceux qui ont imposés ces idées et curriculums ont été convaincu de sa très grande validité, mais malheureusement l'ignorance de la prévention des résultats des actes – vue la sous-estimation et la probabilité d'erreur – a provoqué l'état actuel de la nation, ceci prouve la non faisabilité de ces idées et son écart par rapport au curriculum parfait du dieu.

Vue l'importance de ce sujet dans notre vie actuelle ; on l'a étudié d'une façon objective, en se basant sur les versets coraniques sacrées ; et des Hadiths nobles du prophétique, par induction et témoignage. Ceci afin d'aboutir à une vraie vision islamique sur ce sujet, et avoir les résultats voulus ; d'où l'intitulé de ce sujet après une réflexion et étude est : LE CURRICULUM EDUCATIF ISLAMIQUE ET SES MECANISMES POUR FIXER LES VALEURS – ETUDE OBJECTIVE SUR LA LUMIERE DU EL KITTAB ET EL SOUNA-.

Après l'introduction, dont nous avons cité l'objet de cette recherche, sa problématique, son importance, les justificatifs du choix du sujet, ses buts, l'approche suivie dans la présentation de la recherche et de la matière scientifique, l'étude bibliographique, les différentes contraintes rencontrées par le chercheur durant sa recherche et la présentation de la méthodologie de recherche. Puis, l'exposition d'un préambule dont nous avons présenté les concepts de bases, linguistiques et conventionnelles relatives au sujet, puis finalement ; sortir avec un concept induite de ces dernières après un réajustement entre ces concepts.

Le premier chapitre, d'où le voyage de la recherche a commencé ; on a défini le sens du curriculum éducatif islamique, et qu'il est un curriculum du dieu, et est en concordance avec la nature humaine, il est un correcteur de la vie humaine, valable dans le temps et dans tous les lieux, et l'humanité n'a jamais connu un curriculum pareille, ni avant ni après. Et puisque la réforme de l'être humain est l'objectif et le but de ce curriculum, il s'est basé essentiellement sur la connaissance de la vraie réalité de l'être humain et son existence dans cet univers et dans cette vie, le but de son existence, en connaissant le créateur de ce monde et de cette vie, et comprendre la relation qui le relie avec tous ces choses, ainsi le curriculum de sa vie et le processus de sa concrétisation seront délimités.

Le curriculum éducatif islamique vise aussi à former l'humain parfaitement, de façon à lui permettre de jouer son rôle adéquat, qui est la réalisation de la bienfaisance de la nation islamique ainsi la construire de sa civilisation.

Quant au deuxième chapitre, on a déterminé les caractéristiques du curriculum éducatif islamique, d'où la plus importante caractéristique est qu'il est du dieu, présentée dans le livre du ALLAH TAALA et SOUNNAT le prophète -sala allah alih wa salam-. La deuxième caractéristique c'est qu'il englobe toute les côtés humaines ; elle a été généralisé sur tous le curriculum et son intégration, ainsi que son équilibre et son égalité dans l'éducation psychique, morale et sociale.

Quant au troisième chapitre, on a présenté les procédés du curriculum éducatif islamique, induites du EL KITAB et EL SOUNNA. Ils se basent sur la sagesse, le bon sermon, en évitant le conflit et l'agressivité. Et puisque il se trouve plusieurs et différentes procédés nous avons choisi celles qui vérifient les objectifs du curriculum éducatif islamique, qui sont la construction de la personnalité droite ; la conservation de l'identification personnel et la fierté de l'appartenance à la nation islamique.

A cet effet, on a divisé ces procédés en deux parties : la première partie consiste en l'éducation par promesse ; on s'est intéressé aux procédés éducatifs oraux parmi lesquels : procédé de dialogue et persuasion et intimidation. Par contre la deuxième partie d'où le titre était éducation en insistant sur la bonne orientation, ou on s'est intéressé aux procédés éducatifs actionnels représentés par : procédé du bon exemple , et le développement des talents et des compétences, afin d'aboutir aux développement des dons intellectuelles, améliorer la confiance en soi même, et motiver les inspirations et éveil des endurance.

Quant au quatrième et dernier chapitre ; on a présenté les mécanismes du curriculum éducatif islamique dans la fixation des valeurs. Parmi le plus important ; le mécanisme de l'Habitude, qui se base sur la fixation des bonnes concepts et des valeurs dans l'être humain, en basant sur la répétition et la continuation, alors lorsque le coté théorique se conforme avec le côté pratique ; les concepts et les valeurs sont fixés, et il est devenu une habitude qui s'applique automatiquement sans effort et sans réflexion.

Enfin une synthèse des principales conclusions atteints qui peuvent être tirée de ce travail.